

على الطائر

مارون عبود

على الطائر

على الطائر

في نقد الأحاديث النثرية والشعرية التي أذاعتها محطة الشرق الأدنى منذ ١١ / ١١ / ١٩٥١ إلى ٢٠ / ٤ / ١٩٥٥

تأليف
مارون عبود



على الطائر

مارون عبود

رقم إيداع ٢٠١٤/٥٦٣٩
تدمك: ٩٧٨ ٩٧٧ ٧١٩ ٧٤٢ ٧

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

المحتويات



المؤلف (١٨٨٦–١٩٦٢).

إيضاح

راجع كتبي الأربعين المطبوعة تَجد أنني لم أكتب، ولم أستكتب لأحد منها مقدمة، أما هذا الكتاب الذي سجنني ثلاث سنوات ونصف، وعدة من أشهر أخر لتشذيبه وتهذيبه، فأراني مكرهًا على تصديره بهذه الكلمات.

طلبت مني محطة الشرق الأدنى أن أنقد أحاديثها الأدبية، وهذا يعني أن أربط إلى المذياع، فلا تقل أجلك الله عن الربط، فخالقنا واحد.

وهكذا بقيت سنوات أصغي إلى المتكلمين يوميًّا، وأدون ملاحظاتي، وفي نهاية كل خمسة عشر يومًا أعود إلى وريقاتي، وأكتب مقالًا أبعث به في حينه إلى قبرص.

كنا فيما مضى نستورد من تلك الجزيرة ما نستورد … وصرنا نصدر إليها أوراقًا نسودها؛ فتسود وجهنا عند أدباء الأقطار العربية وشعرائها.

كانت محطة الشرق الأدنى — رحمها الله — صحيفة هوائية كبرى، وكنت ناقدها الأدبي يوم كان سمعها صعبًا، ولما سهل السماع انقطع الحبل … الصحافة تعالج الزائل، أما النقد الأدبي فيعنيه الباقي، ومن هنا جَاء شقائي.

قال سنت بيف: ليس عندي وقت للفراغ، ففي يوم الإثنين من كل أسبوع أرفع رأسي قليلًا وقت الظهر وأتنفس ساعة أو ساعتين، ثم يغلق الباب لأظل في سجني أسبوعًا.

قد يكون شأني مثل شأن سنت بيف، فالمقال عندي حَبل وولادة، وعندما أكتب أفكر بقارئي لا بما أقبض من مكافأة، وإن كنت أحوج الناس إليها. وإني لأعجب من رجل يطلب مني مقالًا ولا يمهلني غير أسبوع، فكأنني عنده صاحب مصبغة يغطُّ القماش ويشيله.

قال هازلت: باستطاعة الصحفي أن يملأ أنهار صحيفته كل يوم بأي شيء وبكل شيء، ثم يفيد كل شيء دون أن يفيد الأدب من ذلك، وهو يقول نفس الشيء عدة مرات، ولكن بأشكال لا يختلف بعضها عن بعض إلا قليلًا، أما الذي يكتب أدبًا فهو غير ذلك.

قال لي صاحب حاجة: والو! ألا تستطيع أن تكتب مقالة في يومين؟ أما أنا فأجبته: اسمع هذه الحكاية: سأل رئيس نادٍ كاتبًا شهيرًا أن يخطب في مدعويه، وبعد جدال قال له: طيب، حدثنا ربع ساعة فقط. فأجابه الأديب: أمهلني شهرًا، فضحك الرجل، وقال: ترى لو قلت لك حدثنا ساعة زمان أما كنت تستمهلني سنة؟

فقام الأديب عن كرسيه وهو يكاد ينشق، وقال له: قم، تفضل حتى أحدثكم الآن، إذا كان الكلام حديثًا.

هذه حالي فيما أَكتب، وهكذا قضيت ثلاث سنوات ونصف السنة أسمع الأحاديث، ثم أكتب المقال ليذاع وينشر. وبما أني تعبت جدًّا حتى كتبت هذه الفصول التي تتناول نحوًا من سبعمائة شخص، رأيت أن أجعلها كتابًا يبقى، وما كتبت له هذه المقدمة إلا لأكون قدوة حسنة للمتأدبين المستعجلين ...

سميته «على الطائر»؛ لأن هذا النقد السماعي أشبه بالصيد طائرًا، وقد بوبته تبعًا لمواقيته؛ لأن موضوعاته شتى لا يجمعها جامع، أما الاعتذار إلى من أغضبناهم؛ لأننا نقدناهم، فيجده القارئ في النقد الحادي والتسعين، وهو خاتمة هذا الكتاب.

رحم الله صديقي الكبير محمد كرد علي، فكلمته لا تزال ترن في أذني: الناس يبغضون الناقد. طفت أوروبا، وما وقعت عيني على تمثال لناقد، فأرح البشرية وأرح نفسك.

فقلت له: أنا لا أجيد الكتابة إلا ناقدًا؛ ولذلك تجدني معاركًا على جميع الجبهات، فلو ألفت صلاة ربانية فقد لا تخلو من النقد.

فقهقه صاحبي وقال: ستعيش وتموت بعد العمر الطويل، ولا نقد عندك إلا في كتبك ...

فيا إخواني المنقودين، اذكروني بالخير، فما قصدت إلا نفعكم الأدبي، وما عملت إلا بالكلمة المأثورة: صديقك من صدَقَك لا من صدَّقك.

عين كفاع. أيلول ١٩٥٧

مارون عبود

أسماء المتكلمين كما جاءت في فصول هذا الكتاب

النقد١: عباس خضر، نبيه فارس، أديبة شكري، مصطفى جواد، عبد الرزاق محيي الدين، وعبد الستار الحواري.

النقد ٢: القسيسان إبراهيم سعيد ونجيب قبعين، عبد العزيز سيد الأهل، قاسم منصور، حسين مكي، صلاح ذهني، الشيخ محمد بهجت الأثري، وداد سكاكيني، مينرفا حكيم، بنت الشاطئ.

النقد ٣: علي سليمان، محمد شوشة، سمير عزام، عبد الغني حسن، ميخائيل نعيمة، سامي حداد، موريس نصار، عبد الرحمن سنو، ملكيان، وداد سكاكيني، يوسف العش، محمود الحوت، أماني فريد.

النقد ٤: يوسف دوناتو، أنور سلطان، ثيودوري، القس جورج خوري، حسين فياض، كامل الكولك، عادلة فروخ، فهيمة حافظ، أسمى طوبي، سميرة عزام، عائشة مراعي، مصطفى جواد، رشاد بيبي، إنعام الصغير، سعيد تقي الدين، عبد الله المشنوق، الدكتور قسطنطين زريق، رشاد داغوث، يوسف جوهر، بهجت الأثري، ناجي القشطيني، عبد البار شعيشع.

النقد ٥: إنعام الصغير، ألفة الإدلبي، إكرام الصغير، سلمى صائغ، طاهر اللاذقي، مارون عبود، محمد المغربل، القس فريد عودة، أحمد أبو سعد، جودت الركابي.

النقد ٦: متيل مغنم، إلياس زخريا، أسمى طوبي، الدكتور سامي الدهان، عيسى الناعوري، جبرائيل كاتول، أولغا وهبي، بهجت الأثري، محمد العدنان، يوسف يعقوب حداد.

النقد ٧: نجاتي صدقي، كامل شهاب، محمد العدناني، القس فريد عودة، حكمت هاشم، يوسف العش، محمد الرشدان، الناعوري، إبراهيم العريض، عبد القادر الناصري، محمود رمزي نظيم، كرم حنون، سلمى الصائغ.

النقد ٨: نور الدين داود، محمود أبو زايد، فوزية ناجي، جورج شهلا، شفيق جبري، موسى الحسيني، رياض المعلوف، جبرا إبراهيم جبرا، يوسف يعقوب عواد، رشاد دارغوث.

النقد ٩: عمر شخاشيرو، أمجد طرابلسي، وليم صعب، نعمة الله السمعاني، سلمى صائغ، ليلى شاهين، ليلى اللبابيدي، إلياس نمور، باسم الجسر، صفاء خلوص، رشيقة العمري.

النقد ١٠: أنيس الخوري المقدسي، إسحاق موسى الحسيني، محمود الحوت، عبد الحليم عباس، حسني فريز، خليل السالم، نقولا شاهين، عباس العزاوي، عبد السلام العجيلي، سميرة عزام.

النقد ١١: ماليكيان، مقبولة الحلي، سلوى نصار، ليلى شاهين، ربيحة الراشدان، سلوى حوماني، جمال كرم، أسمى طوبي، عبد الرحمن شكري، عادل الغضبان، مصطفى فروخ، نجيب قبعين، رمضان لاوند، شكري المقتدى، إنعام الصغير، سعيد فواز، عزمي النشاشيبي، ثريا ملحس، جعفر الخليلي.

النقد ١٢: محمد كامل حسين، حكمت هاشم، جار الله الحسيني، ممدوحة السيد، رشيد كرامة، أمجد طرابلسي، سليم الزركلي، أبو سلمى، عبد القادر محمود، حفصة عثمان، يوسف العش.

النقد ١٣: نهاد العمري، فؤاد عباس، محمود الحوت، خاشع الراوي، إلياس خليل زخريا، إكرام الحسيني، حسني فريز، سلمى صائغ.

النقد ١٤: مصطفى الخالدي، رشيد بيضون، الدكتور إبراهيم عبده، الدكتور جميل سعيد، يوسف العش، نجاتي صدقي، ألفة الإدلبي، رشاد دارغوث.

النقد ١٥: محمد الصافي النجفي، صلاح اللبابيدي، نقولا بسترس، عبد القادر الصالح، سميرة عزام، أحمد أبو سعد، عبد العزيز سيد الأهل، أحمد سويد.

النقد ١٦: سميح الشريف، مسرة فاخوري، زينب الغزالي، محمد جواد مغنية، شكيب الجابري، رمزي نظيم، سيف الدين الكيلاني، عيسى الناعوري، هند بنداق، صلاح ذهني.

النقد ١٧: الركابي، سامي الدهان، نعمان ماهر الكنعاني، حسن المأموني، عائدة فهمي هاشم، روكس بن زايد العزيزي، نرجس داود، عبد السلام العجيلي، سميرة عزام.

النقد ١٨: علي الطنطاوي، مغنية، حسين مروة، جميل البديري، كرد علي، كزبري، زينب محمد حسين، نجاتي صدقي، فدوى طوقان، مقبولة الحلي.

النقد ١٩: خالد الجرنوس، عبد الله شمس الدين، روحية القليني، عبد الله المشنوق، سعيد فريحة، حنا غصن، قيصر الجميل، محمد عبد الحليم عبد الله.

النقد ٢٠: لولى هاشم، عبد اللطيف زغلول، أحمد عبد الحميد، سعيد قريحة، سلمى صائغ، محمد العدناني، نبيه غطاس، ثرية حسن، جودت الركابي، كميل شمعون.

النقد ٢١: إسكندر البيتجالي، عبد الحليم عباس، محمد الأمير، أحمد سويد، عبد الله المشنوق، علي عبد السلام.

النقد ٢٢: عصام حماد، رشاد دارغوث، أماني فريد، عزت بشور، حسني فريز، محمود صالح، الحاج إبراهيم الزين.

النقد ٢٣: وداد سكاكيني، مقبولة الحلي، ألفة الإدلبي، غالب أمين، أمين يوسف وهبة، إبراهيم دسوقي أباظة، العوضي الوكيل، عثمان الغزالي، عبده محمد بدوي.

النقد ٢٤: مفيدة عبد الرحمن، سميرة عزام، جعفر الخليلي، زينب محمد، إدفيك شيبوب، حسين مكي.

النقد ٢٥: مبارك إبراهيم، أسمى طوبي، محمد جواد مغنية، ممدوحة السيد، أحمد مكي، فؤاد حداد، زهيدة حميدان، نجاتي صدقي، عيسى الناعوري، محمد علي طوال، نور الدين الرفاعي.

النقد ٢٦: زهراء أبو المكارم، واصف البارودي، كامل قسطندي، أحمد مظهر العظمة، جميل صليبا، فدوى طوقان، رشاد دارغوث.

النقد ٢٧: محمد مصطفى حمام، سليم حيدر، القس عقل إبراهيم عقل، سلمى صائغ، أسمى طوبي، مقبولة الحلي، عدنان السباعي، عبد العزيز سيد الأهل.

النقد ٢٨: مرزية القوتلي، شكيب الجابري، سليم حيدر، مبارك إبراهيم، بديع سربية، يوسف جوهر.

النقد ٢٩: ثريا حسين، ناهدة بدرشاني، خالتي أم درويش، فاطمة أبو العز، حورية جمال، عفاف كنفاني، سيد الأهل.

النقد ٣٠: زينب محمد علي، مصطفى فروخ، رشيد وهبة، وداد سكاكيني، ميخائيل نعيمة، هند سلامة، سعاد أبو شقرا، صلاح الأسير، إسماعيل جبروت، أحمد مكي.

النقد ٣١: سهيل إدريس، نقولا زيادة، توفيق عواد، أسمى طوبي، صلاح ذهني، عبد الرحمن اللبان.

النقد ٣٢: إدوار حنين، سلمى صائغ، سهيل إدريس، سميرة عزام، إبراهيم محمد، رضوان البلطجي.

النقد ٣٣: زكى مبارك، عبد الغنى حسن، ناهدة بدرشانى، أبو خليل، ألفة الإدلبي.

النقد ٣٤: فراج نبأ، زبيدة عبد الرحيم، محمود عنان، مقبولة الحلي، فوزى المعلوف.

النقد ٣٥: راجي الراعي، العوضي الوكيل، عبد الحليم عباس، مديحة نجيب، عواطف هانم والي، موسى الدجاني، حسين مكي، نجاتي صدقي.

النقد ٣٦: حامد يونس، سميرة عزام، سهيل إدريس، أمير بقطر، عزت بشور، خازن عبود، أماني فريد، موريس شهاب، فاخر عاقل، حكمت هاشم.

النقد ٣٧: كامل حسين، سمية حموي، عادل الغضبان، حسن القاياتي، مسرة شهاب، معروف الرصافي، عبد السلام العجيلي، عزت السيد إبراهيم.

النقد ٣٨: زهيدة حميد باشا، مادلين أرقش، أسمى فارس الخوري، فاخر عاقل، نبيه غطاس، أماني فريد، إبراهيم محمد نجا هارون، عبد العزيز سيد الأهل، إدوار حنين، أسمى طوبي.

النقد ٣٩: زينب محمد حسين، عبد الغني حسن، عبد المجيد أبو لبن، سميرة عزام، كمال منصور.

النقد ٤٠: أحمد سويد، سميح الشريف، هيلين ليا، حنينة ضاهر، أمينة السعيد، رشيد شقير، فريد الملاط، صفية فراج.

النقد ٤١: فدوي طوقان، أحمد أبو سعد، عبد العزيز عريقات، حمودة، عزيز أباظة، عزيزة خالد، أنور، عبد المجيد لطفي، حكمت هاشم.

النقد ٤٢: وداد سكاكيني، طاهر سبيطة، بهيج عثمان، ميخائيل نعيمة، محيي الدين النصولي، قسطنطين زريق، جميل المكاوي، زاهية أيوب، رشاد دارغوث، طاهر إبراهيم.

النقد ٤٣: وديع البستاني، عزيز أباظة، كامل الكيلاني، عبد الوهاب الأميني، الشيخ حسن مخلوف، رشيد العبيدي، جمال الحنفي، تقي الدين الهلالي، عمر باوزير الحضرموتي، محمد المويلحي، زينب لبيب، محمد علي حماد، بنت الشاطئ.

النقد ٤٤: فؤاد صروف، ميشال أسمر، عبد القادر القط، خليل المطران، سميح الشريف، سليم النعيمي، صلاح الأسير، أملي فارس إبراهيم، عبد الله أبو جودة، سامي الشقيفي.

النقد ٤٥: سلامة موسى، جبرائيل جبور، رئيف أبو اللمع، الأهواني، عبد الغني حسن، أحمد كمال زكي، فدوي طوقان، نعمة أحمد فؤاد، مصطفى عبد الرحمن، جعفر الخليلي، درويش الجندي، حافظ محمود.

النقد ٤٦: سامي الدهان، حسيب عبد الساتر، فؤاد صروف، واصف الصليبي، إميل خوري، رشاد بيبي، عاطف كرم، سميرة عزام، توفيق عواد، سيد الأهل.

النقد ٤٧: عبد الحليم عباس، ميخائيل نعيمة، رشاد بيبي، أديب العامري، زهية حميد باشا، فاخر عاقل، القلقيلي، روكس بن زايد العزيزي، عبد الله الدرويش، وداد سكاكيني.

النقد ٤٨: وليم صعب، أمينة السعيد، أديب الحداد، مصطفى محمود، حسن جواد الجشي، ناجية تاجر، عبد الوهاب حمودي، روز غريب، نعمة أحمد فؤاد، إلياس شبل الخوري، بنت الشاطئ.

النقد ٤٩: عبد المحسن الرشيد، نجيب صدقة، شوقي ضيف، راجي الراعي، سليم اللوزي، هاشم الحسيني، سلامة موسى.

النقد ٥٠: زاهية دوغان، محمد صلاح الدين، منصور بن خليل، عزت بشور، سلامة موسى، زاهية أيوب، النجفي، فطينة النائب، محمد شكري، قاسم الخطاط.

النقد ٥١: كميل شمعون، موريس شهاب، خليل السكاكيني، موسى الحسيني، إسكندر الرياشي، أحمد زكي، أحمد سويد، إدفيك شيبوب، إنعام الصغير، أحمد شنيب، مقبولة الحلي، عدلي سامي نور.

النقد ٥٢: أحمد زكي، أسمى طوبي، سليم الزركلي، عبد الغني حسن، روز غريب، مصطفى خشاب، صفية فراج، الزبير السنوسي، بلند الحيدري، حسين مؤنس، طاهر الطناجي.

النقد ٥٣: عباس محمود العقاد، عبد الوهاب الأمين، عزت النص، يعقوب الرشيد، طه البشتي، أحمد شحادة، علي السيار، علي سعد، أحمد أبو سعد، محمد العيتاني، إحسان دمشقية.

النقد ٥٤: عباس العقاد، صفية فراج، الأب كسرواني، محمد حسن المحاويلي، صبيحة فارس، إسحاق موسى الحسيني، كمال اليازجي، عبد الرزاق الهلالي، علي صدقي عبد القادر، رشاد دارغوث، فؤاد إفرام البستاني.

النقد ٥٥: أمينة السعيد، حسين مؤنس، الدكتور نقولا زيادة، أحمد رامي، يوسف داغر، صروف وجبور وزيادة.

النقد ٥٦: عثمان نويه، وفيق العلايلي، سامي الصلح، عبد الله اليافي، جبرائيل جبور، وداد سكاكيني، رزوق فرج رزوق، الحسين الحلي.

النقد ٥٧: فاطمة المحب، نجيب صالحة، أنيس منصور، سميرة عزام، إبراهيم مطر، سامي محمد، روز غريب، عبد الحليم عباس، موسى الحسيني، محمد بهجت الأثري، عبد الوهاب البياتي.

النقد ٥٨: خالد الجرنوسي، مقبولة الحلي، الدكتور علي شلق، أدفيك شيبوب، إلياس خليل زخريا، وليم باسيلي، جميل صليبا، عاتكة الخزرجي، طه حسين.

النقد ٥٩: بديع حقي، عبد الله شمس الدين، عزيز أباظة، أحمد رامي، عبد الحميد الغزالي، عادل عسيران، محمد رضا الشبيبي، زاهية أيوب، بنت الشاطئ.

النقد ٦٠: أحمد أبو سعد، جوزيف نجيم، مصطفى محمود، سليمان قرباني، يوسف ملكي، محمد الشبيبي، باقر، رزوق فرج رزوق، أمين إبراهيم اللاذقي، منير الدويب، الحسيني، فائز الغول، طاهر البشتي، محمد علي علوية، سعد أبو العلاء، عبد الحميد جودة، أحمد صالح الطيب.

النقد ٦١: صفاء الحيدري، محمد صلاح الدين، أحمد الغزالي، أحمد مخيمر، منير بشان، جميل سعيد، روز الغريب، عز الدين المناقلي، محمد حسن إسماعيل، سانحة أمين زكي.

النقد ٦٢: حسن الغناي، علي صدقي عبد القادر، زينب الشيخ، محمد علي أحمد، فدوى طوقان، أحمد زكي أبو شادي، سعيد عقل، كمال اليازجي، سميرة عزام، أنيس بيبي، أحمد سويد.

النقد ٦٣: الشيخ منصور رجب، نور سلمان، موسى سليمان، روكس بن زائد العزيزي، سهير القلماوي، الصافي النجفي، النصولي، أمينة السعيد، سعيد عقل، عز الدين المناقلي.

النقد ٦٤: رافائيل بطي، عبد الحليم عباس، رشيقة العمري، أكرم شكري، عطا صبري، رشيد زيد الكيلاني، سعيد عقل، محمد هارون الحلو.

النقد ٦٥: دوليب المهدي، جبور عبد النور، علي سعد، أحمد أبو سعد، أمينة السعيد، روز غريب، مبارك إبراهيم، نجاتي صدقي.

النقد ٦٦: إسحاق موسى الحسيني، عبد العزيز العريفات، فؤاد صروف، سعيد عقل، سليم باسيلا، أمينة قطب، أحمد الشريقي، خليل الخشالي.

النقد ٦٧: حسني فريز، أنور أحمد، إسماعيل الحبروك، الصاغ كمال الدين حكيم، رافائيل بطي، أمينة السعيد، أنجل عبود، عبد النور إبراهيم.

النقد ٦٨: محمد قدورة، محمد صلاح الدين، خليل هنداوي، طه حسين، نقولا زيادة، محمود تيمور، جبرائيل جبور، نقولا شاهين، سعيد عقل، نازك الملائكة، حكمت هاشم، عصام حماد، علي سليمان، سميرة عزام.

النقد ٦٩: فؤاد صروف، إسحاق موسى الحسيني، محمد أديب العامري، عبد اللطيف شرارة، فايز الغول، حسين غناي، مقبولة الحلي، كمال منصور، زهير مرزا.

النقد ٧٠: ربحي كمال، محمد يحيي الهاشمي، سعيد عقلي، رشيد زيد الكيلاني، أحمد سويد.

النقد ٧١: فؤاد عباس، عبد النبي مجداوي، صفية فراج، فؤاد طرزي، حسني فريز، أسمى طوبي، محمد أسعد الحناوي، الشيخ عبد الله العلايلي، عبد الله المشنوق، محمود تيمور، محمد روحي فيصل، إسماعيل الحبروك، أنور أحمد.

النقد ٧٢: شوقي ضيف، عز الدين المناقلي، محمد مصطفى حمام، إبراهيم الوائلي، سعيد عقلي، خليل هنداوي، أمينة قطب، محمد عبد الحليم عبد الله.

النقد ٧٣: عبد الكريم الدجيلي، عبود مهدي زلزلة، رشاد بيبي، سميرة عزام، مرتضى شرارة، علي الشرقي، عبد الله المشتوق.

النقد ٧٤: سلامة موسى، المازني، ليلي اللبابيدي، حسين الطنطاوي، أحمد بدوي، عبد الغني حسن، أنور أحمد، جهان عوني، محمد سعيد شاهين.

النقد ٧٥: ميشال أسمر، سهير القلماوي، روكس بن زايد، محمد أديب العامري، أحمد سويد، سميرة عزام.

النقد ٧٦: نازك الملائكة، عبد العزيز عريقات، ليلى اللبابيدي، روكس بن زايد، عيسى الناعوري، أمينة الصاوي.

النقد ٧٧: خليل هنداوي، عثمان نويه، محمد فريد أبو حديد، خليل الجر، قسطنطين زريق، جبرائيل جبور، كمال يازجي، عبد الله فكري أباظة، أسمى طوبي.

النقد ٧٨: إيليا أبو ماضي، روكس بن زايد، حسين هيكل، أمينة السعيد، محمود تيمور، عزيز أباظة، نظلة الحكيم، أحمد عبد السيد الغزالي، بنت الشاطئ، سعيد عقل، أسمى طوبي، سميرة عزام، إكرام الصغير، إحسان دمشقية، نازك الملائكة.

النقد ٧٩: إسحاق موسى الحسيني، عبد الحليم عباس، جميل سعيد، بشارة الخوري، نقولا زيادة، جوليا سعيد، محمود زايد، موسى الدجاني، عبد الغني حسن وزوجته رقية، جبرا إبراهيم جبرا، ناجية تامر.

النقد ٨٠: زاهية قدورة، ماجدة عطار، عبلة خوري، جاكلين خوري، أديب حداد، عبد العزيز عريقات، محمد عبد الحليم عبد الله، محمد الحبوبي.

النقد ٨١: دليلة رضا، عبد العزيز الغزالي، أحمد رامي، أحمد يوسف، خليل هنداوي، حكمت هاشم، سلوى نصار، راجي صهيون، أنيس فريحة.

النقد ٨٢: إكرام الصغير، فؤاد صروف، فريدة خوري، سميحة فاخوري، رشدي معلوف، علي الخطيب، عبد اللطيف حمزة، شوقي ضيف، حمودة، جبرائيل جبور، جميل حيدر، محمد الهجري، محمد روحي فيصل، سميرة عزام، أحمد سويد.

النقد ٨٣: أنيس فريحة، زاهية أيوب، أدفيك شيبوب، نقولا بترس، زاهية قدورة، كمال الحاج، عبد العزيز أباظة، إبراهيم سلامة، الغزالي، أحمد عبد المنعم، محمد حسن

إسماعيل، سعد الدين فوزي، سالم علوان الحلبي، محمد الدوير، محمود غنيم، سلمى الحفار كزبري، رضوان مولوي.

النقد ٨٤: رشيد شقير، عز الدين فراج، كمال قدورة، بشير جحى، عبد الوهاب حمودة، نسيب عريضة، روكس بن زايد، العوضي الوكيل، عثمان نويه، ميخائيل نعيمة، الأب ميشال حكيم، وليم صعب، نعيم مغبغب، أنور أحمد.

النقد ٨٥: سميرة عزام، محمد بدر الدين، زهير مرزا، نقولا بسترس، وليم صعب، حنينة ضاهر، أمينة السعيد، علي الوردي، محمد فريد أبو حديد، محمد قرة علي.

النقد ٨٦: أميرة نور الدين، خاشع الراوي، فؤاد عباس، رياض معلوف، محمد سعيد، سميرة عزام، جعفر الخليلي، خليل هنداوي، حكمت هاشم، تشارلز بكنجهام، جورج هارون.

النقد ٨٧: رشيد شقير، رامي والغزالي وأباظة، عبد اللطيف حمزة، سليم الزركلي، بشير جحا، عيسى مخايل سابا.

النقد ٨٨: راجي الراعي، عبد الحميد ياسين، زاهدة حميد باشا، نقولا زيادة، فؤاد كنعان، عنبرة سلام الخالدي، صفاء خلوصي، سليم الزركلي، فريد مطر، إبراهيم الوائلي، علي سعد، أحمد أبو سعد، محمد عيتاني.

النقد ٨٩: سليمان أباظة، الغزالي، محمد سعيد العريان، علي الوردي، علي الصغير، إلياس عبدو، خالد نصرت، شاكر العبيدي، نقولا بسترس.

النقد ٩٠: حسني فريز، جهان عوني، عيسى الناعوري، سميرة عزام؛ ميشال أسمر، عيسى طماش، راشد الزعبي، ماهرة النقشبندي، محمود أبو الوفا.

النقد ٩١: العوضي الوكيل، أحمد حسن الباقوري، عبد الكريم الخطيب، عبد المجيد الغزالي، إبراهيم مطر، عارف العزوني. كلمة وداع.

سنة ١٩٥١

النقد الأول

١١ / ١١ / ١٩٥١

كان النشاط الأدبي أول حديث أصغيت إليه، فأعجبني إلقاء الأستاذ عباس خضر، باحث هذا الموضوع. الأستاذ خضر رجل جهوري الصوت، موهوب حنجرة فضية، فلم تفتني نبرة أو خفضة من كلامه.

أما في معالجة الموضوع، فلا يؤخذ عليه غير أنه طوّل حيث كان يجب أن يقصر، وقصر حيث كان عليه أن يطوِّل، قضى ثلثي وقته المقنن يناقش مقالتين، ولما جاء دور الكتب التي ظهرت حديثًا كانت زيارته لها لمامًا. والكتاب — في نظري — أحرى بطول الزيارة والإمتاع والمؤانسة من المقالة؛ لأنه أشد منها دلالة على النشاط الأدبي، وفيه مرعى تَدُرُّ عليه الأقلام، ومتى وُجد الماء بطل التيمم.

ثم تعرفت في ذلك النهار عينه بشخصية الأسبوع الدكتور نبيه فارس. كان الأستاذ بيبي يسأل والدكتور فارس يجيب، فرأيتني أعود عشرين عامًا وأكثر إلى الوراء، تذكرت أيام كان رشاد بيبي — ذلك التلميذ الطاهر — يلقي في بحر درسي شبكته الضيقة الثقوب، وإن كان يطرحها على دلفين … أجل تذكرت ما كان يسألنيه ذلك الفت، فعذرت الدكتور نبيه فارس.

ما قولك بمن تسأله ما هي الكرامة؟ حتى إذا أجاب بتمطٍّ، وفرغ منها وهو يلهث، تسأله وما هي الشجاعة، حقًّا إن نَصْبَكَ نفسك هدفًا لشجاعة أدبية أي شجاعة! ما خِلْتُ دكتورنا العلامة إلا مناضلًا على غير جبهته، وإلا فهو مرتجل، والجامعيون، وخصوصًا علماء التاريخ منهم، قلما قدروا على الارتجال؛ لأنهم يعتادون التمحيص والبحث العلمي …

وسمعت قصيدة للسيدة أديبة شكري، عنوانها: بريق الذهب، العنوان غرار، وهل في الدنيا شيء يغِرُّ أكثر من بريق الذهب؟! ولكن القصة ليست كاسمها فلا بريق ولا لمعان ولا بهرج. كان أولى أن تسمى حكاية؛ لأن للأقصوصة عناصر فنية لم تفز حكاية السيدة شكري بواحد منها، فأين السياق المشوق المغري، وأين الإنشاء الأنيق، وأين الحوار البارع، والتحليل في حكاية بريق الذهب؟! الشخوص لا سحنة لها ولا جبلة، ما عرفناها إلا بأسمائها؛ لأنها لا تحمل بطاقة هوية ... أما الموضوع فأعتق من الخبز ... كان على كاتبة قصة بريق الذهب أن تحسن ختامها على الأقل؛ فتقف عند قول أبي رباب لابن أخيه: إن رباب لك منذ اليوم. فسيان عند الفن أعادت لأبي رباب ثروته بعد حين أم لم تعد.

هذا من حيث الإنشاء والفن القصصي، أما القراءة فسقيمة؛ كان على السيدة شكري أن تُعنى بضبط ما كتبت قبل إلقائه، فلا تقول وِحدة — بكسر الواو، ولا عِقار — بكسر العين، ولا لم تفق — بضم الفاء، وهي تريد أفاق لا فاق. وقد قالت: الغير المتكافئ، وحقها أن تكون غير المتكافئ، كما وردت في الكتاب العزيز: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم استمعت إلى حديث ندوة الشرق الأدنى التي دارت رحاها في العراق، فكان موضوع البحث: النقد العربي بين القديم والحديث، وكان المتناقشون ثلاثة: الدكتور مصطفى جواد، والأستاذان: عبد الرزاق محي الدين، وعبد الستار الحواري، فصبوا جام النقاش على رأس النقد القديم. نعوا على القدماء هذه الفقرة الحِكَمية: أنت أشعر العرب، ثم خلصوا إلى أن أساليب القدماء لا يجب أن تتبع كل الاتباع؛ لأن لكل أدب نقدًا.

تشكَّوا جميعًا من ميل النقاد مع الهوى، ثم أجمعوا أخيرًا على أنه لا بد للناقد من ثلاثة أشياء: إحاطة، وخبرة، وذوق. وتمنى أحدهم أن يكون الناقد من المنشئين ليقدر شقاء المؤلف وعناءه فلا يحاسبه على هفواته. ترى أيفوت الدكتور وصاحبيه أن النقد متى خلا من هذه الحاسبة لا يكون نقدًا؟ وهل فاتهم أيضًا أن من لا يكون كاتبًا أو شاعرًا لا يحسن نقد هاتين الصناعتين؟

وطال انتظاري رأيهم في النقد الحديث ولكني لم أظفر إلا بما قيل عن النقد القديم، وهكذا كان بحثهم فضفاضًا رجراجًا، غير مفصل على القد كأثواب اليوم، كما كنا ننتظر من ثلاثة أساتذة على رأسهم علامة تثقل كاهله ثلاثة ألقاب: دكتور، وعضو مجمعين: عراقي، وشامي.

النقد الثاني

٢٢ / ١١ / ١٩٥١

لا حول ولا قوة إلا بالله! هو ذا المحطة تستحيل كنيسة، والقسيسان المحترمان إبراهيم سعيد ونجيب قبعين يطرقان بابًا واحدًا، كان اللسان موضوع الأول منهما، وكانت الغيبة موضوع الثاني، وكلاهما في اصطلاح اللاهوتيين يعنيان خطيئة القول ... ليس لنا أن نقول لواعظ أو كاتب ماذا يجب أن يقول، فالمهم هو أن نحسن التعبير عما نريد؛ فالمواضيع المبتذلة إذا أحسن إخراجها وتأديتها قبلها الناس، أما إذا كتبت تقليديًّا كما سمعتها فقد تصلح لرعية صغيرة، ولكن الألوف المؤلفة من مستمعي هذه المحطة لا تستسيغها، وإني لأعجب من أين جاء القس القديس بفعل استغاب، وهو لا يدور لا على ألسنة العوام، ولا على ألسنة الخواص، ومثل هذا أيضًا قوله: مهما «تريدون» أن يصنع الناس بكم ... إلخ.

أما أحاديث الصباح وأكثرها من لون عظة الأحد فليتها تكون متنوعة لتهز سامعيها، وتذهب عنهم لوثة النعاس ... وبعد فإني أعتقد أن الإنسان يكون موعوظًا عند الصباح، وحسبك الليل من راهب واعظًا.

وكان الحديث بمناسبة ذكرى «شاعر الملاح التائه» علي محمود طه، اجتمع عليها في ندوة الشرق الأدنى ثلاثة أساتذة: عبد العزيز سيد الأهل، وقاسم منصور، وحسين مكي، فدرسوا الشاعر من الجهات الست لا الأربع، فقالوا كل ما يقال في شاعر كعلي محمود طه. أعجبتني كلمة قالها أحدهم، قال: إن الشاعر علي طه المهندس كان مهندسًا في شعره، وهي لعمري خير ما يقال في شاعر متأنق كطه. وقصارى القول أن تلك الجلسة كانت

منسجمة كل الانسجام، ما رأيت فيها شيئًا نابيًا غير نبرات وهمهمات استحسان كانت تجيء غير طبيعية.

قصتا الأسبوع: كانت إحداهما موضوعة، وعنوانها: تباشير الفجر للأستاذ صلاح ذهني، وصف كاتبها قلبين متحابين لم تَصْفُ لهما الأيام، ومضى الكاتب في حل تلك العقدة النفسانية كما يفصل قصصِّيو اليوم فلم يوفق. أما تلك المرأة التي شاء أن يحرقها؛ لينقذها ويتخذ منها عبرة لقصته، فقد رأيتها كتلك الغصون التي تنبت على الجذوع، أو كدم يدخل في شرايين مريض وهو ليس من نوع دمه … السياق لا بأس به، والتعابير حسنة، ولا يؤخذ عليه إلا قوله: صب من شفتيه عليها — أي على يد حبيبته — عهد الزواج. فليته قال: ختم عهد الزواج بتلك القبلة، فالفم يشبه بالخاتم، وهو يلائم العهد الذي يُختم ختمًا، ولا يصب صبًّا … وقال أيضًا في آخر قصته: جاءت أخته تقرؤه تحية الصباح، وهنا أساء من جهتين: واحدة لغوية؛ لأنه يقال: قرأ عليه السلام لا قرأه السلام، وأخرى معنوية وهي أن السلام يقرأ بالنيابة، كما يقرأ حديثي الآن، أما الأخت فهي حاضرة بنفسها لتؤدي التحية.

وسمعت بعرس القمر فانتظرته كجحا، وإذا بي أسمع العلامة الشيخ محمد بهجت الأثري ينشد قصيدة لم يأخذ طولها شيئًا من سمنة تعابيرها، وإحكام قافيتها الواحدة. نعم، إن أكثر معانيها مكرورة، ولكن جرسها رخيم، ورداءها جميل، ينعشها ما فيها من حنين وحب وشوق، فالشاعر فيها ككل محب يخاف على طير الحب أن يفلت، ولهذا قال:

أريد اندماجي في نفسها   لأني أحاذر منها الفرار

وتحدثت السيدة وداد السكاكيني عن محنة «أدبنا المعاصر»، فدعت إلى التطور والتطعيم، ثم نعت على أدباء لبنان إقبالهم على الشعر الرمزي، ودعت هي إلى الشعر الإبداعي، أي الرومنطيقي.

ليست الآفة آفة الرمز يا سيدتي ولكنها آفة التطرف فيه، فعناصر الرمزية موجودة في كل شعر حتى الجاهلي منه. وأخيرًا ترى أن الأدباء الكبار قد انصرفوا إلى الصحافة طمعًا بالمال، وأن المرأة مدعوة لإنقاذ الأدب في بيتها، أما كيف هذا فهذا ما لم أفهمه! أعرف أن المرأة نفذت في مضائق كثيرة عجزت عنها الرجال، فلعل هذا منها، والله أعلم.

وعرضت علينا السيدة مينرة حكيم النشاط النسوي عرضًا جميلًا لبقًا، ولكن حكمها أخيرًا على أن الشاعرة نازك الملائكة بلغت الأوج الفني في قصيدة، تنقصه الحيثيات والفذلكة، وكل قضية لا بد لها من القياس لنسلم أو ننكر. أما الدكتورة بنت

الشاطئ، فأطالت مقدمة حديثها، وأكثرت من الهتافات، فيا ليتها أسمعتنا عوضًا عنها مثل الذي سمعناه منها عن أرض المعجزات.

النقد الثالث

٧ / ١٢ / ١٩٥١

سمعت في هذين الأسبوعين ثلاث أقاصيص: واحدة عنوانها عاقبة الغرور اقتبسها الدكتور علي سليمان، والاقتباس في نظري يشوه كل تصنيف وخصوصًا القصة، فالملخِّص لا يعنيه غير الحادث، والحادث ليس بعنصر القصة الأهم، التعبير جيد ولا يشينه إلا وضع الكاتب مثل عبارة بجدع الأنف البدوية، إلى جانب «لاحظ عليَّ» و«كشف عليها الطبيب» العاميتين.

أما القصة الثانية، فهي من عند صاحبها الأستاذ محمد شوشة وقد رأيتها خيرًا من المقتبسة، فكان كاتبها يدرك أنه يصعب جدًّا على القصصي أن يعود إلى جو قصته إذا تركها سنين، ولهذا هيأ لبطل قصته «شكسبير الصغير» جوًّا ملائمًا، وإذا خلت هذه الثانية من التعابير السوقية فإنها لم تَخْلُ من مثل «خفَّيْ حنين» التي جاءت كرقعة عتيقة في ثوب جديد. أما الأقصوصة الثالثة، فقد أخرجتها الآنسة سميرة عزام بأسلوب عربي لا غبار عليه، وأما الأصل فلا أعرفه لأحكم على صحة الترجمة، وفي هذه المناسبة أقول: إن ذكر اسم الكاتب واجب.

كانت قراءة الآنسة عزام بليغة ككتابتها، وقد ذكرتني بحوَّل وحوامل البحتري حين قالت: الأشجار العاقرة. أما فُجأة بضم الفاء فهي غير صحيحة، فهي فَجأة بالفتح، أو فُجاءة بالضم، وقالت أيضًا: حدق في الفتاة، وهنا يقال حدق إليها لا فيها، ولا بها.

أما أحاديث الصباح فثلاثة منها راقت لي، كما راق سواها لغيري، ولولا اختلاف النظر ما نفقت السلعات. أولها: حديث الأستاذ عبد الغني حسن عن شخصية الجاحظ،

وإن كان جاحظنا المحبوب ليس ممن يحلو أن يُتصبح بهم، فليت الأستاذ مال — ولو قليلًا — إلى ظُرف أبي عثمان، ورمى الناس بإحدى نوادره؛ لتتفتح الأفواه الكازة صباحًا ... أما الحديث الثاني وعنوانه: «كن سعيدًا»، فكاتبه ممن يؤمنون بإيحاء التكرار. شاء أن يكون السامع سعيدًا فردد كن سعيدًا كثيرًا حتى صدقت أنني سعيد طول ذلك اليوم. أما الحديث الثالث، فللأستاذ ميخائيل نعيمة، وهو خيالي رمزي من طراز ما يحبّره قلم الأستاذ.

وكنت أنتظر محاورة أدبية فإذا بي أشهد مؤتمرًا طبيًّا، وكذلك أصابني حين أصغيت إلى حديث العمال فسمعت حديثًا اقتصاديًّا لا عماليًّا.

لست متذمرًا، فمن كان مثلي يعيش على الحمية فهو أحوج الناس إلى إرشادات الطبيب، ولا سيما إذا كانت مجانًا، وفيها المتعة والفائدة مثل جلسة الدكاترة سامي الحداد، وموريس نصار، وعبد الرحمن سنو، الذين لم تفتهم الفصاحة حتى عبر أحدهم بقوله عن أطباء لبنان: حازوا القدح المعلى. إن لفظة القدح أمست تقدح طبلة الأذن؛ لأن دهرها مضى. روى الجاحظ عن الأصمعي فقال: «قد كان للعرب كلام على معان، فإذا ابتذلت تلك المعاني لم تتكلم بذلك الكلام.» فأين نحن اليوم من القدح المعلي والموطَّى؟

وسمعت أيضًا أحد الأطباء الثلاثة يقول: نصح طبيب أوروبي أحد مرضاه أن يأتي إلى لبنان؛ لأن فيه أدوية لا توجد هناك، فقلت: ترى في أي مختبر تصنع هذه، ولكن الجواب لم يبطئ علي، فلعله مناخ لبنان الذي سأل عنه الأستاذ بيبي في آخر الجلسة، أو مياه الشفة التي رددتها شفاه أطبائنا مشددة، وكان عليهم أن يخففوها فتصير فصيحة؛ لأن التعبير جميل، ولا غبار عليه إلا التلفظ به.

أما العيادة السيكولوجية فباب طريف، وقد أحسنت المحطة صنعًا في إيجاد هذا الركن، ولا يعيب حديث الدكتور ملكيان إلا خلطة الكلام الفصيح والعامي، فإما هذا وإما ذاك، وإذا سرنا قدمًا في برنامج المرأة رأينا أن رسالة النشاط النسوي الأردنية للآنسة ندى حنون، قد كانت أخبارًا محلية فما عناني منها شيء، أما رسالة الأزياء فأرى أن يدقق أكثر في كتابتها فلا يقال مثلًا: إن الكم كمين، فمحطة الشرق الأدنى تكاد تكون وحدها الناطقة بالعربية فقط، فلا عذر إذن لمن يبث منها إذا لحن، وبناء على هذا يحسن بي أن أشير إلى أن بعض المحدثين يُعدون: قال وتذكَّر بالباء، كأنه يفوتهم أن في العربية جملة تسمى مقول القول. أما السيدة وداد السكاكيني، فشغلتنا عن اللباب بقشور مقدمة طويلة كانت في غنى عنها، فما الداعي إلى التحدث عن تقليم الأظافر،

والأهداب الاصطناعية، ثم ذمها. ولكن الجزء الثاني من حديثها يشفع بهذا؛ لأنه كان ممتعًا، وإن كان التقريظ فيه قد كيل بالمد، حتى تحسبها توزع الكوتا …

أما برنامج الأطفال، فأتمنى أن تكون لغته فصيحة بسيطة، فالحديث موجه إلى أطفال الشرق الأدنى جميعهم، فلهذا يحسن أن نبتعد به عن اللغة العامية، أما المنهج الذي سمعته فكان حيًّا لذيذًا.

لقد أبقينا الأدب الصرف، والشعر إلى الختام، إنني لم أستمع إلا إلى حديث واحد أدبي، وهو حديث الدكتور يوسف العش. كان افتتاح الحديث مشوقًا مغريًا، وظل كذلك إلى النهاية، كان الموضوع «ليتني كنت أديبًا» فراح الأستاذ يتدفق في موضوعه معظمًا من شأن الأديب حتى تمنى ملوك الأرض التنازل عن عروشهم لو ضمن لهم الجلوس على عرش الأدب.

إن حديث العش كان خير أحاديث هذين الأسبوعين، وإن لم يعجبني منه استعماله فعل ازدرد للعسل، وهو لا يجهل أن ازدرد من زرد، وفي هذا الحرف ما فيه من شد وإحكام، والعسل لا يقتضينا ذلك.

أما الشعر، فسمعته من الأستاذ محمود الحوت، النظم جيد، ولكن حظ الشاعر من الخيال قليل. كان الشاعر كثير التنحنح مع أنه ينشد شعرًا، والتنحنح يفسد الجو الموسيقي، قال مطولة على الحاء فأضعف طولها قوافيها، كما يضعف الطول المفرط قامة الرجل، وقال قصيدة أقصر عنوانها «زمردة» فلم تكن كاسمها، أما قوله: واهني — أي قلبه — فهي أخت خافقي، وكلتاهما غير جديرتين بالشعر الصافي.

وسمعت أيضًا شعرًا للآنسة أماني فريد، أنشدته على الأنغام الموسيقية، قال المذيع: قراءة شعرية، وقالت قبل إنشاد قصيدتها الأولى: نظمت، فلم أدر أي الظاعنين أشيع. وقد أضحكني تأنيثها لبنان في الشعر حين قالت: لبنان الجميلة. وترفعت عرش الجمال، وهكذا صح فينا قول طرفة في ذلك الزمان: استنوق الجمل. إن الكلام المرسل لخير من المنظوم، ترى هل كانت تقول: ترفعت عرش الجمال، وسبحانك الخلاق، لو لم يضيِّق عليها الوزن، وهل كانت تقول: وديان لو لم تقضِ بذلك القافية.

إلى اللقاء والسلام عليكم.

النقد الرابع

٢٧ / ١٢ / ١٩٥١

كثر الكلام عن حقوق الإنسان بمناسبة ذكرى يوم إعلانها، ولعل حديث الأستاذ يوسف دوناتو قد كان خيرها، فالأستاذ دوناتو حلل ودرس وبحث ما يعني أقطارنا من هذا العمل الإنساني العظيم، إذا تحقق.

أما أحاديث الصباح، فأكثرها معاد معار، جميل، مثلًا: حديث الأستاذ أنور سلطان، ولكن جله ليس له، فطريقته فيه كطريقة وعاظنا، فأكثر مواعظهم ليس من كلامهم … وعلى صعيد واحد تلتقي أحاديث الصباح بأحاديث الأحد، فيتبادلان السلام بالرب … فنسمع الأستاذ ثيودوري يحدثنا عن اتباع طريق الحق والمعاملة، فإذا هو مكرٌّ مفر مقبل مدبر معًا، لا يلتقي بعنوانه إلا لمامًا. أما حديث القس جورج خوري عن الادخار المحمود، فموعظة كنسية تبدأ حسب التقليد بآية بولسية، ثم تختم بأبد الآبدين، آمين … وهكذا كان بسط موضوعه، وخصوصًا مثل البحيرة التي لا مصرف لها، خيرًا من مطلعه البروتوكولي، وختامه الأزلي السرمدي … فليت الوعاظ المحترمين يقرءون لاكوردير وسواه.

ثم تأتي برامج الأطفال وهي من معروضات يوم الأحد، فنراها جميعها معدة إعدادًا حسنًا يحقق فكرة المحطة في إنماء الغرسات الجيدة لحديقة الأمة، وخير ما سمعته منها برنامج السيد حسين فياض، كان مفيدًا، ومسليًا، ومطربًا، أجاد السيد فياض تمثيل رؤيا بحيرا الراهب، وحلم عبد المطلب، فقدم إلى الأطفال خير هدايا العيد.

أما حديث «في ميادين العلم والثقافة» فقد وجدتني مقصرًّا عن مناقشته؛ لأن أكثره كان حسابيًّا كسعر البطاطا وغيرها، ولكن السيد كامل الكولك قد رغبني ساعة تحدث عن زيادة عدد البشر بعد مائة عام، فخفت ألا أجد طعامًا في ذلك الزمان، وأموت جوعًا …

وإذا انتقلنا إلى برنامج المرأة وجدنا حديث النشاط النسوي في جميع الأقطار أخبارًا محلية أجلها شأنًا خبر نوال المرأة اللبنانية حقوقها السياسية، وجعل صناديق الاقتراع واحدة للجنسين، فالحمد لله على السلامة … أما الأبحاث فأكثرها لذيذ كبحث عبقرية المرأة وأنوثتها للآنسة عادلة فروخ، كان هذا البحث نفسانيًّا فسيولوجيًّا، ولكن تكريرها كلمة رسالة المرأة لم يعجبني … أما كثرت جدًّا هذه الكلمة حتى أصبح لكل ما هب ودب «رسالة»؟

وفي حديث الآنسة فهيمة حافظ عن مكتبة الطفل متعة تحليلية، ولكني أوثر أن تترك تلك العناوين فلا تقول: وصف القصة، مميزات القصة، فوائد القصة، ولا أولًا وثانيًا، وثالثًا، وأخيرًا فهي تحدث ولا تؤلف. وفي تلخيص الكتب أجادت الكاتبة أسمى طوبي، ولكن الكتاب الذي لخصته اهتم بأمر صحفيات أكثر من الكاتبات، وكثيرًا ما تكون منشئة الصحيفة غير كاتبة كالسيدة ألكسندره فيرنوه، مثلًا.

أما ذكرى السيدة هدى الشعراوي، فأحسنت الآنسة عزام إحياءها، وعددت أفضال هذه الزعيمة على نهضة المرأة، إذ حاربت الحجاب، وتعداد الزوجات، وأسست جمعية الاتحاد النسائي، ففتحت آفاقًا شتى بوجه المرأة.

ولعائشة مرعي حديث مولد فتان كان جامعًا مؤيدًا، ومن حق المرأة أن تبدع في ذكرى المولد الشريف؛ لأن حقوقها، بل قل حياتها قد ضمنت يوم ولد الرسول المكرم، فإذا كان الدكتور مصطفى جواد أبا بصير هذا الموسم، فقد كانت عائشة خنساءه، وكلاهما كانا مناضلين.

وهنا لا بد للمذيع من قرصة، كان يمد لبعضهم فراشًا وثيرًا ناعمًا، وينيِّم البعض الآخر على الأرض، فالدكتور مصطفى — مثلًا — دكتور وفقط، أما هذا وذاك، وتلك وهاتيك، فترقص أمام موكبهم الزفزافات، وتعدو خلفهم سيارات الجيب.

لم يبق لدينا من برنامج حبيبة القلب إلا ما سمعنا في باب «بدأن الحياة»، سمعت غناء قبل دخول الموضوع، فاتهمت أذني، فعدت إليه ظهر الغد، فإذا أنا غير مخدوع، لم أستغرب تلك الطرافة التي يرتجلها الأستاذ بيبي فتجيء عفو الطبع، وتلك شنشنة أعرفها من أخزم، ولكنها حلوة جدًّا، وهل أحلى من امتحان الحسان ذوات الصوت

المرنان؟ كانت تلك البادرة طريفة كأسئلة الآنسة إنعام الصغير فيما بعد، وما كان أعظم حظ «فيروز» المطربة الناشئة بهذا الإعلان الطريف.

أما ندوة الشرق الأدنى فأسمعتنا حديثين: الأول: أبطاله الشيخ سعيد تقي الدين، القصصي الطريف، والأستاذ عبد الله مشنوق مارك توين العرب، والدكتور قسطنطين زريق ابن خلدون الوعي القومي. لقد أحكمت قعدتي أمام المذياع؛ لئلا أستلقي على قفاي من الضحك، ولكن ظني قد خاب، فأدباؤنا هابوا المرأة، وكم أرهبت المرأة من أبطال، لم يمسها إلا سعيد بقوله: تبرُّج اجتماعي، وكفى الله المؤمنين القتال.

أما القصص، فاثنتان: واحدة للأستاذ رشاد دارغوث القصاص اللبناني المجيد، وعنوانها: نصيحة بلا ثمن، الأستاذ يعرف كيف ينتقي شخوصه، فيأخذهم ممن قتلهم معرفة، فيجيد التحليل والقص، لا يحرم أبطاله من تهكم رصين وسخر ناعم، فيقول مثلًا: صارت مشروع ابتسامة، ناهيك أنه بارع في خلق شيء من لا شيء، كذلك السر الذي لم يبح لنا به. قد لا يكون هنالك سر، ولكن الفن صيره سرًّا يشغل البال. وإذا عرفت أن دارغوث متأدب بأدب السلف حتى التَّزمُّت يزول عجبك من استكباره سؤالًا بسيطًا: كم صار معاشك؟ فإذا كنت لا تفهم شخصية دارغوث على حقها فلا تفهم قصته فهمًا تامًّا. أما القصة الثانية، وهي للأستاذ يوسف جوهر القصصي المصري الموهوب، فكان عنوانها: «راعية الأحلام»، وهي جميلة العرض والتحليل، وذات عقدة مؤثرة، ولكنه طول ذنب الختام فحطت قصته رحالها، أما قوله: على أحر من الجمر، فلا يتفق مع عباراته الأخرى، ترى أما وجد غيرها في عصر الذرة؟ أما عبارة: ابتلع دموعي، فما أعجبتني، كما لم يعجبني قوله: برأسه البيضاء، فما الداعي لتأنيث الرأس؟ بل ما الداعي لتذكير الحماسة؟ نقول: حماسًا ونخطئ!

وأما الشعر فكان أكثره تقليديًّا، قال الأثري قصيدة خلتها لأبي تمام، والأستاذان: ناجي القشطيني، وعبد الباري شعيشع نظما ولم يشعرا.

وروضة الشعر للدكتور جواد محبوكة كأنها مجمهرة، ولا عيب فيها إلا أن الشاعر، وقد — نظمها أسماطًا أسماطًا، وأغصانًا أغصانًا — يقول فيها: لديا وأبيا، وغويا وريا، قد يعذر من يقول مائة بيت على قافية واحدة إذا احتاج إلى السناد، ولكن مثل هذا المجال القصير الذي يقطعه الرجل على الريق، فلا يحتاج إلى سناد.

مآخذ: وأخيرًا أقول: إنني اتبعت هذه المرة خطة جديدة في التصحيح؛ لعلها أستر، وأقل ألمًا، وبناء عليه أقول: سمعت في هذا الأسبوع أخطاء أهمها هذه: أن بها أخبار

عديدة، والصواب: أخبارًا. وقرأ أحدهم: فاضطَر، والصواب اضطُر (بضم الطاء)، وقال آخر: تعوَّد على، وهذا الفعل يتعدى بنفسه. ثم نواياي: والصواب نياتي. بلغ أشده، وهي بضم الشين، إذا لم أفعل ذلك أكن، والصواب أكون؛ لأن إذا لا تجزم. وقيل: انضام، وهذا الفعل غير موجود، وسمعت بضعة مقالات، والصواب بضع، وأخيرًا: لن أنسى قط، والصواب لا أنسى قط، وأما لما فمتى دخلت الفعل المضارع فهي حرف جازم.

سنة ١٩٥٢

النقد الخامس

١٩٥٢/١/٣

برنامج المرأة: بناء على تقاليد اليوم التي أعطت المرأة حق الصدارة في «التشريفات» حتى أصبحت لا تقف لأحد عند السلام — رأيت أن أقدم نقد برنامجها هذه المرة، مبتدئًا بحديث، الطفل المزاحم، للآنسة إنعام الصغير، العنوان مثير، كان العوام يقولون: ولد ورش، ولا يدرون أنه غيور حتى جاء فرويد، وبعد بهذه الغيرة «الولادية» إلى أقصى حدودها، قابلت الآنسة إنعام بين الغيرة في طفولة البنين والبنات، ولعلها تغير رأيها حين تقارن ما تعلمته في كتب علم النفس بملاحظاتها العتيدة في الحياة … الحديث تربوي ينير طريق الأمهات، ولكني لا أجاري علماء النفس الذين تطرفوا في الموضوع تطرفًا كبيرًا.

ومن غيرة الطفل على أمه ننتقل إلى غيرة الأم في قصة «المرأة الخالدة» للسيدة ألفة الإدلبي، التعبير جميل، والوصف حسن، والمرأة في كل حال هي أقدر منا على وصف غيرتهن. لم تحسن السيدة ألفة تشابك الحوادث في سياق قصتها كما أحسنت التحليل في صدرها. أما الإلقاء فجيد، وإن كانت تخفف صوتها للترنم فيضيع عليَّ بعض كلامها، قالت: في السابعة عشر من عمرها، وهي إما السابع عشر على تقدير العام، أو السابعة عشرة على تقدير السنة، أما تجاعيد فلا تنون؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

وللدكتورة إكرام الصغير حديث عنوانه: هل تكفل القوانين الحديثة الحماية الكافية للمرأة؟ أفاضت في موضوعها إفاضة دكتورة فأثنت على تحرر المرأة الرومانية، وفاتها أن تذكر أنه كان من النساء نبيات عند العبرانيين، وانتهت الدكتورة إلى أن المرأة لم تتحرر

بعد؛ لأن عقلية الرجل تأبى ذلك، إني أخاف يا سيدتي الدكتورة أن يخلو البيت في الغد من السكان، فبعد تحرير المرأة سوف تأتي حرية الأطفال متى بلغوا الفطام.

وفي هذا البرنامج حديث بمناسبة عيد الميلاد للكاتبة المخضرمة السيدة سلمى صائغ، لم تشأ أن يكون حديثًا عاديًّا على النحو المعروف في هذه المناسبة، فكتبت قصة جعلت بطلها رجلًا نذلًا يسرق دينارًا شاءت سيدة رعناء أن تكون بابا نويل، فوضعته في حذاء بنت بائسة مكومة على جانب الطريق، فسرقه مقامر خاسر، وعاد فلعب به فربح كثيرًا، ثم راح يفتش عن البنت ليتبناها فما وجدها، القصة ناجحة، وليت سلمى حدثتنا عن النساء المقامرات بدلًا من الرجال، فموضوع المرأة المقامرة نادر، ولعله أطرف، وقد لا يحسنه إلا امرأة ...

وإذا انتقلنا إلى حديث الصباح رأينا أنه لا بد من التنويه بحديث الأستاذ محمد طاهر اللاذقي وعنوانه: الدجل والدجالون، أما مارون عبود في حديث الميلاد، فما رأيته إلا كاهنًا عتيقًا لا ينقصه إلا الثوب واللحية، أما صوته فأراحنا منه القارئ عنه بالنيابة، فله الشكر.

وهناك حديث جمعة للشيخ محمد المغربل، لقد علَّم الناس الحلم بالمثل بما رواه من حكايات عن رسول الله، كان العنوان: ادفع بالتي أحسن، فأرتنا الحكايتان كيف دفع النبي العظيم فظاظة ذاك الأعرابي الجلف، وألقى عليه وعلى من حضر درسًا إنسانيًّا رفيعًا.

وما زلنا في صدد الأحاديث الدينية فلا بد من الثناء أيضًا على حديث «رسالة الأرض إلى السماء» للقس فريد عودة. إن رئيس الطائفة الإنجيلية في بيروت واعظ ملسان، فالصوت صوت عيسى، واللمس لمس يعقوب، التعابير تعابير خطيب مدني بليغ، واللهجة لهجة واعظ، لم يسم المسيح إلا كلمة الله، والروح الصالح، ومن يطالبه بأكثر ما زال الجميع يقولون على اختلاف الملل والنحل: الكلمة صار جسدًا، وحلَّ فينا.

ثم ننتقل إلى مختارات شعرية للأستاذ أحمد أبو سعد، ظننت أنها باقة طريفة من شعره، فإذا بها لهذا وذاك من الشعر المقروء كثيرًا، كنا ننتظر من صاحب «حمم» ولو بعض حمم فخاب الظن.

أما في الأحاديث الأدبية فقد تحدث الدكتور جودت الركابي عن «مسئولية الكاتب»، وأراده مناضلًا عن الحرية، لا مؤمنا بنظرية الفن للفن، ليس لنا أن نعارض.

ويلذ لي أخيرًا أن أنبه إلى أن استعمال «كافة» مضافة غير جائز، فلا يقال كافة التأثيرات، بل يقال: التأثيرات كافة، وكذلك لا يقال: رب قائل يقول، كما قال الأستاذ تيودوري، بل يقال ورب قائل قال.

النقد السادس

١٧ / ١ / ١٩٥٢

إن ناقد أحاديث الإذاعة كمن يقنص العصفور طائرًا، فإذا لم يكن رشيقًا ضاع التعب. أقول هذا بمناسبة إصغائي إلى برنامج المزارعين، بينما كنت أستمع إليه إذ دخل علي أحد آباء تلاميذي، فأومأت إليه بجمع يدي مستمهلًا، وداعيًا إلى الجلوس، فقعد وأصغى، ولما سلمنا قال لي: ونحن نخطر على بال الناس! أية محطة هذي؟

قلت: محطة الشرق الأدنى، فهز برأسه وهو يقول: هذا حديث ينفع البشر، حقيقة إنها محطة سهرانة، نشتري راديو إن شاء الله، أعجبت الرجل الأخبار والأسعار، ووصفات المكافحة والإرشادات الطبية، ولست أزيد على ما قال؛ لأن فيه الكفاية.

وإذا انتقلنا إلى أحاديث العام الجديد رأينا حديث السيدة متيل مغنم من الكلام الذي اعتدنا سماعه في مثل هذا الموقف، تمنيات وأمانٍ على كل لسان، نضع كل خطيئة تأخرنا في رقبة الاستعمار، وما أحسبه إلا موقظًا للشعوب الغافية.

أما حديث الأستاذ الشيخ إلياس زخريا فذكرني بالريحاني أسلوبًا وإلقاء، وسجعًا وتكرارًا: هي المهرب في المهرب ... هي المطلب في المطلب، هي المصب في المصب، لازمة تعاد وأخيرًا صلاة، ما أحلى الصلاة إذا لم تكثر وتصبح موضوعًا مبتذلًا.

وهنا حديث العيد وعنوانه: «المحبة تستطيع» للسيدة أسمى طوبي، ولكنه لم يكن من بابة مواضيعها التي كنت أسمعها وأقرؤها، عظمت كثيرًا شأن تلك التفاحة لتجعل منها حكاية من طراز: اسق أخاك النمرى، ولكن شتان بين تفاحة يستغنى عنها، ونقطة

ماء يهلك من لم يشربها، وقد هلك، ولكن للتفاحة ذكرى عند المرأة قد لا تطيب لنا نحن الرجال.

ومن الأحاديث الأدبية حديث الشعر في الأدب العربي المعاصر للدكتور سامي الدهان، كان أقرب إلى الفهرسة الشاملة منه إلى الدراسة، وقد استغربت قول الدكتور: المدرسة الشامية، إن صحت التسمية، وهذه التسمية قد صحت منذ ألف عام حين تحدث الثعالبي عن البحتري في يتيمة الدهر، ولعل التاريخ أعاد نفسه. أما المذيع بالنيابة، فكسر الشعر إذ حرك القوافي الساكنة في شعر المعلوف وأبو ريشة، فقال: في خفقانهِ، ومن دخانهِ، وهي من دخانهْ، وفي خفقانهْ.

وتحدث أيضًا الأستاذ عيسى الناعوري عن عناصر الجمال في شعر الشابي، فكانت الدلالة عليها مبهمة، والعبارة فضفاضة مثل قوله: أساليب بيانية جديدة، وعناصر جمال وحيوية. أما ما هي؟ وأين هي؟ وهذا ما ينتظره منه السامع، فبقي في خاطر الأستاذ.

وتحدث الأستاذ جبرائيل كاتول عن مستقبل العلم والثقافة، فأبدى آراء صائبة حول تنظيم مناهج المدارس، ورأى أن توجه المدارس الثانوية طلابها حسب مواهبهم، وأن يعدل عن المناهج النظرية إلى البرامج العملية فلا يرى شبابنا في العمل عارًا. لقد أصاب الأستاذ فتلك المناهج الأرستقراطية هي التي أوجدت العاطلين عن العمل؛ لأنهم كلهم يريدون أن يكونوا سادة يجلسون على كراسي، وأين نجد هذه الكراسي؟

مليح حديث «اختبري معلوماتك» للآنسة أولغا وهبي، وقد اختبرتها أنا معهن، وأشهد أني قصرت في الامتحان، كان في الحديث نكات ولكن الضحك لها كان أكثر مما تستحق، وقد قالت إحدى الممتحنات: النساء عمرهن طويل، وأنا أقول: وسنتحاسب بعد أن ينلن حقوقهن كاملة، ويصبحن غير خاليات من الهم.

أما الشعر في هذه الدورة، فكان جله عراقيًّا، للشيخ بهجت الأثري ولثلاثة آخرين، وجميعهم كانوا يجولون وسط المعمعة، وقد أنشد الأستاذ العوضي الوكيل شعرًا حسنًا، وما أخذت عليه فيه إلا قوله: يا من كمثل الصبح، فليته استغنى عنه.

لم تعجبني أقاصيص هذه الدورة، فقصة «مأزق» للسيد محمد العدنان ابتدأت ابتداء حسنًا، ولكن حشره الشعر فيها ذكرني بألف ليلة وليلة، كما أن ختامها كان مأزقًا حرجًا فلم يستطع كاتبها أن يخرج منه …

وكذلك قصة «الشقيقتان» للسيد يوسف يعقوب حداد، كان فيها تكلف كثير، ومحاولة تعسرت معها الولادة. إن الانتقام من طفل صغير بقتله حرقًا على تلك الصورة

مستغرب جدًّا، أما القصص المترجمة فأرى أن يحسن انتقاؤها لتلك الجماهير، فما كل قصة تستحق أن تترجم للإذاعات، فللإذاعات نوع خاص بها.

أما تعليقي على هامش ما سمعت فهذا هو: سمعت كثيرين يقولون: إلا إن وهي إلا أنَّ، وسمعت من قال: هما وحدُهما، ووحد تفتح دالها دائمًا إلا في قولنا: نسيج وَحْدِه، كما لا يقال: لوحدي أو لوحده، وأكثر المحدثين يقول الاستفادة الحقة، وكلمة الحق مصدر والمصدر لا يؤنث، وقيل: شتانِ وهي شتانَ بالفتح، وقيل: دكانه الكبيرة، والدكان مذكر.

النقد السابع

١٩٥٢ / ١ / ٣١

استل الأستاذ نجاتي صدقي موضوع قصته من صميم قلب الحياة، وموضوعها أستاذ جامعي أحب تلميذته حبًّا جمًّا فخطبها، وليس هذا ببدع، فتعلم الجنسين معًا يربط الصف ربطًا مغنطيسيًّا، أساتذة وتلاميذ، ثم كانت بينهما مباحثة أدبية بعد اقترانهما، فتغلبت الزوجة على معلمها بالأمس، فطعن في جبروته، وأنكر عليها انتقامًا لانهزامه، كل حق ثقافي حتى المطالعة والإصغاء إلى الراديو، وهكذا صارت الزوجة الجامعية «جثة حية» وفقًا لعنوان القصة، أجاد الأستاذ صدقي التحليل والسياق، وما رأيته تجاوز الحد إلا في قوله: شهور العسل، ترى ألا يكفي شهر واحد كما يقول الناس؟

وأقصوصة الأستاذ كامل شهاب، وعنوانها: «أنا القاتل» تمثل ابتهار الجنود في سرد قصص مغامراتهم الغرامية، ولكنني عجبت لجندي يقتل نفسه، ولا يرشق منتهك عرضه بوردة! فأبو الأسود بلَّ يده بقائم سيفه في الكعبة زجرًا لابن أبي ربيعة، فلو لقي بطل قصة الأستاذ شهاب غب كذبه لكان الختام أروع، ومن يعزم على الانتحار يهن عليه قتل عدوه.

وهناك قصة أخرى للأستاذ محمد العدناني، وعنوانها: «على نفسها جنت براقش»، لم يوفق الكاتب إلى مفاجأة تترك أثرًا في نفس المستمع، فليته عنى بالبدء والختام، فالبدء في معركة البيان هو الاستيلاء على المبادرة، والختام هو الضربة القاضية في المعركة الفاصلة.

يصح القول في حديث القس فريد عودة: ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا! الموضوع مطروق، ولكن المحترم أنعشه بالقصص فلم يمل. أما حضرة الأب جبرائيل أبو سعدي، فابتدأ علمانيًّا، وتوسط إكليروسيًّا، وانتهى شعريًّا، لست أدري ما أقول في تقسيمه لمخلوقات الله الثلاثة؟ قال: الملاك عقل بلا شهوة، والإنسان عقل وشهوة، والحيوان شهوة بلا عقل، ترى ألهذا خلق الله الإنسان على صورته ومثاله؟ وجعله خليفة له على الأرض؟ وأما الأحاديث الأدبية فمنها: آفاق جديدة في التفكير العالمي للدكتور حكمت هاشم، العنوان كبير وطريف، ولكن البحث كان عتيقًا في أوله، خليقًا بالعنوان في آخره، ومثله كان حديث «نغم الألفاظ» للدكتور جميل سعيد، فأكثره رواية، ليت الدكتور علل، وقال لنا مثلًا: لماذا آثر العرب قصر الألفاظ، وكذلك كان موضوع الدكتور يوسف العش، الإنشاء أنيق، وأما الموضوع — وهو إثبات وجود إله واحد — فأراه ليس موضوع بحث، وأما حديث الأستاذ محمد الرشدان عن الشاعرة عاشقة الليل فحبَّذا لو كان عميقًا، وهنا لا بد من ملاحظة للإذاعة: كانت الألفاظ لا تصل إلا تعبة منهوكة كالطيور القواطع — العابور في الربيع.

لقد أحسنت محطة الشرق الأدنى إلى شاعرنا العظيم أبو شبكة، أحسن الله إليها، فمن حديث الأستاذ الناعوري الذي لم يترك شاردة ولا واردة إلى أحاديث أخرى، وشعر من شعره أنشد مع الأنغام الموسيقية، لكأني بهذه المحطة قامت بما عليها، وما على غيرها من الواجب، ولهذا أقول لها: عظَّم الله أجرك! وشكر سعيك! أما كانت هي المعزِّي والمعزَّى في وقت معًا؟

وأخيرًا لا بد من الإشارة إلى حديث خالتي أم براهين، الذي لم نجئ صوبه بعد، إن مخضرمًا مثلي يعجبه جدًّا حديث خالته أم براهين، وحديث عمته أم درويش، إنها صنف لا بأس به، وتلوين المأدبة ضروري جدًّا لإثارة المعدة.

المختارات الشعرية كان خيرها مختارات الشاعر إبراهيم العريض، ومع ذلك بخل عليه بلقب الشاعر حين قدم، وفي مختارات الشاعر عبد القادر الناصري، وثبات تبشر بخير جزيل كقوله مثلًا: فمن عينيك أحلامي تطل، وكقوله: كظل يداعبه البرعم، أبشر بالخير يا ناصري، وأما مقطوعات الشاعر محمود رمزي نظيم فتسميتها أراجيز من باب تسمية الكل باسم البعض، كان حظها من الخيال قليلًا، وأما ديباجتها فبحترية.

وفي برنامج المرأة فلتكن أول كلمة موجهة إلى الآنسة كرم حنون التي قدمتها الآنسة إنعام الصغير، سمعتك يا حضرة الآنسة تقولين: إنك تكتبين القصة الصغيرة، فنصيحتي

لك — ولا أغرك منها — لأنك ممن بدأن الحياة، أن لا تهاجميها قبل اكتمال العدة، فلا تكوني كأثر المتأدبين والمتأدبات الذين يخربشون جملًا وتعابير، ويسمونها قصة، القصة يا آنستي عمل عظيم، فألف حذار.

ولقد سمعت هذه المرأة مواضيع قيمة في برنامج المرأة، مثل حديث الكاتبة الكبيرة السيدة سلمى صائغ التي عرفتنا بكاتب لبناني مهاجر كتب قصة بلغة بلاسكو إيبانيوز الروائي الإسباني الأشهر، ثم برز وتوفق، ومثل حديث تحديد النسل الذي بحثته سيداتنا الخائفات على انقطاع الخبز إذا كثر الناس، ترى ألم يبلغهن بعد خبر القنبلة الذرية والهيدروجينية؟! وقد يخلق الغد قنابل شيطانية إن كان يخرج من عقل الأبالسة قنابل أشر من هذه …

وأخيرًا الجلسة الزجلية، كم كنت أتمنى أن تكون ارتجالًا، أي أخذًا وردًّا؛ لتظهر عبقرية شعرائنا، وما على جلستهم لو خلت مرة من الأبيض والأحمر، أفلا تفيض القريحة بدون ذلك.

النقد الثامن

١٢ / ٢ / ١٩٥٢

كيفما جلت في برامج محطة الشرق الأدنى تجدك كأنك في مخزن من هاتيك المخازن الحديثة التي تكفيك مئونة اللف والدوران في شوارع المدينة، ما كفى المحطة أن جعلت برنامج المزارعين أسبوعيًّا حتى أعلنت أمس استعدادها لإجابة كل مزارع عما يسأل، كانت المحطة منذ أعوام، ولا تزال، وكالة أنباء مجانية تغذي الصحافة العربية نشرتها الإملائية، وها هي تصبح اليوم معهدًا زراعيًّا، والله أعلم ماذا تحدث غدًا من فروع.

كان الضمان الاجتماعي هدف البرامج منذ أسابيع، وآخر ما سمعت عنه كان حديث الأستاذ نور الدين داود الذي ألقى نورًا على هذا الموضوع، وزوَّد السامع بمعلومات وافية، ثم تحدث الأستاذ محمود أبو زايد عن هذا الضمان أيضًا في «ركن العمال»، وراح بعدئذ يحدثنا عن حالة عمال شرقي الأردن وفلاحيها حاثًّا على تأليف النقابات، ويدخل البرنامج صميم البيت، فتبدي السيدة نجوى ملاحظات ثمينة للنساء اللواتي يتجمعن حول من يدركها المخاض، فتزداد ضيقًا على ضيق، ولا تنتهي السيدة نجوى من إرشاد النساء ليحسنَّ تربية الطفل الأول حتى تتناوله الآنسة فوزية ناجي من حيث علاقاته مع والديه، وتشير عليهما بما يفعلان ليربيا ولدًا مفلحًا. وينتقل البحث إلى المدرسة فتعقد جلسة نسائية في الأردن حول هذا الموضوع. إن التربية البيتية يا سيداتي هي أساس تكوين الشخصية، المدرسة لا تقوِّم ما اعوج في البيت، وقد جربت هذا عشرات السنين، وما وفقت إلا قليلًا، فعليكن وحدكن المعول، قال القدماء: قل لي: من تعاشر؟ أقل لك: من أنت؟ وأنا أقول بعد التجربة: ابنك ينم عن بيتك.

ومن هنا ننتقل إلى موضوع آخر يقرب من هذه ألا وهو مشكلة تعليم اللغة العربية، تناول هذا الموضوع ثلاثة من أساتذة الجامعة الأميركية، فقالوا: إن أساليب هذا التعليم عقيمة، ولكنهم لم يصفوا دواء يصيرها ولودًا ... سمعتهم يقولون: طريقة علمية، وأما ما هي الطريقة العلمية فلم يقولوا، وقالوا: فلنضرب بضرب زيد عمرًا عرض الحائط، ولكنهم لم يرشدوا إلى الضربة القاضية، وتحدثوا عن الكتب الحديثة، وأراها موجودة، ولكنها تحتاج — في نظري — إلى من يحسن قراءتها ليعلمها غيره ... وذكروا سرعة القراءة، وكيف يقرأ غيرنا ٥٠٠ كلمة في الدقيقة، فهل أغالي إذا نشدت عشرة تلاميذ وحائزين البكالوريوس يقرءون عشرة أسطر قراءة صحيحة!

ورأى الأساتذة الأفاضل شهلا ورفيقاه أن مفردات اللغة تحتاج إلى تنقية، أفلا يرون معي أن الدهر نقاها؟ فمن يقول اليوم، كما قال لبيد:

صعل كسافلة القنا ظنبوبه وكأن جؤجؤه صفيح كران

وبعد، فأرانا محتاجين إلى من يحل هذه العقدة لا إلى من يصفها.

وإذا رافقنا ندوة الشرق الأدنى إلى دمشق سمعنا الأستاذ شفيق جبري، يحدثنا على هينته أحاديث طلية عن الأمس القريب، فخيل لي أنه غريب عن الساعة التي هو فيها، كان مستوليًا دائمًا على المبادرة يصل حكاية بحكاية، ويا ليته تكلم ساعة.

وكان عندنا في هذه الفترة أربع ذكريات: الأولى: ذكرى علي الجارم، وقد أعد لها السيد موسى الحسيني برنامجًا رائعًا، فعرف الكثيرين بالفقيد الغالي، وأسمعهم شيئًا من شعره ونثره وأخيرًا صوته، وهذه الصفائح الناطقة التي تنشر الموتى، وتهيج شئون المحبين هي إحدى حسنات هذه المحطة، ولولاها لم يسمع صوت فؤاد سليمان في حفلة أربعينه.

والرابعة: ذكرى الشاعر المبدع فوزي المعلوف، فكانت الكلمة فيه لأخيه رياض، فأحسن حين سرد ما قيل في أخيه، ولكنه لم يتأنَّ في ضبط حديثه، فقال: المنحوتة قلاعها — بفتح العين — ثم قلب كلمة دراستها — على وجهين حتى استقامت حركتها أخيرًا.

ومن الأحاديث الأدبية كان لنا حديثان: واحد عن الأدب الجاهلي، وأدب البادية أرانا فيه الأستاذ العديسي تقلب شعراء البادية في رواية شعرهم يوم لم تكن حقوق المؤلف محفوظة. والحديث الآخر عن الشاعر كيتس، فقال الأستاذ جبرا إبراهيم جبرا نقلًا عن

الرواة: إنه كان يفرض على نفسه نظم خمسين بيت شعر كل يوم، إن مثل هذا الفرض غريب، ولكن الشعراء في كل واد يهيمون.

ومن أقاصيص الأسبوع قصة «الجوكاندا القاتلة» للأستاذ يوسف يعقوب حداد ليت الكاتب يقل من غرابة العقد التي يوثقها في بعض قصصه، بل ليته يعمل بقول الجاحظ في بخلائه بعدما روى حكاية لا تصدق. قال: وإنما نحكي ما كان الناس، وما جوز أن يكون فيهم مثله؛ لأن الإفراط لا غاية له.

أما أقصوصه «ربيع» للأستاذ رشاد دارغوث فهي جيدة سبكًا وتحليلًا، ولكنها ليست فنًّا، من طراز تلك الأقاصيص التي يحسنها، ويتفوق فيها؛ لأنه يعيشها ويرى محيطها وشخوصها.

ملاحظة: سمعت أحدهم يقول: أفهمنا بأن، كما سمعت إحداهن قالت: هذه أشر من تلك، إن لفظة شر أفعل تفضيل بدون همزة، وفعل أفهم يتعدى بنفسه لا بالباء، فيقال: أفهمه الأمر، لا أفهمه بالأمر.

النقد التاسع

١٩٥٢/٢/٢٦

تفكر محطة الشرق الأدنى دائمًا بإثارة شئون الساعة وشجونها، فما اقترحت على الكتاب بحث مسئولية الكاتب حتى تخطت إلى موضوع «الأدب وواجبات الحكومة»، فعالجه كاتبان: الدكتور عمر شخاشيرو، والدكتور أمجد طرابلسي، شكا الأول قلة الإنتاج الأدبي؛ لأنه لم ير مثل ألف ليلة وليلة، بل رأى الأمة محتاجة إلى شاعر يبكي عنها، ويبارك نهضتها، أما البكاء عنها فما أرى الشاعر من النوائح ليبكي عن أهل البيت … وقد شبعنا نواحًا وبكاء، فنحن إلى شاعر ينخينا أحوج منا إلى من يشجينا ويبكينا … ثم رأى أخيرًا أن تأخر الأدب سببه قلة قراء، وتغاضي حكومات، وضرب مثلًا على النشاط الفني في سوريا حين وضعت حكومتها جوائز للرسم، فبرزت المواهب الكامنة، وقال أيضًا: إن الجامعة السورية طبعت اثنين وأربعين كتابًا، فهب الأدباء من سباتهم، قلت: هكذا فلتكن معاهد الثقافة وإلا فلا لا.

أما زميله الدكتور طرابلسي فراح يسأل عن القصة، والرواية، والتمثيلية، والملحمة، والشعر الوجداني الفني، فوفى البحث حقه، وخلص أخيرًا إلى أن الأزمة أزمة قراء، ورأى أن على الحكومة تعليم الناس ليقرءوا، وأن عليها أن تشجع دور النشر، وتوجه الإنتاج الأدبي بإرصاد الجوائز، فيشحذ الموهبون قرائحهم.

أجل، إن اللها تفتح اللهى، ولكن الأديب الأصيل لا يكتب إلا استجابة لمجاعة روحية، ولست أرى المال يخلق الروائع المرجوة في الأدب، وإن كنت أرى جميع حكوماتنا لا تكترث إلا للنافذين في ساحة العمل لتداوي الحاضر بالحاضر، وماذا يهمها أناس لا يهشون

ولا ينشون؟ فمتى تعاضد الأدباء شعرت الحكومة بوجودهم، ولكن أصحابنا مصابون بمرض النوم تصح فيهم آية أهل الكهف.

وتحدث الشاعر القومي وليم صعب عن الشعر القومي، وقال: إن إلياس الفرَّان كان شاعرًا قوميًّا عندما كان الشعراء الفصحاء يمدحون السلاطين، يظهر أن وليم صعب قرأ صفحة واحدة من شعر الفرَّان، ونسي أن يقرأ الصفحة الثانية، فماذا كان يعمل إلياس الفرَّان في تلك الليالي التي كان يحييها في ذاك القصر، وتلك الدار؟ أليس هو القائل:

يا من فيك الحسن التم وعندك حطت رحالو

إن شاهد حسنك بدر التم حالا بيخبي حالو

أنا من الذين قدروا، ويقدرون الشعر القومي، وربما أفضل جيده على وسط الشعر الفصيح ورديئة، وأرى أن الزجل أقرب إلى القلب والواقع، ولكنه لم يعجبني من الأستاذ وليم صعب هذا التحدي الصارخ للشعر الفصيح، وتحدث المونسنيور نعمة السمعاني عن الله في البيعة والمجتمع، فأحسن التعليل والتحليل، وتحدث الدكتور خليل الجر في باب «الفكر الغربي»، فتطرق إلى الوجودية، وإثبات وجود الله، وكان بحثه جيدًا، وليس لي ما أقول غير أن كلمة شخصاني كريهة، فالجماعة قالوا مثلًا: روحاني ونفساني، ولم يقولوا شخصاني وفكراني وعقلاني، قد يقال: وإذا لم يقولوا فما علينا نحن لو قلنا؟ قلت: قولوا: ولكن لا تنسوا أنهم قالوا رجل، ولم يقولوا رجلة، وقالوا: جمل ولم يقولوا جملة، وقالوا: بعير ولم يقولوا بعيرة، وقالوا: كبش وأسد، ولم يقولوا كبشة وأسدة، بل نعجة ولبؤة، وقالوا: روحاني ولم يقولوا شخصاني، وقال الجاهظ أخيرًا: «وزعم رؤبة أنه يقال: ضبع وضبعة، وثعلب وثعلبة، وأصحابنا لا يقولون هذا، ويضحكون ممن يقولون ضبعة عرجاء.» فهل يكون الأعراب أتم ذوقًا منا؟

وكانت دراسة السيدة سلمى صائغ دراسة شخصية رومانتيكية أكثر منها دراسة أدبية لفليكس فارس، حتى سمعتها تقول: بعينين خضراوين، أما كيف تكون العينان خضراوين في غير عين الشاعر فلا أدري!

وفي الجلسة الأدبية العراقية جال الدكتور جواد ورفاقه في موضوع «هل يحتاج النقد إلى مقاييس جديدة»، فأجادوا بحث النقد القديم، ولم يقولوا شيئًا في الموضوع المقترح.

أما في باب العلم، فعلمنا من باب ميادين العلم والثقافة أن الزيت والماء صارا يمتزجان، فعسى أن يمتزج بعد هذا العقل والسلام مثلًا، وفي باب «العلم في بيتك» كان حديث الآنسة ليلى شاهين مفيدًا وطليًّا. حقًّا إن مثل هذه الأحاديث وغيرها لتستحق لقلب «المدرسة في البيت»، فمن يصغ إليها جميعًا يلم من كل فن بطرف، فلا ينتهي من موضوع حتى يبدأ بآخر مثل: سيكولوجية الطفل للآنسة ليلى اللبابيدي، كان هذا الموضوع طريفًا، والإلقاء مضبوطًا وأنيقًا، فليت النساء والرجال يصغون إلى مثل هذه المواضيع القيمة فيتعلمون «على الماشي»، ويفكرون بحل مشكلة «الجمع بين التعليم والزواج» مع المتحدثات.

ما سمعنا شعرًا في هذين الأسبوعين غير قصيدة «بعلبك» لأمجد الطرابلسي، ولكن دكتورنا في بحثه كان أشعر منه في قصيدته.

أما ندوة الشرق الأدنى، فقد كانت جلستها الأردنية صاخبة جدًّا حتى ضاع عليَّ أكثر كلامهم، مع أني كنت أحب أن أسمع صوت تلميذي نسيم نصر، وأخبار نقد صحيفته، كما أصغيت إلى شخصية الأسبوع، فسمعت صوت رفيق المدرسة الأستاذ محمد إلياس نمور، ولم أتعجب من وضعه النقاط على الحروف؛ لأني لم أنسه، فشكرًا للأستاذ اللوزي الذي جمعنا بعد ٤٦ سنة، ولو بالصوت.

أما أقاصيص الأسبوع فثلاث: اثنتان للأستاذ باسم الجسر، والدكتور صفاء خلوصي، والثالثة للآنسة رشيقة العمري. فلندع النقد الفني هذه المرة فقد أكثرنا منه، ونقل كلمة في العبارة. سمعت هذه الجملة: فماذا عساها ملاقية هناك، وهي لا عامية ولا فصيحة، وشر الكلام ما كان كذلك. وقيل: لم تكن لوحدها، وهذه اللام تذكرني بما كنا نعلقه بذنب الهر ونفلته، وقيل أيضًا: تمالك نفسه، وهي إما ملك نفسه، أو تمالك بدون النفس.

النقد العاشر

١٢ / ٣ / ١٩٥٢

الأستاذ بهيج عثمان أديب أصيل، وكثيرًا ما يفكر بالأدب ومشاكله، وها هو يمسك بتلابيب الأستاذ أنيس الخوري المقدسي، ولا يفلته حتى يستطلعه آراءه في الأدب ومشاكله، فيرى الأستاذ المقدسي أن يمزج تاريخ العرب بآدابهم، وألا يدرس الأدب على أساس الأشخاص، وهو صاحب كتاب أمراء الشعر العباسي! يسأل عما أحدث أكبر انقلاب أدبي، فيرى أنه إعلان الدستور العثماني، وهو الذي خلف القصة، وولد المسرحية والرواية والملحمة.

أما أثر الصحافة في الأدب، فأجاب عليه الأستاذ وأصاب إذ قال: إن معظم أدبائنا بدءوا حياتهم الأدبية على صفحات الجرائد. أجل، إن الصحافة هي التي أنزلت الأدب إلى ميادين جديدة كالقصة والرواية، وكذلك اقتضت حالة المدرسة أن تكون المسرحية، فكانت قبل إعلان الدستور العثماني وبعده.

وكان موضوع اللغة العامية أبرز أبحاث هذين الأسبوعين، فيسأل الأستاذ عثمان الأستاذ المقدس: يحاول البعض إظهار آثار أدبية في اللغة العامية، فما رأيك في هذه المحاولة؟ فيجيب إنه لا يحبذ اللغة العامية، ويرى أن الفصحى هي الرابطة الوحيدة للبلدان العربية، ولكنه يرى أن يتكلم رجال العامة بلغتهم في المسرحيات.

أقول: ولا هذا أيضًا يا أستاذ، فهناك لغة وسط، عامية فصيحة، وهذه وحدها يجب أن تكون لغة الحوار، وإلا فالشامي لا يفهم عن العراقي، والمصري لا يفهم عن الاثنين، والحجازي لا يفهم عنهم جميعًا، جاءني جماعة من المغرب فما استطعنا التفاهم إلا باللغة الفصحى البسيطة. أقول هذا بمناسبة حديث الدكتور موسى إسحاق الحسيني

حول العامية والفصحى، قدم الدكتور براهين عديدة وجيهة في الدفاع عن الفصحى كأن هناك خطرًا عليها من العامية، مع أنها ليست أول مرة يظهر فيها هذا النجم المذنب الذي يخوف الناس من دهياء مظلمة … فمنذ ثلث قرن، وأكثر انتصب الخوري مارون غصن بقامته المديدة، وفي يده كتابه عن جمال اللغة العامية، ولكن سرعان ما انطفأ وذهب ذكره مع الدوي … ذكر الحسيني الشاعر سعيد عقل، ومقدمته العامية لديوان الشاعر ميشال طراد، وبينا أنا أتمنى بلهفة أن أرى هذا الديوان، وإذا به يصلني، فقرأت مقدمة سعيد مثنى وثلاث ورباع حتى أحكمت ذلك، فإذا بي أخرج منها، ولا أرى شيئًا من سعيد عقل فيها، قرأت شعر طراد العامي فإذا هو الشاعر الأسمى، وإذا بسعيد عقل الشاعر الناثر قد ذابت شخصيته، وأمست كهلال الشك … وما عرفته إلا من توقيعه، إن للغة العامية مقامًا تصلح فيه كما قال الجاحظ. وبعد فلا يجزعن أحد على الفصحى ما زالت مبنية على الصخرة الأزلية التي لا تتزعزع، ومحافظتنا على الفصحى تحملنا على القول للأستاذ محمود الحوت: مختاراتك الشعرية من القول الطلي الجيد، ولكن قولك: يا أنت … هو كقول غيرك من الشباب: «يا الذي …» إن الضمير يا أستاذ لا ينادى، وإذا ورد ذلك مرة عند الشعراء القدماء مثل:

يا أبجر يا ابن أبجر يا أنتا   أنت الذي طلقت عام جعتا

فهذا شذوذ لا يقاس عليه، ونحن أحوج إلى قطع الزوائد … وكذلك قولك: وعييت في حرم … كلامًا، ففعل عيي يفيد العجز عن الكلام، فلا يحتاج إلى ذكره.

وفي الأردن علت صيحة الأساتذة عبد الحليم عباس، وحسني فريز، وخليل السالم تشكو هبوط المستوى الأدبي، وتدريس الأدب دراسة فارغة، وعدول الأدباء الكبار عن مستوى الأدب للأدب طمعًا بالمال، حقيقة إن الأديب يحتار كيف يتجه؛ فقد علت قبل هذا أصوات من الشام تطلب من الأديب أن يكون مناضلًا، وأن ينزل من برجه العاجي، فما عسى الأديب يفعل؟

وفي برنامج المرأة كانت أشياء مفيدة كالنصائح المختارة من كتاب ترجمه وديع بستاني، والبحث عن حقوق المرأة في دول العالم، وقد غمزت إحداهن من قناة القانون السوري حيث قالت: وفي سوريا يشترط في المرأة الناخبة أن تكون قد أتمت دروسها الابتدائية، بينما لا يطلب شيء من الرجل … فكأن القائلة لم يبلغها أنهم طلبوا من المرشح للنيابة أن يكون حاملًا الشهادة الابتدائية.

وأما كلمة العلم فكان لها الأستاذ نقولا شاهين، فعرف فيها من أصغى إليها كل فائدة يريد معرفتها، وكان حديث الأستاذ عباس العزاوي عن العراق في العهد العباسي مفيدًا جامعًا، ولكن الإلقاء كان متقطعًا، فكأن الأستاذ يقطع عقبة!

أما قصتا الأسبوع، فإحداهما موضوعة وهي للقصصي المعروف الدكتور عبد السلام العجيلي، القصة جيدة حافلة بالتحليل النفساني مصنوعة على المثال القصصي الحديث، ولكنني أحسب أن مثل هذا النوع من القصص لا يلائم سواد المستمعين كما تلائمهم القصة التي ترجمتها الآنسة سميرة عزام عن ذلك الزوج الذي كان كالحمل، وهو لولا يكون كبشًا لاستراح من تلك الزوجة المستبدة التي كانت تخيط له جميع ثيابه، وتقص وتحلق له شعره، وما بقي إلا أن تحلق له على الناشف …

الترجمة حسنة، ولكن قول الآنسة سميرة: أوشك على البكاء، أشبه بقول المجذوب: يا أنت، أما كلمة لحظتئذ فلا تعجبني، وإن جازت؛ لأن اجتماع الظاء والذال مزعج.

النقد الحادي عشر

٢٦ / ٣ / ١٩٥٢

برنامج المرأة: وهذه المرة أيضًا كان برنامج المرأة حافلًا بكل طريف ومفيد، ممتلئًا كأنه رمانة سكرية، ترى هل تريد المرأة أن تبرهن للمستمع على أنها جديرة بما تطلب من حقوق بينا ينام الرجل على الثقة نومة الهانئ المطمئن؟ إذا شبهت برنامج المرأة بالرمانة، فأرجو ألا يفهم أن البرنامج الآخر كالجوزة الحامتة — المفوفشة — لا، إن فيه لخيرًا كثيرًا.

فحديث العيادة السكولوجية للدكتور ملكيان يستهوي السامع ويفيده، ولكني أفضل أن يكون لدكتورة حتى لا يكون في برنامجهن ذكَر. كان الحوار مع أم نديم عن الخوف، فحذرها من الحكايات الراعبة، ومنذ ألف ومائة سنة أشار الجاحظ بهذا لينام الولد على سرور.

ويلي هذا موضوع «مع الشواعر» فسمعنا شعرًا متينًا كأنه من شعر الذين لا اللواتي، ولكنه يعج باليأس، أبعده الله عن الآنسة مقبولة الحلي التي كان إلقاؤها جيدًا، ولكن الصوت نحيف.

ثم قدم الأستاذ موسى الدجاني الآنسة سلوى ناصر على أنها ممن «بدأن الحياة»، وهي لا تزال طالبة تعد العدة … كانت الأسئلة من ذي وذا، ولكن سؤالًا واحدًا ألقاه عليها الأستاذ باحتشام كأنه الخجل، وهي ليست من العوانس؛ ليلقي الأستاذ موسى هذا السؤال بهذا الحذر.

وكان حديث «العلم في بيتك» للآنسة ليلى شاهين، كما كان لأبيها الأستاذ نقولا من قبل، وقديمًا كان الشعر في بيت زهير كما هو العلم اليوم في بيت الأستاذ شاهين، أليس منه خرج كتاب: القنبلة الذرية بلغة الضاد؟

وفي البرنامج قصة «أم أكثم» للسيدة ربيحة الرشدان، التحليل والأسلوب جيدان، أما الحادث فأراه لا يقوى على حمل ما ألقي على ظهره من أعباء، فليت السيدة ربيحة تهتم في قابل بما يشغل بال سامعها ليرافقها إلى آخر الشوط، ويتنفس تنفس من ارتاح بعد عناء، وهذا من أسرار نجاح القصة.

وقد أعجبني حديث الآنسة سلوى حوماني حول المرأة، رأت أن تستعمل عملها لتأسيس البيت، وأن على ذويها أن يعدوها لتكون أمًّا عاقلة، فالأم دعامة الأمة.

أجل أيتها الآنسة، ولعلهم لهذا قد اشتقوا كلمة الأمة من الأم، إن المرأة يا ابنة أخي تستطيع أن تعمل عملها وعمل الرجل، أما الرجل الذي يعارض نزولها إلى ميادين الكفاح والنضال فهو يفعل ذلك؛ لأنه لا يستطيع الاستغناء عنها، تصوري رجلًا يريد أن يعمل في الداخل، وفي الخارج، ثم احكمي ماذا يحل به.

وعن الأمراض السارية ألقت الدكتورة جمال كرم حرفوش، حديثًا لا يعرف قيمته إلا من ينشغل باله بأهله وأولاده إذا أصيبوا بهذه الأمراض التي تزعج ولا تقتل، ومثل هذا فائدة تلخيص كتاب من الغرب، موضوعه آلام المخاض والولادة، وكم أتمنى أن تكون النساء جميعًا قد أصغين إليه، وإذا تجاوزنا تخوم الأبحاث، ودخلنا منطقة الأدب سمعنا حديثًا للسيدة أسمى طوبي، كان الموضوع الربيع، وهذا وقته، فاستقبلته السيدة طوبي استقبالًا جبرانيًّا، والربيع أحرى الناس بلسان الخيال؛ لأنه يوحي ويهيج الذكريات، لقد أجدت يا سيدتي، ولكن قولك ما فوق البنفسجي، ليس مما يعني الشعراء، فليتك بقيت عند البنفسجي.

وعلى ذكر الربيع ننتقل إلى برنامج الرجال، فنسمع في ندوة الشرق الأدنى أصواتًا مصرية — من زمان هذا القمر ما بان — ولكن الربيع يخلق ما لا تعلمون، فها هو الشاعر عبد الرحمن شكري يتحدث عن ربيع البحتري، وأبى تمام، ثم يعود الشعراء إلى شعرهم، فيسمعنا الشاعر الأستاذ عادل الغضبان أبياتًا بارعة جدًّا في وصف الفستق الحلبي … لقد ذكرتني أبيات الغضبان الرائعة بما رواه ابن رشيق في وصف الحجل، ولعلي لم أقرأ بعد وصفًا للفستق، فهنيئًا للشهباء بشاعرها الذي ما برح يحن إليها ويذكرها، وإن شط المزار، وفي باب بريدنا الأدبي سمعت حديثًا عن عقلية الجماعة، وإن

كنت قد عرفت من دركهايم وله بون وغيرهما أن الجماهير بلا عقل قد يضللها أبله أو ولد.

أما موضوع الفكاهة في الأدب العربي والإنكليزي فكان في استطاعة صاحبه أن يكون أفكه لو فتش أكثر في شعر جرير والأخطل وغيرهما، وفي هذا النطاق سمعت من قال، ولكني لا أدري من: رب سائل يقول، والوجه: ورب سائل قال.

وتكلم المصور الفنان الأستاذ مصطفى فروخ عن البساطة في الفن فكان بارعًا في بحثه وصوره، حلو العبارة رشيقها، فكان فنانًا وأديبًا في وقت معًا، فعبر عن جمال الفن بلغة الأدباء، مقارنًا بين فني التصوير والكتابة، ثم لم يقف عند هذا الحد فروى شعرًا يؤيد مزعمه الفني، وما أحلى ما قاله أحد الفنانين لسائله: إني أخرج صوري بدم قلبي، وكذلك الشاعر والكاتب، فإذا لم يغمسا قلمهما بمحبرة القلب فلا يجيدان.

وقد ألقى حضرة الكاهن نجيب قبعين «حديث أحد» موضوعه: مقاييس الحياة، فبدأها بالإخلاص، وختمها بالأمانة، أفلا يرى سيادته مثلي أن الإخلاص أمانة وزيادة، لقد أجاد حضرته، وكلام رجال الدين يستملح ويقنع متى قلت شواهده «الكتابية» التي يكثر رجال الدين منها. ومثل حديث الأحد إجادة كان «حديث الجمعة» للأستاذ علي الطنطاوي وجامعًا.

وسمعت «حديث صباح» مقتطفًا من كتاب: كيف نطلب السعادة، كان موضوعه الخوف من الإخفاق، فلذَّ لي جدًّا، ولهذا أتمنى على الإذاعة أن تكثر من مثله.

وأصغيت إلى حديثين في سبيل الإصلاح، أحدهما في سبل الإصلاح القومي، للأستاذ رمضان لاوند، ولست أدري لماذا بتر واستعيض عن تتمته بالموسيقى، والآخر للقاضي شكري المقتدي، وعنوانه: «إصلاح المجتمع العربي»، لقد عزا القاضي تأخرنا للأثرة وفقدان الشعور بالواجب، وحب الخيال، والعبارة المنمقة، ومن أدرى من القاضي البصير بمواطن الضعف فينا.

وافتتحت الآنسة إنعام الصغير — في برنامج الرجال — موسم ابن سينا بحديث قيم بزت فيه من سمعتهم، يتحدثون عن أبي علي في الإذاعات الأخرى، كان حديثها أكبر من تعريف وافٍ بابن سينا وفلسفته، جالت جولة موفقة في موضوعها، وعسى أن توفق إلى آخر مثله في العراق؛ حيث تمثل لبنان في المهرجان، وقد أحسنت إذ اعتمدت على الأستاذة جواشون، فجاء درسها مجتمعًا أشده، تهنأ عليه تهنئة حارة، وبيدي الثنتين.

أما شخصيات الأسبوع، فقدم سليم اللوزي شخصية مختصة في موضوعها وهو السيد سعيد فواز، فبحث موضوع الاقتصاد بحث خبير، وقدم الأستاذ موسى الدجاني السيد عزمي النشاشيبي، فكان في حديثه محنكًا خبيرًا، ظريفًا يضرب في كل فن بسهم.

وقدم الأستاذ أيضًا الأستاذة ثريا ملحس، فكانت تدق أبواب الأسئلة دق مدل، وكانت حتى في المحاورة مع الأستاذ موسى تنثر عباراتها رصينة ملونة تنضح منها الحياة والثقة بالنفس، وليس هذا بكثير على صاحبة «النشيد التائه» المرنان، كان صوت الثريا جهوريًّا حين تجيب بينا كان صوت موسى ينخفض أحيانًا حتى تحسبه يحدثها سرًّا في المذياع.

وختامًا نلم بقصة الأسبوع للأستاذ جعفر الخليلي، القصة جيدة الحبكة والتحليل، والموضوع معضلة اجتماعية خطيرة، وخصوصًا إذا كانت العاقر غيرى لا تحتمل حتى في المنام أن ترى لها ضرة ... وما أثقل الضرات.

النقد الثاني عشر

٨ / ٤ / ١٩٥٢

كان حديث الدكتور محمد كامل حسين عن تأثر الأدب العربي بالثقافات الأجنبية، فعرضه عرضًا وافيًا بحاجة المستمع كما تقتضي حال الإذاعة. ثم كان صباح فسمعت متحدثًا عن السعادة يقول: السعادة كالجمال فأعجبني التشبيه، وظل يرمي فيصمي حتى قال: والسعيد هو من نظر بعين العقل، أما المتنبي فقال غير ذلك:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

وأفاض الدكتور حكمت هاشم في حديثه عن الفكر العلمي — قديمًا وحديثًا — وقد أحسن كل الإحسان إذ عد الجاحظ من زعمائه الأولين، وقد أدرك ذلك ابن العميد فقال: كتب الجاحظ تعلم العقل أولًا.

وصورت السيدة جار الله الحسيني في حديثها ذاك الصراع الذي قام بين الست زبيدة وزوجها الرشيد حول الأمين والمأمون، وهو الذي استحال بعدهما إلى صراع بين الفرس والعرب.

ومن أصغى إلى مطالعات السيدة ممدوحة السيد تتبادر إلى ذهنه الحكمة العامية القائلة: لا يخلو رأس من الحكمة، روت لنا كيف تعالج الأسود والقرود والجمال، وغيرها من الحيوانات فتذعن، وتطيع وتبدي الرضا والاشمئزاز، ثم كيف تنقاد إلى من يسوسونها

في الأزمات والشدائد، كانت هذه المطالعات منوعة طريفة، وأسلوبها جميل، وعبارتها صحيحة.

وما أخذت عليها إلا قولها: أرض تلك البلد، والبلد مذكر، ثم قولها: تمالكت أعصابي، وقد أشرت إلى هذه الأخيرة في حديث سابق.

وكان حديث معالي الأستاذ رشيد أفندي كرامة مع الأستاذ سليم اللوزي صريحًا، ولا بدع في ذلك، فالابن سر أبيه، ولعل الأستاذ كرامة هو أول شخصية أسبوع تسأل سائلها، إنها بادرة طيبة فليتها تذيع وتذاع.

وكانت المختارات الشعرية للدكتور أمجد طرابلسي، وسليم الزركلي، وأبي سلمى، كان أبو سلمى أقرب إلى الشعر المعاصر من صاحبيه حيث قال في ولده:

فيك شذًا من أمل وأرج من موعد

وقد ضعت مع الزركلي، وما وجدت مبررًا لقوله: خفرًا من كواكب أعلام — بالضم — كما لم يعجبني قوله في القصيدة عينها: كالعذارى أصابهن الغرام، فلفظة «أصابهن» واهنة هنا، وكذلك قوله من قصيدة أخرى:

نحن قوم تملك الحسن فينا …

وفي باب «بريدنا الأدبي» سمعت أيضًا شعرًا للأستاذ عبد القادر محمود، ولكن الموضوع صار مملولًا كغزل القدماء. أما المذيعة، فلا أدري لماذا توقفت حين قدمت قصيدته «خمر وجمر»، غصت عند لولا الحب، وتعطلت لغة الكلام هنيهة.

ومما لفت نظري في برنامج المرأة حديث الآنسة حفصة عثمان حين تحدثت عن شخصية المدرسة، وأثرها في تربية الطفل، وتطلبت من المعلمة أنيق الملابس، وأنى لها هذا، وهي ممن يمتهنون التعليم؟ وكان حديث الدكاترة: نبيه فارس، وإسحاق الحسيني، وجبرائيل جبور حول «الزواج الباكر»، فرأى أحدهم أن الزواج يخمد عواطف الأدباء، وكأنهم لا يدرون أن الأدباء بشر، وربما أحبوا أكثر من مرة كما نعلم من سير حياتهم …

وذكرني جدالهم الحامي حول سن الزواج، فتذكرت قياسًا ألمانيًّا لا أذكر أين قرأته، وهو أن نضيف عشرة إلى عمر الرجل، ونقسم على اثنين فيكون الجواب عمر الزوجة، فلنفرض أن عمر الرجل ثمانون، وأضفنا إليه عشرة، وقسمنا على اثنين علمنا أن عمر

الزوجة الموافقة لهذا العريس اليانع النضير يجب أن يكون خمسة وأربعين، وما أحسب هذه القاعدة بعيدة عن الصواب.

أما في الأقاصيص، فكانت قصة الآنسة سميرة عزام خير أقاصيصها الموضوعة، أما قولها وقول غيرها أيضًا: غذ السير، فصوابه أغذ السير، أو أغذ في السير.

وكانت قصة «إخلاص خازن» للدكتور يوسف العش جيدة التصميم، وأحسن ما فيها محاورة إبراهيم الخازن مع نفسه كان الختام جميلًا، وكاد يكون أزخم وأجمل لو وقف الدكتور عند: تعال خذها على الحق من هذه الزاوية.

ما لنا ولإبراهيم ودموعه. ورؤيته ينوء بحمل العشرة آلاف دينار بعدما رفضها حرامًا، فهل من يتعظ؟

النقد الثالث عشر

١٩٥٢/٤/٢٢

كان ركن الطلبة ركنًا أدبيًّا مكينًا، اختار له الأستاذ نهاد العمري طالبين جامعيين من تلاميذه في الدراسة الثانوية، وراح يسألهما عن تطور الشعر العربي، فأصابا حين رأيا أن للطبيعة والعلوم والترجمة يدًا في تطور الشعر العباسي، أما فيما عدا هذا فقد كان الطالبان برنامجيين، فما استشهدا به من شعر المتنبي وابن الرومي لم يكن غير ذلك الشعر الذي نقله مصنفو تاريخ الأدب العربي. إن هذه الكتب وطرق التعليم تجعل من الطلاب أبواقًا ينفخ فيها أساتذتهم ألحانهم المعهودة ... فلو روى الطالبان شعرًا غير الذي يرويه المنهجيون من قول ابن الرومي لكانا قالا شيئًا جديدًا، فلو رويا — مثلًا — وصف بحيرة طبريا بدلًا من قصيدة المتنبي في وصف أسد بن عمار لكانا خرجا من منطقة أصحاب كتب المناهج، ولكن هذه الآفة ليست في كتبنا وحدنا، بل يجدها المطلع في جميع كتب المناهج العالمية.

زعم العمري في أثناء تحدثه مع تلميذيه أن الشاعر الأعرابي الذي شبه الأمير بالكلب في حفظ الوداد، وبالتيس في قراع الخطوب، هو الذي قال فيما بعد: «عيون المها بين الرصافة والجسر.» ترى ألم يقرأ الأستاذ مقدمة ديوان ابن الجهم القيمة للشاعر العلامة خليل مردم بك؛ ليعلم أن شاعر «الرصافية» نشأ في بيئة هي من الحضارة والعلم في الذروة.

وكانت الجلسة الشعرية عراقية، فقال أحدهم: التقيت بالأخان! وهذا غريب من شاعر يقدم للمستمعين، ولعل التصنع الذي استعمل في تقديم هذه الجلسة جر إلى

مثل هذا، أما الشعراء فؤاد عباس ومحمود الحوت وخاشع الراوي فأسمعونا شعرًا فيه الغث والسمين، وكانت مختارات الأستاذ عبد القادر الكرمي فإذا هي متنوعة الأغراض، وأسلوب الشاعر جديد بمقدار، وفي برنامج المرأة يذكرنا شعر الآنسة فدوى طوقان بأخيها الشاعر طوقان الذي اخترم، ولم يتمتع بخاطره.

وإلى جانب الشعر يحق لنا أن نضع حديثين فصحيين، الأول: وضع في باب قصة الأسبوع، وما هو، قصة إن هو إلا قطعة شعرية رفيعة، وإن كان نثرًا، فقطعة الأستاذ إلياس خليل زخريا، وعنوانها: «يوم الجلجة» حافلة بتحليل عميق لنفسية المجدلية في تعبير شعري طريف عذب، ومع كل هذا لست أعدها قصة، بل نشيدًا، إنها قطعة رائعة، وإن قال فيها مثل: «يخرج الضمير من الضمير، ومريم المجدلية من مريم المجدلية، والشبح من الشبح.» سوف تأتي ساعة «يخرج» فيها إلياس زخريا من إلياس زخريا، وأتمنى أن تكون جد قريبة.

أما القطعة الثانية، فللآنسة سميرة عزام وهي في هذا الموضوع أيضًا، أحسنت بدأها وختامها، ولا أدري لماذا قالت الجلجثة! ترى ألموسيقاها الرخيمة، أم لسهولة النطق بها؟ وهناك حديث آخر قال صاحبه أو صاحبته ورجلًا بلباس أبيض «بتنوين أبيض»، وهي ممنوعة من الصرف.

وقد قدم الأستاذ موسى الدجاني الآنسة إكرام الحسيني، وطرق مواضيع دقيقة كالتعليم المختلط، فأحسن هو وأحسنت هي إذ لم تستحسن اختلاط الجنسين في المدرسة الثانوية، وإن لم ترفضه في الجامعة، أما الذي لم أستحسنه أنا فهو أن يقدم الأستاذ موسى الدجاني شخصيتين في يوم واحد.

أما ما أعجبني جدًّا في هذه الفترة، فحديث الآنسة رياض الجابري عن المرأة السورية في حقلها الاجتماعي، كان البحث مدروسًا، والإلقاء رائعًا شائقًا، قالت الآنسة باعتدال، ونعم ما قالت: التعديل ضروري بالنظر للمجتمع، ولكن ضمن دائرة مقبولة، فهي لا تجاري المرأة التي تغالي في المطالبة بحقوقها، كما أنها لا تقر من ينكرون عليها كل حق.

وأحسن ما سمعت في ندوة الشرق الأدنى في الأردن، قصيدة الشاعر حسني فريز في الابن، وإن حالت الآهات والقهقهات دون سماع الشعر أحيانًا.

وفي حديث «كتاب وقارئة» للأديبة السيدة سلمى صائغ سمعت الثناء يكال بالمد، ونحن في عصر «البوند والكيلو»، ولا عجب فالنساء والشعراء يحبون الثناء، ولا أقول يغرهن كما قال شوقي.

النقد الرابع عشر

٧/ ٥/ ١٩٥٢

كان لون الإحسان غالبًا على شخصيتي الأسبوعين الماضيين، قدم الأستاذ سليم اللوزي الدكتور مصطفى الخالدي الطبيب المحسن الذي يعطي مما يأخذ فينفق من كيسه وعلمه وعافيته، كان الكلام سجالًا بين اللوزي والخالدي، فحمي وطيس الحديث، ولا يستغرب هذا متى كان المحدث الدكتور مصطفى المشهور بوطنيته وإنسانيته.

واختار الأستاذ بهيج عثمان السيد رشيد بيضون، ودار الحديث حول مشروعه الجبار — المدرسة العاملية — فأدركنا من خلال الكلام أن المشاريع عندنا لا ينقصها إلا المخلصون لترسخ أسسها ويطول بنيانها، وإن شطرنا المغترب كلي الجود على من يثق بأمانته.

وفي الجلسة الأدبية للدكتور إبراهيم عبده وشركاه أعجبت بحكمة محمد علي أبي النهضة الحديثة؛ إذ كان يعهد إلى المجبرين على الإقامة في المحجر الصحي — الكرنتينا — بترجمة بعض الكتب، ثم كيف كان يحبس بعضهم ليترجموا له كتابًا ما، حتى إذا ما استعجلوا وأساءوا التعريب ليخرجوا أعاد حبسهم إلى أن يقر ما ترجموه مجلس خاص. إني أخاله استوحى ذلك من سيرة الرسول ﷺ، فقد كان يوجب على كل أسير يحسن الكتابة أن يعلمها عشرة صبيان من قريش ليفك أسره.

أما جلسة القدس، فكانت كالمناظرة بين الإذاعة والصحافة، فأدى السادة: عزمي البقال، ورجا العيسى، وهاشم، وطوقان، والنشاشيبي البحث حقه، وقد أعجبني قول أحدهم: إن المستمعين يقفلون باب الراديو عندما يأتي دور الأحاديث. هذا صحيح، ولكن

هل الحق كله على المستمع؟ إن للإذاعة في نظري أدبًا خاصًّا لا تزال تفوتنا معرفته، محدثونا يسبحون فوق الغيوم، والمستمعون يمشون على الأرض، فكيف يتلاقون؟

أما دكاترة الأدب فحدثنا منهم الدكتور جميل سعيد عن «إيحاء الأسماء»، وروى نكتة الحجاج حين سأل أحدهم عن اسمه، فأجاب: سعيد بن جبير، فرد الحجاج قائلًا: بل شقي بن كسير، إن من حق الدكتور أن يعنى بمثل هذا الموضوع؛ لأن اسمه جميل سعيد، وما أحلى اجتماع الجمال والسعد!

وحدثنا الدكتور يوسف العش عن «موقفنا من الأدب العربي القديم»، فكان أول حديثه مبوبًا منظمًا، ولكنني شعرت أنه أفلت الخيط في أخريات بحثه.

وفي حديث الصباح الملخص هنا، مجلة المعلم العربي لم يعجبني قول الكاتب: قال أحد الشعراء هذا حين روى بيت المتنبي المشهور: ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ... لأن البيت وصاحبه مشهوران. أما شبعنا من قولهم قال الشاعر: وهل يحسن بالمعلم أن يزيد الطين بلة؟ نحن نطلب اليوم تحقيقًا وتدقيقًا، لأننا في زمن البحث العلمي الذي يتحدث عنه كل من حمل يراعًا.

وأما قصة الأسبوع، فكان منها اثنتان مترجمتان، عرفت من صاحبيهما واحدًا هو الأستاذ نجاتي صدقي، أما اسم المترجم الثاني فلم تلتقطه أذني؛ لأن المذيعة ترخم صوتها حين تذكر الأسماء على عناوين المواضيع، فلا تأتي على آخر كلمة حتى يتلاشى نفسًا في نفس ... يشوش وهي تتأنق فيضيع الكلام بينهما. أما القصتان المؤلفتان، فإحداهما للسيدة ألفة الإدلبي، وعنوانها: «من مآسي الطلاق»، الوصف والتحليل جيدان، وكذلك الحكاية وعقدتها. وفقت السيدة ألفة هذه المرة أكثر من ذي قبل؛ لأنها عالجت موضوعًا تعرف ضحاياه الكثيرة وتحسه، فليتها تكثر من معالجة مثل هذه المواضيع في أقاصيصها.

وثانية هذه الأقاصيص أقصوصة الأستاذ رشاد دارغوث، وهي من طراز قصصه الطريفة، فيها أتم تصوير للفلاح اللبناني الحديث، وفيها النثر الشعري، وفيها الحوار الواقعي كما هو، فقصة مزرعة الضهير تصور الفلاح كما هو في مباذله، ولو تمت لهذه القصة طرافة الحكاية لكانت من الروائع، فالفتاة التي تعرف بها بطل القصة مقحمة إقحامًا، ولذلك جاء الختام ضعيف الزخم بالنسبة إلى السياق الجيد والتصوير الجميل.

النقد الخامس عشر

١٩ / ٥ / ١٩٥٢

جلسة ١٧ نوار الشعرية كانت حافلة بشعر زاهٍ كنور الرياض، عرض فيها الشيخ محمد الصافي النجفي قصيدة عنوانها: «الحرية الخالدة». في هذه الرائعة نفحة روحانية تنبعث من كتلة جسدانية، طبعت على الظرف والفكاهة، ذكرتني رحلة أشلائه بهزء المعري اللاذع، وسخره المضحك المبكي ... حين تحدث عن مصير جسده، وصرخ تلك الصرخة المؤلمة: واهًا له يتغرب ... وما كان الصافي في قصيدته الثانية أقل منه ظرفًا حين صحح خطأ تلك القبلة ... جميل الاعتراف بالخطأ قولًا، فكيف به إذا كان تصحيحه فعلًا كما فعل صديقنا الصافي؟ صحة وعافية يا شيخ، ثن ولا تجعلنها بيضة الديك ... وإذا كان الصافي عتاهيًّا فقد كان أبو ليلى بحتريًّا، فالأستاذ اللبابيدي أسد بلاغة له لبد أظفاره لم تقلم، متنبئ، بحتري في موسيقاه ومعانيه، فقصيدته «أعمدة بعلبك» دمقسية النسج، وقوافيها هدابة المفتل، وكم في القوافي من روعة متى أحكم بنيانها، وهكذا بدت أعمدة بعلبك كأنها ماثلة أمام أعين المستمعين قائلة لهم: ها أنا ذي إن كنتم لم تروني بعد، انظروني وأثنوا على الفن بآلائه.

وأما قصيدة الأستاذ نقولا بسترس، فمن لون آخر، هي نموذج طريف من الشعر الجديد الذي انبثق من لبنان، على يد نقولا بسترس واضع الحجر الأول في بنيان هذه المدرسة، ولكن الوظيفة — قاتلها الله — أخذت منه أكثر مما أخذت من اللبابيدي. جال بسترس في هذا الميدان يوم كان مجاورًا في هيكل ربة الشعر، وقال شعرًا مصفًّى من عيار ٢٤، فشق الطريق لشباب هذه المدرسة، وكأني به قد قال لهم حين اعتكف في

مكتب وظيفته: انحوا هذا النحو، وظل يلتفت إلى الساحة من نافذته، وكأنه يقول: آه من قيود الوظيفة وأغلالها.

سمعت منه في هذه الجلسة قصيدة قالها في ولده، فإذا فيها من ورد نوار جماله ولونه وأريجه، وسمعت مقطوعة من غزله، فإذا هي أرق وأشهى من غزل البنات، شعر يطرب الآذان، ويبهج الطرف، ويغذي العقل.

قد يقول المستمع: أنى لك هذا المدح؟! أما أنا فأجيبه: هو من عند الحق، وما خلقنا للقدح وحده.

أما «روضة الشاعر» للأستاذ عبد القادر الصالح، فكانت أزهارها عتيقة، والتعابير رواسم قديمة العهد تقلل من شأن معانيه الجديدة. فما قولك بهذه القوافي الرخيصة: البدر المنير، ومنقطع النظير، وجه كالبدر يمحو الغسق، سحر عينيك، سبحان من خلق …

وإذا انتقلنا إلى القصة وجدنا قصة «نافخ الدواليب» للآنسة سميرة عزام جيدة، استعاضت الآنسة بالتحليل الموفق عن الحكاية وعقدتها، ولا بأس بذلك.

أحسن الأستاذ أحمد أبو سعد اختيار شخصيته الفذة، فالدكتور عارف العارف نابغة حقًّا، وحسب المستمع أن يقرأ كتابه «مرقص العميان» ليرى ما فتقت فيه عبقريته من دراسة عميقة لنفسية العميان، ولو لم ينصرف الدكتور إلى الحقوق لأدى للآداب حقوقًا كثيرة لا تزال مدفونة في زوايا ذمم عباقرة العميان.

لا أدري لماذا سحبت سبحتي عفوًا من جيبي، وأخذت أحصي كلمات «نعم» التي كان يهمهم بها الأستاذ موسى الدجاني، فقد أربت على حبات سبحتي وهي غير قليلة.

وأما الندوة الأخرى التي عقدت جلستها في بيروت لبحث التجدد، فما جددت شيئًا، وقد أغنانا الأستاذ بيبي بكلمة الختام عن كل ما أقول فيها، ولكنه كان محابيًا إذ قال: إننا كنا في هذه الجلسة بين التقليد والتجديد، أما الحقيقة فهي أنها تقليد وعتيق.

لقد أحسن الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل الكلام في ذكرى مصطفى صادق الرافعي، وتكلم بجرأة وإخلاص عظيمين، وبعبارة من طراز عبارة الرافعي، ولكنه أوغل في السماحة حين عد الرافعي شاعرًا ملهمًا، والرافعي في نثره أشعر منه في نظمه. نعم، كان الرافعي شاعرًا ثائرًا مهتاجًا، ولكن جواده كبا في ميدان التعبير شعرًا عن تلك الثورة الجموح.

وفي باب النشاط الأدبي، سرني الأستاذ سويد حين تحدث عن الأدب المتجهم الذي «يجعل العقدة بين عينيه، والبسمة وراء شفتيه»، لقد أحسن في نقداته، وما كل ناقد حجل، بيَّضتها يا سويد، فإلى الأمام.

وفي باب مقتطفات أدبية من برنامج المرأة سمعت كلامًا عن الطفل، وفحصه الطبي منذ ولادته، فهل هذا أدب؟ أم هو استعداد لتنشئة طفل قد يكون أديبًا؟

النقد السادس عشر

١٩٥٢/٦/٣

وقفت المحطة في عيدها السنوي تحاسب نفسها أمام مستمعيها، وكأن من ينتقدون برامجها من الأباعد لم يشفوا نفسها، فعقد أحد موظفيها، السيد سميح الشريف، جلسة «إني أتهم» مع رؤساء الأقسام، فكان شديد الوطأة غير سميح ... إني أشايعه على ما زعم، وإن كنت أرى محطة الشرق الأدنى أشد المحطات عناية بتجديد برامجها، وأسبقها إلى الخلق، إن الأدب الإذاعي لم يجتمع أشده عندنا بعد، فبعد تهنئة المحطة بعيدها نشكر لها هذه اليقظة، وذلك الحذر فهما يؤديان إلى التمام.

وأطل شهر الله رمضان، أو شهر البركة كما سماه النبي — عليه السلام — فحيته السيدة مسرة فاخوري تحية المشتاق، وتحدثت عنه السيدة زينب الغزالي الجبلي بلغة الأئمة، وأساليبهم، ولهجتهم، فبدت لي كأنها شيخة حقًّا.

وفي باب شخصية الأسبوع قدم الأستاذ أحمد أبو سعد الشيخ محمد جواد مغنية، ودار رحى الأسئلة حول الصوم، وأسباب فرضه، فأعجبني من الشيخ قوله: قالوا: إن الغرض من الصوم هو أن يتذكر الصائم الجياع، فإذا كان هذا وجب على جميع نواب البلاد العربية أن يصوموا دائمًا ليتذكروا الشعب ...

صدقت يا شيخ، ولكن الشعب لا يطلب منهم أن يصوموا ليذكروه، بل أن يصوموا عنه فقط ... أما في آخر الحديث، فتضعضع الشيخ ولم يجب الأستاذ أبا سعد إلا جوابًا متعتعًا حين سأله أن يحدد له التجديد.

وإذا انتقلنا إلى المواضيع المختلفة، سمعنا الأستاذ سليم اللوزي يقدم لنا الأديب القصصي الموفق صاحب «نهم» و«قدريلهو» الأستاذ شكيب الجابري، هالني نبأ خسارة شكيب نصف مليون ليرة في زراعة القطن، وقد قال اللوزي في تعليقه على هذا الخبر: إن الأديب مخفِق في ميادين الأعمال، ولكن كبرياء شكيب الأديب أبت ذلك، فقال: إن أعظم الاختراعات هي بنت الخيال الذي يتمتع به الأديب، ثم قال شكيب: إنه سيكتب إخفاقه قصة، ولا شك في أنها ستكون من الروائع، وستزيد في ثروته الأدبية ما يعوض تلك الخسارة، كان شكيب في محاورته أديبًا أكثر منه مزارعًا، ولا غرو في هذا، فالأديب الأصيل لا يخرج من ذاته إلا قليلًا، ولهذا يخسر نصف مليون.

وانجر الحديث إلى العامية والفصحى، فكان شكيب كما أعهده من أشد أنصار الفصحى حتى رأى أن الناس مقبلون على التكلم بها، إن لغتنا العامية لا تحتاج إلى جهد عظيم لتصير فصيحة؟

فيقال مثلًا: كنت أدرس، بدلًا من: كنت عمبدرس، وبدلًا من هلق، نقول: هذا الوقت، وهلم جرا.

وفي روضة الشاعر ألقى الأستاذ رمزي نظيم شعرًا منظومًا … أحسب أنني سمعت هذا الشعر قبلًا، أو سمعت بعضه، وعند المحطة العلم اليقين.

وفي حديث «نحو عالم أفضل» قال من تلاه: لا يبقى ولا يذر، وهي لا يبقي ولا يذر، إن هذا الفعل ثلاثي من وذر، وماضيه يستعمل، وقد سمعت من بعضهم كلمة أسطح جمع سطح، يترك بعضنا الكلام المألوف، وهذه ظاهرة غريبة من ظواهر هذا العصر، وقال آخر: سِقام، أما سقام بكسر السين فهي جمع سقيم.

وفي البريد الأدبي عرف السيد سيف الكيلاني المستمعين بالشاعر ابن معتوق، فأحسن إلى شاعر مجيد يكاد يكون منسيًّا، ولكن تلك التعابير الفضفاضة مثل: الفكر المحلق، والخيال المجنح لا تعجبني، كما لا تعجبني أيضًا تلك اللحمة «السنكرية» مثل: واسمعه يقول، وما أحلى ما قال، وهلم جرا، يجب أن تكون المباحث الأدبية أكثر عمقًا.

وكان حديث الأستاذ عيسى الناعوري محيطًا بموضوعه «القصة في الأدب المهجري»، أما أعمق ما فيه فمقابلته بين شخوص رماد الأجيال لجبران، وشخوص رواية لقاء للأستاذ ميخائيل نعيمة تلميذ جبران وزميله، كما لقبه الناعوري.

وعرضت الآنسة هند بنداق كتابًا من الغرب موضوعه: المرأة الإنكليزية وسعيها لنيل حقوقها، لقد أحسنت انتقاء الموضوع الملائم، فهو بحق حديث الوقت للمرأة العربية، وقد كان جامعًا ومفيدًا.

أما قصتا الأسبوع، فإحداهما للأستاذ صلاح ذهني، وعنوانها: «التوبة»، إنها أشبه بالقصص الروسية تحليلًا نفسيًّا، وغرضًا اجتماعيًّا، الروس يحبون التوبة والمغفرة، وعلى غرارهم طبع الأستاذ ذهني قصة مصرية فوفق.

النقد السابع عشر

١٧ / ٦ / ١٩٥٢

جمع حديث تنمية الشعور الاجتماعي بين جمال التعبير وصحة التفكير. رافق الدكتور الركابي الإنسان من الكهف إلى القلاع التي وضع فيها حقوق الإنسان، أي عندما صار الإنسان إنسانًا، ثم راح ينظر في بيئاتنا العربية فبان له أنه ينقصنا من هذا الشعور شيء كثير، وأن لا دواء لهذا المرض العضال إلا بالتثقيف، واكتساب الفنون، وإذ ذاك نتسامح مع الآخرين، كان الدكتور صريحًا جدًّا، فما حابى ولا كتم عنا شيئًا من أسرار الداء الدفين الذي يهدد هيكلنا الاجتماعي، فليته يضرب دائمًا على هذا الوتر.

وتكلم الدكتور سامي الدهان عن شاعرية ابن حيوس، وتحقيق العلامة خليل مردم بك لديوانه، كم كنت أتمنى لو أشار الدكتور سامي في هذا العرض إلى جهود المجمع العربي الدمشقي في سبيل إحياء هؤلاء الشعراء، وطبع آثارهم، ولعله لم يفعله لئلا يلحقه بعض الثناء على تحقيقه ديوان الوأواء، وإخراج المجمع له بالطبع الفاخر، فلمردم والدهان، وخصوصًا الأستاذ الرئيس كرد علي شكر العروبة على ما يبذلون بسخاء من وقت ومال في سبيل إحياء الغابرين من رجال القلم، وخصوصًا الشاميين منهم، والأقربون دائمًا أولى بالمعروف.

وفي روضة الشاعر كان شعر الأستاذ نعمان ماهر الكنعاني من المحصول الرائج، وزاد عليه الأستاذ نعمان لهجته الشجية المتنهدة في الإنشاد حتى كدت أشعر بعظيم بلواه وأنا في لبنان، وهو في قبرص.

وتحدث القاضي حسن المأموني بك عن شئون المرأة الكبرى من زواج وطلاق، فلام المجتمع لأنه يتغاضى عن الرجل، ويشجب المرأة المسيئة، ثم انتهى إلى القول في الطلاق أنه أبغض الحلال إلى الله.

وأرادت الآنسة عائدة فهمي هاشم أن يكون لها رأي في تعليم المرأة، ولكنها لم تقل شيئًا مما أوحى به إلينا العنوان.

وفي بريدنا الأدبي سمعت في حديث «الطبيعة في شعر الأندلس» أن شكسبير كان يدعو إلى الريف حيث يعيش الناس بلا أحقاد ولا أضغان، فإذا صح هذا القول كان شكسبير كأكثر من عرفوا الريف من بعيد، ثم قطع هذا الحديث، وانتقل إلى موضوع الشعر الباكي، وخص الباحث باللوم هذا البيت:

أفحتم علي إرسال دمعي كلما لاح بارق في محيا

أظن أن قائله، وهو الأخطل الصغير، قد فاق جميع الشعراء حتى المتنبي في هذا البيت، أما قال أبو الطيب:

ما لاح برق أو ترنم طائر إلا انثنيت ولي فؤاد شيق

فتأمل الفرق العظيم في الصورة بين قول بشارة وقول المتنبي.

وكما قطعوا حديث الطبيعة في شعر الأندلس كذلك قطعوا حديث «العرب والفنون الجميلة» للأستاذ روكسي بن زايد العزيزي، قال العزيزي عن صومعة غمدان، إن النائم فيها يرى الطير في السماء … إن العبارة مقطوعة، فكلنا يرى الطير في السماء أينما نام، أما قصد الجاحظ منها فهو أنه لعظم ارتفاعها كان يميز النائم فيها الطيور المتشابهة. أما رواية العزيزي عن أستاذه الكرملي أن سفر أيوب كتب بالعربية، ثم ترجم إلى العبرية، وضاع الأصل العربي، فأظنه غير صحيح؛ لأننا لا نجد في سفر أيوب لون شعرنا العربي، ثم أراد روكس بن زايد أن يمجد العرب أيضًا فتاه فقطعت المحطة حديثه، وكان أحرى بها أن تدرك الشطط قبل أن تذيع.

وحدثتنا السيدة نرجس داود في مطالعاتها عن أهمية الإحصاء عند الأميركان، فتذكرت تهكم مارك توين بالفرنسيين. أما نديم الصباح فهو نديم حقًّا فليته ككل أيام رمضان، بل ليته يدوم شرط أن لا تتكرر نكاته وطرائفه.

لقد تعسفت هذه المرة الآنسة سميرة عزام في قصتها سرياليزم، فواحد من ألف من مستمعي الإذاعة تطيب لهم قصة كهذه.

أما قصة العجيلي، وموضوعها صوم رمضان، فكانت أقرب إلى الأفهام من تلك، وهي في إبانها.

إن الأخطاء في اللغة والقراءة كانت غير قليلة هذه المرة، قيل: حدقوا فيه، وهي حدقوا إليه. وقيل: الماء المثلج، وهي الماء المثلوج. وقيل: رأسها كانت شفافة، والرأس مذكر، إلا إذا كانت المرأة تؤنثه لتقيم من ذلك حجة للمطالبة بحقوقها.

وقيل: تحرق أيامها على محرابه، وهذه صورة غريبة، بل بدعة أدبية جديدة، وقيل: فصول شيقة، وشيقة لا تؤدي هذا المعنى. وقيل: ورب سائل يقول، والصواب قال، وقرئ ينظرون شزَرًا وهي ساكنة الزاي. أما الآنسة فهيمة حافظ فلحنت كثيرًا، وأخطأت جدًّا في تعبيرها فليتها تدقق أكثر.

النقد الثامن عشر

١٩٥٢/٧/٢

كان أكثر الكلام في هذه الفترة عن الصوم، وفوائده الروحية والجسدية، ثم عن العيد ومعانيه الروحية، وما يجب أن يوحي إلى أصحاب الأكياس الوارمة، والصناديق المنتفخة المبتلاة بالكظة، فهذا أديب الأمس، وقاضي اليوم الشيخ علي الطنطاوي يتحدث إلى الأستاذ أحمد أبو سعد عما رأى ويرى في شهر رمضان، رأى مؤمنين غير متمسكين، رأى أن رمضان فر من الأسواق، واختبأ في الجامع، لم يره في العراق إلا في جامعي الأعظمية والجيلاني، ثم مضى الطنطاوي القاضي يرثي الصوم بلغة الأدباء، لا تحزن يا شيخ ولا تيأس، فإذا كان لا يزال في المسلمين من يصوم فالنصارى عافوه جميعًا إلا نفرًا قليلًا جدًّا.

وكان سؤال أبي سعد عن التقدمية فتجاهلها الشيخ الطنطاوي، وقال: إنه لم يفهمها بعد، واستعار أبو سعد لسان الملحدين ليجرب صاحب الفضيلة، فاحتد هذا واحتدم، وانتهى الوقت المعين، وكم كان الوقت فضاض المشاكل في موقف أحرج من هذا الموقف.

أما جلسة العيد، وقد كانت معقودة من فضيلة القاضي مغنية، والأستاذ الشيخ محمد الشام، والأديب حسين مروة، فأصلت العيد وفصلته، وألم القاضي مغنية بما كان يجري منذ زمان في القرى من مسالمة ومصالحة بين الناس بمناسبة الأعياد، وسئل الأستاذ مروة عن العيد في الشعر، فروى وأحسن التعليل.

هذا ما استرعى الانتباه في هذه الفترة من المواضيع الخاصة أو مواضيع الساعة، أما المواضيع الأخرى فمتفرقة متنوعة.

ركن الطلبة: ما أكثر نوادر المعلمين والتلاميذ وطرائفهم، وكم أتمنى على الأساتذة أن يتصدوا لها فيفكهوا بها مستمعيهم، فللأساتذة نوادر وللتلاميذ نكات كثيرة عفوية لو جمعت لكانت مجلدات ضخمة، فأين المعلمون منها، قال الأستاذ جميل البديري في حلقة طلاب المدرسة الأردنية وطالباتها: من يقصر له صفر مدور، فلو قال كذاك الأستاذ: من يقصر له كعكة بسمسم، لكانت النكتة أبرع وأروع.

وعقدت جلسة أدبية من الدكاترة كزبري، وكرد علي وحداد، فمد لهم الأستاذ بيبي فراشًا وثيرًا، ثم قال: إنه ترك الساحة، ولكنهم ما كادوا يجولون في بحثهم حتى نجم الأستاذ بيبي بغتة، ودخل في الدعوى شخصًا رابعًا لا ثالثًا، تلك خصلة البدن أبعد الله الكفن، فكما كان في المدرسة يضايقني حتى يفلقني، كذلك هو يفعل اليوم كلما عنت له كلمة، فهو لا يدعها، ولو أدت إلى خراب المسكونة.

أما زجل السيدة زينب محمد حسين — وإن نقصته الشاعرية والموسيقى — فلم يفته النقد المر للمرأة، فلو حمل عليهن رجل مثل هذه الحملة لما نجا من خير التحيات، لقد صدق المثل القائل: لا يقطع الشجرة إلا فرع منها.

وكتب الأستاذ نجاتي صديق قصة الأسبوع، وموضوعها «سكة العيد»، فأجاد الوصف والتحليل، وتعسف في الحكاية، التعبير صالح جدًّا للرواية لولا بعض هنات لغوية فيه مثل: تحيك الشباك، ومضارعها تحوك، وإن كان من مصادرها السماعية حياك وحياكة.

وكانت جلسة مع الشاعرة فدوى طوقان، فنسي مقدمها السيد موسى الدجاني أنه يحكي ولا يكتب، فقال عن الشاعر إبراهيم: يضيق عنه الحديث في هذه العجالة! كانت الجلسة غير موفقة أسئلة، ولكن ضحكات السيد موسى العريضة أنعشتها نوعًا ما …

وفي باب روضة الشعر أعجبتني قصيدة للآنسة مقبولة الحلي، هي على وزن وقافية: حكم المنية في البرية جار، وإذا لم تفز الآنسة بالطريف من صور تلك ومعانيها فقد فازت بالتعبير والعاطفة، لم تعجبني كلمة الزأر قافية، كما لم يعجبني التوقف من التالية بالنيابة، وما لي أقول: هذا يعجبني، وهذا لا يعجبني؟ فربما كنت لا أعجب أحدًا.

النقد التاسع عشر

١٧ / ٧ / ١٩٥٢

كانت جلسة الأستاذين خالد الجرنوسي، وعبد الله شمس الدين، والسيدة روحية القليني ضاجة صاخبة بآهات استحسان تلقى على عواهنها، فكأن من عقودها لا يحسبون أن في مستمعيهم من يميز الغث من السمين.

قالت السيدة روحية شعرًا جيدًا، ولكن أحد الأستاذين أكثر من «الله الله الله» حتى خلته جالسًا على تخت أحد المغنين لا في حلقة أدبية.

وعقد الأساتذة عبد الله المشنوق، وسعيد فريحة، وحنا غصن جلسة أدبية طريفة، الكلام عتيق معمر، ولكن الطريف يظل طريفًا مهما تقادم، دار البحث حول تأثير الزواج في مهنة الصحافة، فقدم الموضوع الأستاذ المشنوق ببراعته وظرفه المعهودين، فكان وفريحة يتباريان في حلبة النكتة اللاذعة، ولا بدع، فهما من أربابها، كانت القهقهة في محلها، والضحكة في إبانها، قلت هذا لأنني متألم جدًّا ممن يضحكون، ولا أضحك معهم، كأنهم يظنون الضحكة خرَّاجًا اصطناعيًّا …

أما قصة الأسبوع، للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، وعنوانها: «لقاء في نصف الليل»، فاجتمع فيها جمال التعبير وبراعة التحليل، ابتدأت قطعة شعرية أدبية، وانتهت أطروحة فلسفية، ولكنها لم تفقد في الأول والآخر ملاك القصة الطريفة، وإن كان مطلعها أجمل تعبيرًا من ختامها، وأكثر رونقًا.

النقد العشرون

١٩٥٢/٧/٣٠

في باب «رائدات المجتمع» قدم الأستاذ موسى الدجاني الآنسة لولي هاشم، فكانت أمامه في بدء الاستنطاق كطالبة لم تحفظ درسها جيدًا، ولكنها كرجت فيما بعد ... أما الأستاذ موسى، فالفاتحة عنده إلقاء عصا القهقهة، حتى إذا اهتزت كأنها جان، راح يردد: نعم نعم.

وفي باب روضة الشاعر، أنشدنا الأستاذ عبد اللطيف زغلول معلقة همزية، فأخذ طولها من عرضها، فبدت هزيلة تحتاج إلى الكلسيوم والفيتامين، لم أفهم ما يريد بقوله: تهوى الجمال ولو حازته عنقاء!

وكانت الجلسة الشعرية في مصر، فكانت قصيدة السيد أحمد عبد المجيد خير قصائد صاحبيه وصفًا، وحسن حبك.

وفي ذكرى المغفور له رياض الصلح، الزعيم المجاهد، ألقى الكاتب الطريف سعيد فريحة كلمة لحمتها وسداها الإخلاص، فألم بشخصية الفقيد الغالي من جميع نواحيها. أما ذكرى جورجي زيدان، للكاتبة سلمى صائغ، فكانت ذكرى الفقيد وذكريات الأديبة، أطال الله بقاها، ومع هذا لم تلهها ذكرياتها عن إخراج صورة كاملة الخطوط للفقيد.

وفي بريدنا الأدبي، تلا الأستاذ محمد العدناني قطعة غير موفقة فنيًّا، عنوانها: «الابن الصادق»، وفيه أيضًا كان حديث للأستاذ نبيه غطاس عنوانه: «واكتفينا بالأدب»، أراد الأستاذ غطاس أن يتهكم الشعراء، ولكنه لم يحسن قراءة أسماء بعضهم، فكان الشنْفرى عنده الشنَفْرى، وأراد أن يصرف الشرق عن الأدب، ثم حاول أن يكتب قصة

بعنوان: «مريض» فجاءت مريضة التعبير، وهو قوام القصة، ناهيك بأنه كتب صورة مخربشة لا قصة، كان أحرى به أن يجعل عنوانها «هرة» لأن بطلتها هرة، ولأنها جاءت مقطوعة الذنب كما يقطع البعض عندنا أذناب هررتهم لتسمن ... وهنا لا بد من ملاحظة لمن تلاها بالنيابة، فقد قرأ البطريرك البطريرِك مع أنها لفظة أمست معروفة.

وللآنسة ثرية حسين قصة عنوانها: «كذب المنجمون»، إنها حافلة باللون المحلي، وهي مع ذلك أشبه بحديث خالتي أم درويش، وزميلتها الأخرى، ناهيك بأن الآنسة ثرية قد قصرت في ختام قصتها إذ كلفت نفسها إفهام القارئ ما فهم.

وفي «حلم العودة»، وهي قصة للدكتور جودت الركابي، تعابير طريفة مثل: ثديان ككرة القدم، وغيره، وفيها تصوير جميل، وسياق سريع، وختام جيد.

ومن شخصيات الأسبوع كان الأستاذ كميل شمعون، قدمه الأستاذ اللوزي، فاحتج على لقب بك، ثم سكت عن لقب «معالي»؛ لأنه أقل ابتذالًا، أما الأسئلة التي وجهت إلى النائب شمعون فتهم كل مستمع، وكان يدلي بآراء رصينة، أما خير ما قال في نظري فهو هذه العبارة: إن البلاد العربية محتاجة إلى تغيير عقليتها، ولا عجب أن بذل الأستاذ شمعون للعرب مثل هذه النصائح القيمة، فهو يعرف الكثير من شئونهم وشجونهم.

النقد الحادي والعشرون

١٤ / ٨ / ١٩٥٢

إسكندر الخوري البيتجالي شاعر ظريف له أسلوبه السهل، ومواضيعه الخاصة، رأينا في وصفه لبحيرة طبريا لونًا محليًّا، وفي قصيدة «مصرع كلب» عاطفة عصرية ألهمت الأستاذ موسى الدجاني، فقال بمناسبة تقديمها للمستمعين: والفضل يعرفه ذووه … وللشاعر أيضًا أرجوزة طريفة في وصف قطين عاشقين، ذكرتني بقصيدة بشار في حماره الذي عشق تلك الأتان — عشقًا حماريًّا — فصرعه حبها.

وفي «ليلة في مضارب النور» أسمعنا الأستاذ عبد الحليم عباس شعرًا يحسد عليه الشعراء المتحضرون هؤلاء الغجر، ولا أبالغ إذا قلت إن ما سمعته أقرب إلى الشعر الطاغوري منه إلى شعرنا، كان الأستاذ عبد الحليم في حديثه أديبًا، وشاعرًا أكثر منه محدثًا، حتى إنه تفلسف مع النور فلسفة ما كنت أظن النوري يدركها.

أما قصة «وصية الشيخ» للأستاذ محمد الأمير الكاتب السوداني، فحافلة باللون المحلي، كان بطلها من بخلاء الجاحظ، وكان كاتبها في ترصيعها بالآيات المؤيدة لرأيه في بطله، من قراء الجاحظ المدمنين، لا يؤخذ عليه إلا إهماله وصف مظهر بطله.

لقد أعجبتني نهاية حديث «مذكرات طيارة» حين دعت الآنسة عائدة النساء إلى الطيران، ثم ودعتهن على أمل اللقاء في الجو، أعتقد أن السيدات سيكن أبرع من الرجل في هذه الساحة الفسيحة، فالطيران يطلب خفة ولطفًا.

وتكلم الأستاذ أحمد سويد عن بعض مظاهر النشاط الأدبي، فعالج موضوع الأدب المنضوي بطرافة رأيتها في حديثه مرة، إننا يا سيد سويد محتاجون إلى أدب توجيهي لا إلى أدب موجَّه …

أما الأستاذ عبد الله المشنوق فهو ذاك الكاتب الطريف في كل ما يكتب، إن صاحب «مساء الخير» و«من ثقب الباب» قد أصبح علمًا، بل قلمًا في رأسه نار، ضحكت لندن، هكذا ابتدأ، ثم راح يقول: هل استسلم الشيوعيون وهل وهل، وكان الجواب: أشرقت الشمس.

فقلت إذ ذاك: ما أفقر لندن إلى نور الشمس، وما أفقرنا إلى أنوار كثيرة.

وقد كان من شخصيات الأسبوع الغريبة الدكتور علي عبد السلام الذي جن عشر سنوات، ثم شفي.

حدثنا الدكتور عن ذكريات البيمارستان، وأما أغرب ما سمعته منه فهو أن للجنون ميكروبًا، وأنه ينتقل بالعدوى …

النقد الثاني والعشرون

١٩٥٢/٨/٢٧

نديم الصباح: قلت سابقًا: أخشى أن يستحيل ركن «نديم الصباح» ركن «ما يطلبه المستمعون»، وأزيد الآن، بعدما سمعت سيولًا من الحكم تنصب فيه، إني أخشى أن يمسي ركن مواعظ … فلنخلق ركنًا للحكم والمواعظ، إذا شئنا وليكن موعده قبل النوم … أما في الصباح فأتمنى على من يعد «نديم الصباح» أن يعيد أمره كما بدأه ليذهب المستمع إلى عمله نشيطًا، إن الضحك فن، ورب ضحكة أغنت عن فطور، فالفكاهات والملح ربيع القلب.

قال النبي ﷺ: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة، فإن القلوب إذا كلَّت عميت.» وقال أيضًا: «لا خير فيمن لا يطرب.» وقال: «يدخل عثمان الجنة ضاحكًا؛ لأنه كان يضحكني.» وبناء على كل هذا، أرجو بإلحاح ممن يعنيه أمر «نديم الصباح» أن يقص علينا ملحًا وفكاهات تشع منها الحكمة، إذا كان يؤثرها، فالحكمة إذا أعطيت صرفًا قد تمل، ولا يصغى إليها.

ركن الكتب العربية الجديدة: وهذه محاولة جديدة تقوم بها المحطة، فقد عهدت إلى من عندها بالتحدث عن الكتب التي ظهرت حديثًا، كان الكلام عن كتاب المغرب الأقصى للريحاني الذي أصدرته دار المعارف لابسًا إحدى حللها القشيبة، لقد جاء التعريف بالكتاب مقتضبًا جدًّا، ولكن ليس في الإمكان أكثر مما كان، فكتاب رحلة ضخم ككتاب الريحاني لا يجيء التعريف به وافيًا في ساعة، فكيف يكون ذلك ببضع دقائق؟

وهناك كتاب آخر عن الإذاعة وأدبها للأستاذ عصام حماد، كان التعريف به أوفى لأنه غير متشعب المواضيع، قال مؤلفه: إن الإذاعة أنزلت الأدباء من أبراجهم العاجية، هذا صحيح، ولكن على الإذاعة أيضًا ألا تقبل من هؤلاء مصنوعات يعملونها في أبراج خشبية … إني أرى الكثير مما يذاع يسمح له بالمرور إما لحاجة الإذاعة إليه، وإما لتهيب المراقب أسماء كاتبيه الضخمة، لا بد لنا من أدب، ولكن لا يظنن الأديب إنه إذا نزل عن مستواه كتب أدبًا إذاعيًّا، ففي استطاعته — إذ جد — أن يوفق بين فنه وذهنية مستمعيه.

قصة الأسبوع: لم تكن قصة «المليونير النموذج» بالقصة النموذجية، بل كان عندنا في هذه الفترة قصتان نحيلتان، الأولى: للقصصي الأستاذ رشاد دارغوث، والثانية: للآنسة أماني فريد، وكلتاهما تعتمدان على الوصف لا على الحادثة، فقصة دارغوث تمتاز بلونها المحلي، أما قصة امرأة فيلسوفة فهي لا تتقيد بمكان، وقد عجبت من وضع الجزدان إلى جانب الخمار عند الأستاذ دارغوث، فليته أدرج الخمار في الحقيبة، وأراح المستمع المعاصر.

وتحدث الأستاذ عزت بشور في ذكرى الشيخ إبراهيم المنذر، فما نسي أن يلم بسلسلة نسبته الغسانية، ولا فاته إطراء جهده ونصبه في تعزيز أم اللغات، ثم درس بدقة الخبير أخلاق الفقيد وما اختلج في صدره من لواعج ونوازع، منتزعًا ذلك من قصيدة مشهورة للشيخ المنذر، وسواء أكان إبراهيم غسانيًّا أم غير غساني فهو عربي صميم، والعربي بآثاره التي يحييها لا التي يرثها، فشكرًا لعزت الذي قضى عنا بعض ما يجب للشيخ الحبيب.

وعقدت جلسة شعرية في الأردن، فأسمعنا الشاعر حسني فريز شعرًا طيبًا، ولكن موضوعه مبتذل، إن تاريخنا كأرض استنزفت موادها العضوية، فهي محتاجة إلى تغذية جديدة لتعود الروعة إلى الشعر الذي يتغنى بها، ولعل شعر الشيخ رشيد، شريك الأستاذ فريز في الجلسة، أقرب إلى الجديد من شعر حسني، ولا سيما الأول من قصيدته التي أنشدها، فهمت من سياق حديثهم أن رشيدًا شيخ، ولكني رأيت في شيخوخته شبابًا شعريًّا. أما روضة الشعر، فكان بلبلها الأستاذ محمود صالح، كان خياله أضعف من تعبيره، كما كان في قصيدته الأخيرة «كنز الذكريات» أشعر منه في قصيدته الأولى «كوكب الصبح»، أما الثانية، وعنوانها: «وحي الرسالة» فهي رسالة بلا وحي.

شخصية الأسبوع: كان صاحبنا الحاج إبراهيم الزين، صاحب مكتبة العرفان في بيروت، شخصية طريفة حقًّا، ابتدأت الجلسة باعتراف الحاج اعترافًا صادقًا، وختمها

الأستاذ أبو سعد بكلمة وافقت المقام، حقًّا إن سيرة حياة الحاج عظة للذين يسبون الدهر؛ لأنه لا ينزل الرزق عليهم بالسل، إن السل يحمل ولا ينزل.

النقد الثالث والعشرون

١٢ / ٩ / ١٩٥٢

كانت أحاديث العيد ممتعة جميلة، تذكر الناس بالناس، وهل خلقت هذه المواسم إلا لمثل هذه الذكريات التي تنفع؟ وإني لأخص بالذكر حديث السيدة وداد سكاكيني، فقد جمعت هذه الكاتبة في حديثها الفكرة الحكيمة إلى الذكريات الطريفة، والمواعظ والنبوءات، إنها لم تنسَ شيئًا حتى المرأة وحقوقها، ولكن طبقًا لمنهاج السيدة وداد الخاص، لا لمناهج المتطرفات من بنات جنسها، وبالاختصار إن العيد الكبير عندها هو ذاك اليوم الذي تنال فيه المرأة حقوقها.

أما قصيدة الآنسة مقبولة الحلي، فحلية الديباجة، بيد أنها كانت غزلية أكثر منها «عيدية»، ولا عجب في ذلك، فمن عادة الأعياد أن تطرب أو تشجي.

وفي ركن القصة كانت قصة السيدة ألفة الإدلبي مكتوبة بمناسبة العيد، التعابير طريئة كلحم الأضاحي الذي كان يوزعه المرحوم زوج بطلة قصتها، وموقف الأم الأرملة التي فاجأت ابنها يقبل الخادمة قبل العيد أخرجه التحليل الجيد بارزًا ناتئًا، ناهيك بأن القصة ذات لون، إن لم يكن محليًّا فهو قومي. ذكرت التعبير بالخير، وها أنا أدل على شيء منه أعجبني مثل قول الأم التي تريد تزويج ولدها من ابنة غنية ولكنها قبيحة: المال يبيض السمرا، ويطول القصيرة. وكقولها في مكان آخر، وهو من العامي الفصيح: يا جار الرضا، وكل غال في سبيلك رخيص، ولكن ذاك الجار لم يرضها، فما أغمي عليها قليلًا حتى كان قد فر.

وهناك حديث عنوانه: «اللهو الرشيد» للأستاذ غالي أمين، الحديث يتنكر بثوب القصة، وهو من الطراز المرغوب فيه، التعبير الجميل المألوف يزين هذا الحديث، ولكن اللحن يشينه، فالظرف عند الأستاذ غالي مرفوع دائمًا.

أما قصة الأسبوع للأستاذ أمين يوسف وهبة، وعنوانها: «الماضي البعيد»، فهي تدور على ضعف الذاكرة، في قصة الماضي البعيد فكاهة وطرافة، ولكن صاحبنا المؤلف كان يسوق «تروازيم»، فما كان يتئد إلا حين يتلعثم.

إذا قبلنا السرعة الكبرى في مواضيع أدبية، فإننا لا نقبلها أبدًا في القصة، فالقصة إن كانت لا تمثل فهي لا تتلى كدرس محفوظات … إن هذه السرعة التي أؤاخذه عليها قد جعلته يتعثر، ثم يصلح ما أفسد من لفظ، وهذه الهنات قد ذهبت بالكثير من روعة أقصوصته الطريفة.

وعقدت ندوة الشرق الأدنى جلستها في القاهرة برئاسة الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة، يعاونه الأستاذان عوض الوكيل، وعثمان الغزالي، فبحثوا الشعر المصر المعاصر، أكبروا الكلام حول الإلقاء وتأثيره، وتطرقوا إلى إلقاء حافظ، وأخيرًا خرجوا على أن الإلقاء الجيد يعطي الشعر أكثر مما له.

أذكر أن أحد المصريين أطلق على أحد شعرائنا لقب «شاعر الحنجرة»؛ لأن شعره كان يعلو على المنبر، ويسقط من الأوج الذي ارتفع إليه في أنهار الصحف.

وفي «روضة الشاعر» — رغم المقدمات اللطيفة الناعمة التي تفضلت بها المذيعة على الأستاذ عبده محمد بدوي — لم يكن للأستاذ شعر طيب غير المقطع الثاني من المقاطع الأربعة، كانوا يقولون: بيت القصيد، فلا نظلم الأستاذ بدوي إذا كان له واحد من أربعة.

النقد الرابع والعشرون

٢٥ / ٩ / ١٩٥٢

عندما مضت السيدة المحامية مفيدة عبد الرحمن تتحدث عن زوجها المحامي محمد عبد اللطيف، عَنَّ لي أن أقترح على الزوج أن يبادل عقيلته كلامًا بكلام، ولكن المذيع أعلن أن ذلك سيكون في الأسبوع المقبل، وفي الموعد عينه، فانتظرت وسمعت.

الموضوع طريف، وقد كتبه على حقه هذان الزوجان المثقفان، كانوا فيما مضى إذا اقتضى ذكر الزوجة يقولون: أهل البيت، أو أم الأولاد، ولم يكن أحد يذكر أولئك الموءودات حيات بخير ولا بشر، فالحمد لله الذي أحيانا حتى رأينا بأعيننا وسمعنا بآذاننا ما كان يعد بالأمس أمرًا إدًّا.

أفاضت الأستاذة مفيدة في موضوعها، وأثنت على زوجها بالذي هو أهله، رأت فيه رجلًا مثاليًّا أحاط بالمعرفة والمكارم من جهاتها الست، ولما جاء دور الأستاذ عبد اللطيف بادل زوجة الثناء صاعًا بصاع، ومدًّا بمد، فرآها مفيدة كزوج وكأم، وكاتبة، وكرجل أيضًا، وكم في النساء من رجال، فصح المثل في الزوجين الكريمين: كما تراني يا جميل أراكًا، وشرط المرافقة الموافقة.

حقًّا إن الثقافة هي خير مؤلف بين النفوس.

في هذا البرنامج كان عندنا قصتان: واحدة للآنسة سميرة عزام: «بائع صحف»، أعجبني منها هذا التعبير: وجهه خارطة من الخدوش. جبرت الآنسة عزام خاطري بتعديتها «حدق» بإلى. أما قصتها، فأقرب إلى أن تسمى «صورة» من أن تسمى قصة، وكل هذا جيد، ولكن الخاتمة مقطوعة الذيل حتى الإحفاء.

وأما قصة «والله الذي لا رب سواه» للأستاذ جعفر الخليلي، فحكايتها فاجعة موجعة، ولكن إخراجها الفني قلَّل من روعتها وتأثيرها. حقًّا إني أتألم كلما تذكَّرت قصة تلك الأم، التي خيِّل إليَّ أني أراها وهي تسقط في الهاوية لتلاقي حتفها.

السيدة زينب محمد حسين زجَّالة مصرية من طراز عمر الزعني عندنا، تأخذ مواضيعها من صميم البيوت، وعندها دقة وصف تشبه التصوير فتبرز أشخاصها للعيان.

وفي باب دراسات أدبية، تحدثت السيدة أدفيك جريديني شيبوب عن ولَّادة بنت المستكفي، فعرفت المستمع بها أكثر مما درستها، وزد على ذلك أنها لم تذكر شيئًا عن منافسة ابن عبدوس لابن زيدون في حب ولَّادة، وهي لو فعلت لكان حديثها أكثر طلاوة.

أما الأستاذ حسين مكي، فقد أصاب الهدف حين تحدث عن مارون عبود، وأسلوبه في كتابيه: دمقس وأرجوان، وفي المختبر، قال: إن له تعابير لا يفهمها وهذا حق ...

النقد الخامس والعشرون

٨/ ١٠/ ١٩٥٢

إلى أسمى طوبي: نعم يا سيدتي إن حديث الشهر الذي ألقيته منذ مدة كان طريفًا وطليًّا كما قلت، ولكنه ليس «حديث الشهر» كما يجب أن يكون هذا الحديث — في نظري على الأقل — فأرجو منك المعذرة، وإلى مبارك إبراهيم مترجم قصة «المليونير النموذج» أقول: لا تكون كل بضاعة أدبية «نموذجية»، وإن صنعت في إنكلترا Made in England، وحملت اسم أوسكار وايلد، ظلت قصة «المليونير النموذج» نموذجية حتى المقطعين الأخيرين، وقد كان على أوسكار وايلد أن يستغني عنهما … فالقصة الفنية ليست أخبارًا محلية، ولا هي مواعظ وحكم ليبدي «المصور» في ختامها آراءه الاجتماعية. إن الفنان يترك شيئًا للقارئ، وهذا ما كان على أوسكار وايلد أن يتركه لنا.

أما عبارة الترجمة فجيدة، ولم أسجل ساعة سمعتها إلا عبارة واحدة وهي: وإني لأتمنى أن لو كنت أستطيع أن أعينه على أمره. فقد وردت أن ثلاث مرات في جملة عدد كلماتها عشرة، إن لو يا عزيزي مباركًا كافية للتأويل، فلا حاجة إلى القول: أن لو.

أما شيخنا الجليل السيد محمد جواد مغنية، فقد أصاب الهدف في الرمية الأولى حين قال: وللناقد الأدبي عذره إذ لا يستطيع الإنسان أن يستوعب جميع ما يسمعه بالراديو، كما يستوعبه بالقراءة والمحاورة، ثم أصاب في الرمية الثانية إذ قال: قال الدكتور طه حسين: إن الشيخ الذي درس عليه في الأزهر كان يقول: إن كل من يذهب إلى باريس، إن لم يكن كافرًا، فهو زنديق على الأقل، وعلى هذا المنطق يمكن الحكم على كل شيخ يتكلم

عن التجديد — وإن لم يسمع — بأنه إن لم يكن مخطئًا فهو متضعضع، ومتعتع على الأقل.

إنها قسمة غير ضئزى رضيت بها يا شيخنا الجليل، والأذن تخدع مثل العين أحيانًا، والسلام عليك.

وبعد فلنعد إلى أغنامنا كما قال رابليه.

الجلستان الأدبيتان: كانت أولاهما في بيروت، والثانية في القاهرة. فالجالسون أدبيًّا في بيروت هم السيدة ممدوحة السيد، وأحمد مكي، وفؤاد حداد، وكان موضوع بحثهم نشاط المرأة الأدبي منذ ربع قرن، شكت ممدوحة السيد من ضعف المرأة الثقافي، وعزا أحدهم تقصير المرأة في الأدب إلى عدم «البوح» بمكنونات نفسها، أظنهم يتحدثون عن ذلك الزمان، أما اليوم فأنا أتشكى من البوح الذي أسمعه من المرأة في أغانيها التي تنقلها إلينا الإذاعات، وإن كانت محطة الشرق أقلهن انتقاء لهذه البضاعة.

أما فؤاد حداد، فكان كعادته متشائمًا لا يعجبه شيء حتى أمه حبوبه التي لعبت دورًا أدبيًّا كانت فيه ملء عين الزمن، وحسبها ما كتبته تحت عنوان: «وكان مساء وكان صباح». ورأى أحمد مكي أن إقبال بناتنا عل النظم بالفرنسية ناشئ عن صعوبة لغتنا، أما أنا فأرى أن نشأتهن في المدارس الأجنبية أبعدتهن عن اللغة الأم، أما اليوم فقد بدت طلائع فارسات الفصحى، والأمل بنهضتهن كبير، وليتشاءم فؤاد ما شاء.

قصتا الأسبوع: كانت أحداهن من طراز ألف ليلة وليلة، وعنوانها: «القمقم»، تناولت أخبار جني عصري، ولعلها أحق باسم الحكاية منها باسم القصة، وكانت الثانية للأستاذ نجاتي صدقي بعنوان: «العبد سعد»، وهي موفقة جدًّا بالنسبة للأستاذ صدقي، كما أني لم أرَ قصة أوسكار وايلد «نموذجية» بالنسبة إليه، وفي حديث الشهر رأت الدكتورة زهيدة حميدان أن توظف المرأة في وزارة الخارجية؛ لأنها تحسن الدعاية لبلادها، قد يكون ذلك إذا كانت صالحة لهذا الأمر …

وفي الأحاديث الأدبية كان خير ما سمعنا حديث الأستاذ عيسى الناعوري عن مذكرات جريح للشاعر بولس سلامة، فهذا شاعر كاتب يستحق النقد، وذاك ناقد دارس فاهم، وإن كان يكيل الثناء بالمد، ويعطي النقد بالدرهم والقمحة.

شخصيتا الأسبوع: كان الأستاذ سليم اللوزي في جهد جهيد مع الأستاذ محمد علي طوال، لم يكن يحوله في طريق حتى يعدي عنها، ويعود إلى طريقه الجغرافية التاريخية … ثم شاء الحظ أن يحالف اللوزي فوفقه إلى شخصية فذة، فكان الزعيم نور

الدين الرفاعي أمام المذياع يتكلم بحزم وجزم، فكان أسبوع المسئول والآمر في وقت معًا، وكانت المتعة في «جلسته القصيرة فاضلة على الكفاية».

النقد السادس والعشرون

٢٣ / ١٠ / ١٩٥٢

تحت عنوان «بأقلام المستمعات» سمعنا حديثًا عنوانه: «الصخرة التي تحطم السعادة»، للآنسة زهراء أبو المكارم، فأبانت لنا صخورًا عديدة لا صخرة تتحطم عليها السعادة الزوجية، وأرفع هذه الصخور وأكثرها شناخيب كانت صخرتا اختلاف الثقافة والطلاق.

وصاغ الأستاذ واصف البارودي حلقة محكمة أضافها إلى سلسلة «أزمة التعليم في البلاد العربية»، فعالج الموضوع معالجة بصير خبير، ومن أجدر بهذا من البارودي الذي أنفق صفوة الأيام في خدمة التعليم والتربية؟ أصاب الأستاذ واصف حين قال: آفتنا التمني والدعاء والغرور والادعاء، وإن المناهج لا تفرج أزمة التعليم، وما يفرجها إلا تكوين المعلم المربي الحر؛ لأن المستعبد لا يخلق أحرارًا، فإخلاص المعلم هو الذي يوطد أسس الوطن، وحل أزمة التعليم لا يتحقق إلا بحل أزمة المعلم؛ لأن المعلم صاحب رسالة، فإذا كان صاحب البيت أدرى بالذي فيه، فواصف البارودي هو ذاك؛ فلنسمع له، ولنعلم بما يقول. لقد قال بسمرك قبله بعد حرب السبعين: غلبنا فرنسا بمعلم المدرسة.

وكنت أصغي في كل صباح — ولا أزال — إلى رواية مزرعة الحيوان المتسلسلة التي يقدمها الأستاذ كامل قسطندي فيخرجها على حقها، لقد أحسنوا اختيار هذه الرواية للترجمة، فهي كليلة ودمنة عصرية، بل رواية أصولية، تتولى فيها الحيوانات مهمة البشر، فسنوبون ذلك الخنزير الثائر شخصية كاملة الملامح، تامة الألواح، ومثلها نابليون، الشخص الآخر.

وفي باب مع الفكر الغربي، سمعت حديث «نحو حياة مثلى» للأستاذ أحمد مظهر العظمة، عرض فيه المثل العليا في خلال العصور عرضًا دقيقًا وجيزًا، فأجاد وأفاد، ولكن لي اعتراضًا على قوله: السعادة الحقة، فما علينا لو تابعنا القدماء الذين قالوا: المصدر لا يذكر ولا يؤنث؟ فهل الحقة أرخم جرسًا من قولنا الحق؟ وإذا قلنا: الحقة، فهل نقيس عليها، ونقول مثلًا: امرأة عدلة كما نقول: رجل عدل؟

وإذا قلت لك أيها المستمع الكريم: إنني أصغيت بكل قواي إلى موضوع «كيف تحافظ على صحتك» فلا تلمني، إن هذا الموضوع يلذ لمن كان في مثل سني، أما الشاب فقد لا يهمه مثل هذا الموضوع؛ لأن رأس ماله ما زال سمينًا، وهو لم يمسِ رقيق الحاشية مثلنا، وإني أرجو من المحطة أن تكثر من مثل هذا الموضوع، فالصحة أثمن كنوز الدنيا.

وقد أعجبني كثيرًا تفسير الدكتور جميل صليبا لمعنى الديمقراطية، وبحثه المستفيض فيها، وما أجمل هذا التهكم الذي قاله لنا بلسان بعضهم: الديمقراطية هي أن ينجح جميع الطلاب في الامتحان … حقًّا إن الإخفاق سيجر إلى أوخم العواقب، لأن الانتحار أمسى عند شبابنا كشربة ماء.

كانت قصيدة «الصخرة السوداء» للآنسة فدوى طوقا من الشعر العالي، ولكنني أسأل الله تحطيم هذه الصخرة، وإن كانت مصدر وحي للشاعرة المبدعة.

وأخيرًا كانت قصة الأستاذ رشاد دارغوث قصة طريفة حالفه فيها التوفيق الفني، ولولا خاتمتها التي تعد من الخوارق التي لا يمكن أن تكون لكانت في طليعة الأقاصيص الحديثة، ولعل لرشاد القصصي المبدع عذرًا في أنها «أسطورة»، أما أنا فما أحب من القصص إلا الواقعي، وما يمكن أن يكون … وهذه خطة درج عليها الأستاذ دارغوث، فليته لا يتنكب عنها، فيظل بيننا، ولا يتغرب إلى «سهلباد» …

النقد السابع والعشرون

٦/ ١١/ ١٩٥٢

أعجبني حديث «نتيجة سوء تفاهم» للأستاذ محمد مصطفى حمام، فهو حديث إذاعة حقًّا، أدب خفيف، وعبارة مطابقة لمقتضى حال السامعين، وموضوع لذيذ فيه خفة الدم المصرية في القص والنكتة، وليس لي ما يقال حول هذا الحديث، إلا أني لا أوافق القائمين على مجلة المحطة في نشر الحديث الذي لم يُذَعْ بعد، وإن غيرت عنوانه، إن لدى المحطة أحاديث كثيرة فلا أقل من أن تؤجله إلى العدد الذي يصدر بعد إذاعته.

وكان حديث الشهر للأستاذ ميشال أسمر عن الوزير اللبناني الجديد الأستاذ سليم حيدر، إن الأستاذ الأسمر لم يغالِ في إطراء الوزير الشاب، فحياته، على حداثتها مليئة بالشعر الرفيع والنثر البليغ، والنظرات الاجتماعية الحديثة، فما باله يعتذر عن ذلك للمستمعين؟

وألقى القس عقل إبراهيم عقل حديث أحد كان موضوعه «كيف نستعمل ألسنتنا»، الموضوع جليل، وقد قال فيه الشاعر العربي:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

ولكن تكرار الأمثلة والشواهد عند آبائنا المحترمين لا يستحسن، فأرى أن يصغي بعضهم إلى عظات بعض حتى لا تتكرر أمثلتهم، فمثل الكيس المملوء بريش الطير قد سمعته من قس آخر منذ أسابيع.

وتحدثت السيدة سلمى صائغ راجية أن تنال المرأة حقوقها في لبنان وسوريا، ثم راحت تدعم أملها بتعداد السيدات المخضرمات اللواتي أدين خدمة جلًّى للمجتمع، كُتب هذا الحديث بلغة أدبية عالية، وإن كان من مواضيع الساعة التي تعالجها الصحف اليومية، فخلعت عليه براعة سلمى جدة وطرافة.

أما السيدة أسمى طوبي فكان عنوان حديثها طريفًا كبحثها، حدثتنا عن الطلاق الذي سمته «موضة القرن العشرين» برشاقة التعبير، وخفة الروح، والظرف، ثم جالت في جميع أقطار الموضوع حتى حطت الرحال عند محاكم الطلاق التي تيسر ولا تعسر، إن من حق المرأة أن تطرق هذا الموضوع كل ساعة؛ لأنه كثيرًا ما يهدم أركان العائلة إذا كان ظالمًا، وإن كان أحيانًا دواء لا بد من تجرعه.

ومن شعرنا الأدبي سمعنا للآنسة مقبولة الحلي قصيدة طيبة عنوانها: «لا تسلني»، القصيدة تنضح ألمًا وجوى، عبرت عنهما الشاعرة بأسلوب طيب جذاب، يبشرنا بلحاقها بالشاعرتين الملائكة وطوقان، فإلى الأمام يا مقبولة …

وهناك قصتان موضوعتان، إحداهما للأستاذ عدنان السباعي، وعنوانها: «الليلة الأخيرة»، وهي مذكرات رجل محكوم بالإعدام، للقصصي أن يكتب في الموضوع الذي يشاء، ولكنني أتعجب كيف يكتب بهذا التطويل رجل صار من الموت على قاب قوسين، حقًّا إنه قوي كالموت … أما كان الأحسن أن يكتب السباعي بطل قصته هذه المذكرات في عدة ليالٍ، ثم يترك منها جزءًا لليلة الأخيرة؟ أليس ذلك أقرب إلى الواقع؟

كان السباعي مستعجلًا جدًّا في إلقائه حتى خلته يمثل بطله ذا الوقت الضيق … وقد قال: النظر الشزر — بفتح الزاي — وهي ساكنة، ولكن سرعته الفائقة الحد تغتفر له أكثر من هذه الفتحة.

أما القصة الثانية، فللأستاذ عبد العزيز سيد الأهل، وعنوانها: «فرتونة السوداء»، القصة جيدة سياقًا وحبكًا، ولا ننعى على الأستاذ إلا هذه التعابير المطاطة، مثل قوله: الجدار القصير الواطي الداني … ومثل قوله أيضًا: نعيد ونكرر، ونكرر ونعيد، وليل نهار، ونهار ليل، ثم قوله: ووضعتها في صدرها تحت ثيابها، ترى أكان في الإمكان أن تفتح صدرها وتزجها في ذاك القفص؟ وإلا فأي داع للقول: تحت ثيابها، لقد أعجبتني قصة الأستاذ حين ختمها ختامًا رائعًا بكتاب الخليفة عمر عبد العزيز، والأمور بخواتيمها …

النقد الثامن والعشرون

١٩٥٢/١١/٢٠

«المرأة في كتاب عربي»، ذاك كان عنوان حديث الآنسة مرزية القوتلي، أتت الآنسة في صدر حديثها على ذكر كتاب مشهور قبل أن تتخلص إلى الأستاذ شكيب الجابري القصصي الموهوب، وبدلًا من أن تتحدث عن أحد كتبه كما يدل العنوان، راحت تتحدث عن قصصه: نهم، وقدر يلهو، وقوس قزح، وقد أطلقت على تلك المرأة لقب البطلة الجابرية، ثم تساءلت عما إذا كانت تلك المرأة خيالية أم حقيقية.

إن أبطال القصصيين الحقيقيين يا آنستي، يكونون أولًا حقيقيين، ولكن القصصي الملهم ينفث فيهم شيئًا من روحه، فتدب فيهم حياة جديدة، ويمسون غير ما كانوا، أما إذا صورهم كما هم فيكون الفنان إذ ذاك مصورًا فوتغرافيًّا لا مصورًا يدويًّا، إن النواة موجودة، ولكن صيرورتها شجرة وارفة الظلال إنما تتوقف على المناخ والتربة … فالجابري ليس واقعيًّا كما تظنين ويظن قارئه، ولا خياليًّا، بل هو يجمع بين طرفي الواقع والخيال، وهكذا يعمل كل فنان أصيل، والجابري واحد من هؤلاء.

وكان الأستاذ أبو سعد جد موفق في اختيار الدكتور سليم حيدر شخصية أسبوع، وكان أكثر توفيقًا إذ باحثه في معضلتنا التربوية، جال الدكتور في هذا البحث جولات موفقة، وأبدى آراء صائبة نتمنى أن يعطى الوقت الكافي لتحقيقها، قال الدكتور: جيش من أنصاف المتعلمين، ويا ليته قال من أرباع أو أخماس، فأكثرهم أميون، إلا أنهم يقرءون ويكتبون … واستطرد الأستاذ أبو سعد إلى الشعر، فأسمعنا الدكتور صاحب

ديوان «آفاق، وملحمة الخلق» رائعة جد حيدرية، ذكرتنا بتلك العهود القديمة، يوم كان في أكثر الوزراء شعراء، كالصاحب، وابن العميد، والطغرائي.

الأقاصيص: كانت الأقصوصة الأولى في هذا البرنامج مترجمة، وقد حاولت الإصغاء إلى الأستاذ مبارك إبراهيم، فلم أستطع اللحاق به؛ لأنه كان يسوق سيارته بسرعة عجيبة، فملت من دربه إلى الرصيف، وتركته وشأنه.

أما قصة «مغادرة الجنة» فالضعف الفني عام فيها، وإني أنصح أكثر هواة الأقاصيص من كاتبات وكتاب أن يترجموا، فليست القصة سرد أحاديث وقص أخبار، القصة قطعة فنية، وأكاد أقول شعرية، بل تفوق الشعر؛ لأنها ذات حبكة وعقدة، ومن أول شروطها البيان الرفيع.

وقد أعجبني ما قاله الأستاذ محمد بديع سربية حول هذا الموضوع، في حديثه عن الأفلام العربية، إذ أشار إلى ما لقوة القصة وحبكتها وسياقها من تأثير في الإخراج، فليت الطامحين والطامحات إلى إنشاء القصص يفكرون في هذا حين يضعون تصاميم أقاصيصهم.

ولكن ما لنا ولهذا النعي وعندنا قصة «راعية الأحلام»، للأستاذ يوسف جوهر، إنها قصة كما يجب أن تكون القصص سردًا وحبكًا وتحليلًا نفسيًّا، لقد أجاد الأستاذ يوسف جوهر تحليل تلك العقدة النفسية في شخصية بطله أمين، فأرانا أن حبه لوداد قد استحال فكرة ثابتة طلق لأجلها الكتب والأقلام والمحابر، احتل الحب ساحة شعور بطل راعية الأحلام، وطرد منها كل شيء، فصار لا يفكر إلا بعروس أحلامه، وهناك نقطة أخرى أجاد هذا القصصي الموهوب عرضها، إذ جعل وداد راعية الأحلام تهذي على فراش الموت محدثة حبيبها كأنها معه، ثم تفارق الحياة.

الخلاصة أن قصة الأستاذ جوهر في طليعة قصصنا العربي، ولا أنعى على هذا القصصي المجيد إلا إلحاحه على كلمة «حماس»، فليته قال حماسة واستراح، ثم قوله يحدق في الشرفات، والوجه حدق إلى الشرفات.

النقد التاسع والعشرون

٤ / ١٢ / ١٩٥٢

وانتقل تقديم الشخصيات إلى برنامج المرأة، فقدمت لنا السيدة ثريا حسين الطائرات من بنات جنسها لترينا أن المرأة تجارينا في جميع الميادين، كانت المرأة «تطيِّر» فيما مضى، حتى قال لنا ذلك الشاعر الولهان:

سددن منافذ الطاقات عني مخافة أن أطير مع النسيم

أما اليوم فطارت هي وطرنا معها شيوخًا وشبابًا …

ونظمت المحطة منهاجًا شائقًا لذكرى استقلال لبنان، فاستعرضت مراحله منذ عام ١٩٤٣ إلى اليوم، وكلفت الأستاذ ميشال أسمر التحدث عن نهضة لبنان الثقافية، فكان فيما قال مثاليًّا أكثر منه واقعيًّا حين تحدث عن إزالة الأمية، وتأميم التعليم، وتشجيع الكتاب، فكأنه كان يصور لنا أحلامًا إذا تحققت كان لنا من لبنان تلك المدينة الأرسطاطالية.

ومن طرائف هذين الأسبوعين مطالعات السيدة ناهدة بدرشاني فائد، روت لنا أسطورة خلق المرأة في كتاب برهما، فجاءت وفيها من كل شيء شيء، ولكن رد الرجل لها مرات، وحواره مع خالقه يذكر بكلمة الإمام علي القائل: إنها شر لا بد منه.

أما الأحاديث الأدبية فآسف أن أقول إنها قلت جدًّا، حتى لم يعد أمامي إلا الإصغاء إلى حديث خالتي أم درويش وهي تدبر عرائس للعاوزين، ما أقدرها وما أبرعها، ويا

ليت الشباب يعود لنقصد دارها، لقد ساءتها جدًّا «غلوة النقد» التي تحول دون بلوغ القصد، وقديمًا قال المثل: الذي لا يريد أن يزوج بنته يغلِّي نقدها، فصبرًا يا خالتي أم درويش، الفرج قريب إن شاء الله.

وكانت كلمة عيد المولد الشريف للدكتورة فاطمة أبو العز، فجاء حديثها جامعًا يعطي السامع فكرة عامة عن الرسول العظيم، كنت أفضل أن يلم المتكلمون بناحية من نواحي سيد البشر، وما أكثرها وأرحب أبواب الكلام فيها! ويا ليت حديث الأحد لحضرة الكلون نجيب قبعين، وعنوانه: «كان يسوع فقيرًا»، كان عن محمد، فمحمد — صلوات الله عليه — لم يكن غنيًّا، رعى الغنم، وعمل في التجارة، ثم انصرف عن حطام الدنيا ليعد للإنسانية أربح تجارة في الدنيا والدين.

إنها مناسبة فاتت الكلون أو المحطة لست أدري، وما أجمل أن يتكلم القسيسون، والأحبار عن ابن عبد الله، والمشايخ والمفتون عن ابن مريم.

أما الأقاصيص التي استمعت إليها في هذا المنهاج فثلاث هي: أولها: قصة «عودة» للآنسة حورية جمال، إنها بالحكاية العادية أشبه منها بالقصة الفنية، لا تحليل نفسي، ولا عبارة من طراز التعابير التي تسبك بها القصة لتؤثر في السامعين، وقد كان اللحن كثيرًا، قالت: لا يزال أمامي فسحةٌ، ثم قالت: طعام الغذاء وهي تريد الغداء، وقالت: أن أعطيه له وأعطي تتعدى بنفسها لا باللام.

والقصة الثانية: وعنوانها: «عودة الأمير» للسيدة عفاف كنفاني كانت كالتي سبقتها تقريبًا، يجب أن تكون القصة مصنوعة صنعًا دقيقًا، طبقًا لأصولها المعلومة، وإلا فالمقالة أفضل منها؛ لأنه لا يطلب من كاتبتها ما يطلب من كاتبات الأقاصيص.

أما قصة قلوب الأنبياء للأستاذ سيد الأهل، فهي كأختها فرتونة السوداء فصاحة وحوارًا ملائمًا، وهذا اللون من الأقاصيص لا يحسنه إلا من كانت له ثقافة سيد الأهل، وإذا جاءت أشبه بأحد أحاديث ابن دريد منها بالقصة العصرية، فهذه هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال التي يعرفها الأستاذ عبد العزيز عن ظهر قلب. أكثر — يا أستاذ — من هذا اللون القومي من القصص، فنحن إليه محتاجون.

النقد الثلاثون

١٧/ ١٢/ ١٩٥٢

كانت الجلسة حول مائدة الفن، وكان المدعوون إليها ثلاثة: زينب محمد علي، والفنان الشهيد فروخ، والأستاذ رشيد وهبة، فأحلوا الفن محله الرفيع في الحياة، ودلوا على أثره العميق في تكوين الشخصية وتثقيفها وتهذيبها، وإشاعة المثل العليا في المجتمع، وانتهوا إلى أن الاتجاه الفني ما زال ينقصنا، إذا كانوا يقولون هذا اليوم، فما عسانا نقول نحن أبناء ذلك الزمان، يوم كانت تنقض صواعق غضب المعلم على رأس هذه الموهبة إذا رفعته، ابنك يضيع وقته في الخربشة، هكذا كان يجيب معلمي حين يسأل عني، وسبب ذلك أنني صورت وجهه مرة، فرعبه جماله اليوسفي، هاله منظر فمه المصرور كأنه كيس تكتة قصيرة، بشاعة عبقرية لا يصبر على رؤيتها إلا من اعتادها، ولعل محبتي المكبوتة لهذا الفن الرفيع هي التي حملتني على الإكثار من الرسوم والصور على حيطان بيتي.

وكان الأستاذ بيبي، كعادته، يكهرب الجو، فتدب الحياة في الجلسة كما تنفخها في الصورة ريشة الأستاذ فروخ.

ولا بأس علينا إذا انتقلنا من فروخ إلى فروخ، من مصطفى إلى الدكتور عمر، فها هي الأديبة السيدة وداد سكاكيني تتناول كتابه «الأسرة في الشرع الإسلامي»، فتكون مطالعتها غير مطالعات القارئات اللواتي كنا نسمعهن، فهي لا تلخص الكتاب فقط، ولكنها تناقشه مناقشة صارمة، فبعدها عرضته أوفى عرض أظهر لي أن هذا الكتاب كإخوته من قبل، راحت تعارضه في بعض شئون وشجون، إن كل ما لا يختلف فيه الناس يكون عاديًّا، والدكتور فروخ يتجاوز العادي دائمًا في كتبه، والسيدة سكاكيني لا

يرضيها تلخيص بلا تعليق كما قالت، وهكذا وفت الكتاب حقه، وقالت: إنه كتاب المرأة والرجل معًا.

ذكرتني لهجة الأستاذ ميخائيل نعيمة في نصائحه إلى الأدباء الشباب برسالة عبد الحميد إلى الكتاب، وبنصائح أبي تمام لابن عمه البحتري، أعجبتني تشابيهه، وأخص منها تشبيه الأديب المقلد أو غير الخلاق — كما قال — بالإسفنجة التي تلتقط الماء لتعيده ماء، مفيدة هذه النصائح، وإذا كانت لا تخلق أديبًا فهي على الأقل تختصر الكثير من المسافات التي يقطعها إذا مشي بدون دليل خبير كأديبنا الكبير.

أما عرض مظاهر النشاط الأدبي فكان حسنًا، ولكن «أمواج» الكاتبة الشاعرة هند سلامة «ومع أيام» الشاعرة فدوى طوقان بعيدة العهد عن الشهر.

وفي ندوة «المرأة الحديثة في الميزان» كانت الجلسة رصينة جدًّا لم نسمع فيها حس ضحكة كما عودتنا الندوات الأخرى، قالت السيدة سعاد أبو شقرا: إنها لا تدري لماذا يهتم الأدباء كثيرًا بموضوع المرأة، فذكرتني بتلك التي قالت: أخي لا يحب إلا التحدث مع البنات، أما أنا فبالعكس، أما الفقرة الحكيمة التي أصدرها المحامي اللامع محسن سليم على المرأة الحديثة، فهي أن تظل امرأة بكل معنى الكلمة.

وإذا انتقلنا إلى روضة الشعر، رأيناها فواحة العبير بما أنشده فيها الشاعر الأستاذ صلاح الأسير، أنشدنا رائية رائعة من الشعر الأثيري الصافي الذي عودنا أن يكون فيه نسيج وحده.

ولكن كلمة العرار التي استدعتها قافية البيت فلا أرى مبررًا لوجودها في شعر صلاح الذي لا يعرف وجه العرار، ولا تمتع من شميعه … هذا قبل اتصاله بالسعودية … وفي «وراء الضباب»، تلك القصيدة العزيزة النظير في أدبنا الحديث، لا أرى موضعًا لوادي العقيق، وهو نهر شتوي يسيل مرة في العام كالنهر الذي يمر عند إقدام بيتنا، فأين شاعرنا من العاصي وبردي والليطاني، ونهر أبو علي؟

وفي باب قصة الأسبوع سمعت قصة مصرية للأستاذ إسماعيل جبروت عنوانها: «خطاب من نشال»، فوجدتها موعظة أكثر منها قصة، ولكن القصص أنواع فلا بأس إذا سميت قصة.

أما قصة الرسالة الممزقة، للأستاذ أحمد المكي، فهي من صميم الحياة اليومية، عبارتها قصصية، وحوارها قريب من الطبيعي، والتحليل فيها جيد، ولكن إدراك الختام إدراكًا تامًّا قد فاتني، وقد يكون كقول المتنبي: وآفته من السمع السقيم …

النقد الحادي والثلاثون

١٩٥٢/١٢/٣١

كأني بالدكتور سهيل إدريس قد شيَّخ باكرًا، فهو في حديثه «من وحي الشتاء» يحن إلى هذا الفصل القاتم الصاخب ويؤثره على إخوته الفصول الخيرة البسامة، يؤثره لأنه — كما قال — ينطوي فيه على نفسه ويفكر، إن من حق الأستاذ سهيل أن يكره الصيف، فالصيف يذيب، وسهيل قليل الجسم، وإن كان كبير الفعل، فإذا ذاب منه شيء خسر كثيرًا. أما موضوع الدكتور إدريس فطريف نادر في أدبنا العربي؛ لأن الموقد لا شعر ولا كتاب له عندنا، ولعل باريس هي التي أوحت إلى الأستاذ هذا الموضوع الشعري، وهو فيه يصف شتاء باريس الأبيض، لا شتاء بيروت الأسمر.

إن رائحة الأرض قليلة في نثرنا وشعرنا، وها نحن نشمها في هذا الحديث الذي لم ينس كاتبه باريس على قلة إقامته فيها، والمرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد، كما قال بديع الزمان لأستاذه: وكيف ينسى الدكتور صديقة ناعمة كانت تأتيه في عصاري النهار لتشرب فنجان شاي سخن في غرفة ساخنة؟

وكان حديث الميلاد للدكتور نقولا زيادة حديث ميلاد حقًّا، كان مشبعًا بروح صاحب العيد وأقواله وأمثاله، وكان قصصيًّا أيضًا فلاءم الروم الإنجيلية البسيطة الرفيعة في وقت معًا، والدكتور زيادة يبدع حين يتخلى عن الأساليب العلمية، فتبدو لقارئه شخصيته الشاعرة، لقد أحسن إذ ختم موضوعه بالكلمات التي تتردد اليوم كثيرًا على ألسنة أقلام الكتاب، فالحق والخير والجمال هي الأقانيم الثلاثة التي تتكون منها ذات المسيح، ومن ينسى بيلاطس الذي ناقشه في المحكمة سائلًا: وما هو الحق؟

وسمعت للأستاذ توفيق عواد في زاوية «ركن الأدب» نصف حديث، ولكنه تحدث فيه عن شخصيتين كبيرتين هما العلامة محمد كرد علي، رئيس المجمع العلمي العربي، والدكتور طه حسين، بمناسبة مذكراتهما، فأعطاهما حقهما، وخير الكلام ما قلَّ ودلَّ.

وتحدثت السيدة أسمى طوبي، في سلسلتها عن أديباتنا المنسيات، فتكلمت هذه المرة عن ليلى الأخيلية، فكان التعريف شاملًا، والتحليل وافيًا، جميل هذا الإحياء، وأجمل منه أن تقوم به أديبة فاهمة كالسيدة أسمى.

وبمناسبة عيد الميلاد، عقدت ندوة الشرق الأدنى جلسة قال المنهاج إنها لبنانية، فإذا هي مصرية، ودار بحث أعضاء الندوة حول فكرة شجرة عيد الميلاد، فقالوا إنها وثنية قديمة، ثم قالوا: إن لها علاقة بشجرة الأسرة، أو شجرة ميلاد المسيح الواردة في الإنجيل، أما أنا فأرى أنها كبيضة الفصح عند النصارى، تلك رمز حياة جديدة، وهذه رمز للشجرة المثمرة لا كالتينة التي لعنها السيد المسيح حين لم يجد فيها ثمرًا، وأخيرًا أقول كما كان يقول السلف الصالح: والله أعلم.

أما قصتا الأسبوع، فلم أر قصة صلاح ذهني قصة بالمعنى الصحيح، إنها تاريخ لنكبة الأندلس، وليس فيها شيء من مقومات القصة الفنية، وبخلافها كانت قصة الدكتور عبد الرحمن اللبان الميلادية، إنها قصة عصرية من صميم الحياة وصف فيها مشاهد الناس في لندن، ليلة عيد الميلاد، فكان كأنه يصور ما رأى، حتى أبدى لنا الموسيقار ألفونس كالشعراء الدوارين وغيرهم، والخلاصة: كانت هذه القصة موفقة.

سنة ١٩٥٣

النقد الثاني والثلاثون

١٤ / ١ / ١٩٥٣

كان الميلاد والعام الجديد موضوعًا تبارت فيه أقلام الكتاب في سموات الإذاعات وميادين الصحف، فقد حمل الأثير إلى بيوت المستمعين تمنيات وأماني تدغدغ أحلامهم وهم يستريحون في هذه الواحة الخضراء من واحات العمر.

وها هو الكاتب الأديب الأستاذ إدوار حنين، وقلما سمعناه محدثًا، يحدثنا بأسلوبه الرصين حديث العام الجديد، فيوقظ فينا الأفكار الهاجعة، ويدعونا إلى اليقظة، فما كل ما يتمنى المرء يدركه.

والكاتبة المعروفة السيدة سلمى صائغ، تخرج قصة هي — في نظري — أجمل من المواعظ التي نسمعها في هذه المناسبات. نعم، إن هذه القصة «أُم في ليلة عيد الميلاد» لم تخل من الوعظ والإرشاد، ولكنها مع ذلك ظلت قصة، فاللون المحلي شائع فيها، والولد الطائش الذي ائتمنته أمه على فلس الأرملة راح يبدده في العيد ناسيًا أن أمه تنتظر، حتى صح فيه وفي والدته قول القائل: قلبي على ابني، وقلب ابني على الحجر.

وذكرني حديث المسرح بالبطل العالمي شرلوك هولمز الذي عرفناه في عهد الشباب من ترجمات الضياء اليازجي، وروايات طانيوس عبده. حقًّا إن الروايات الهولمزية تشغل العقل، وتحمل القارئ أو المشاهد على الانتظار، فيحبس أنفاسه إلى أن يفتح الله عليه، ولمؤلف شرلوك هولمز أقاصيص تنجح لو تبنتها محطة الشرق الأدنى وأخرجتها، إنها مسلية وغنية بالحوادث والعقد التي تحبب الرواية، وقد أصغيت في هذا المنهاج إلى

قصتين: أولاهما: للدكتور سهيل إدريس، والثانية: للآنسة سميرة عزام. المدينة العظمى مؤثرة في نفس دكتورنا، وها هو يكتب لنا قصة مكانها في قلب باريس، وإطارها باريسي، وحادثها باريسي، وفلسفة حياتها باريسية، كما فهمنا عن بطلتها التشيكوسلوفاكية. الحياة في هذه القصة الإدريسية بوهيمية، يصف لنا فيها الفتك والطيش السائدين في مدينة النور … فقد أغرقت البطلة في اللهو والسكر والعربدة حتى سقطت تحت دواليب سيارة دهستها، فنقلت إلى المستشفى حيث أقبل زبائنها على عيادتها من كل فج عميق، وكلهم طلاب! ما أحسب هذه القصة الموفقة فنيًّا إلا صورة لحياة طلابنا عبر البحار، فكأنهم يحيون في باريس للمرأة والحب لا للكتاب، إن بطلة قصة إدريس واعظة مرشدة … والمثل يقولك: سل مجربًا، ولا تسل حكيمًا.

أما قصة الآنسة سميرة عزام، وعنوانها: «أخي»، فهي قصة جيدة، ومن صميم الحياة كما أرى، تزينها تعابير لطيفة، وفيها لباقة فائقة في التعبير عن أبشع الأشياء وأسمجها، لقد صورت بطلتها أدق تصوير كما رسمت ذاك الذي راودها عن نفسها حين كانت تعمل عنده. إن الآنسة عزام لا تعوِّل على الحادثة في أقاصيصها، وعلى هذا كتاب كثيرون من قصاصي اليوم. كثيرًا ما حالف التوفيق الآنسة عزام في هذا اللون الطريف من القصص، وأملي كبير بفلاحها فيه … ولا أنعى عليها إلا قولها: عيون خضراء. أفهم الوجه الأبيض كيف يكون، أما العيون الخضراء فلم أرها في حياتي حتى أحكم عليها، ولعل الآنسة سميرة عزام لم ترها مثلي وإن كانت ركبتها في وجه بطلة قصتها.

أما روضة الشاعر، فهبت علينا منها نفحات من قصيدة «البعث» للأستاذ إبراهيم محمد، و«الحصاد» للأستاذ نجا، فكانتا من الطراز الحديث الذي يؤثره شبابنا.

وتفردت المحطة، وعادتها دائمًا أن تكون سباقة، فأسمعتنا رضوان البلطجي وأخويه يصفون لنا معركتهم الخالدة مع البحر، تلك المعركة التي شرفت الاسم العربي في عواصم العالم، قدموا رضوان البلطجي في باب شخصية الأسبوع، وهو عندي وعند غيري شخصية العام، بل شخصية دهر، وحسبه أنه غلب البحر الذي لا يُغلب، أما انتزع البلطجيون من بين مخالب جبال أمواجه، وتلولها فرائس بريئة؟ فإلى الذين رفعوا اسم الشرق الأدنى عاليًا، أقدم أحر تهنئاتي بهذا الانتصار الخالد، لقد سماهم مقدمهم — الأستاذ أبو سعد — الفرسان الثلاثة، وليس هذا اللقب بكثير على من نازلوا البحر وغلبوه.

النقد الثالث والثلاثون

٢٨ / ١ / ١٩٥٣

لا أدري لماذا انقبضت حين عرفت أني مقبل على سماع حديث بمناسبة ذكرى الدكتور زكي مبارك، لقد مات هذا الرجل، وفي نفسه شيء من الشهرة، كما عاش سنين ملأت بها ثورته الصحف، قضى عمره كاتبًا كالمصارع، ومناقشًا كالمناطح، وباحثًا كبوليس التحري، وبعد موته لم نسمع بمن وفاه حقه.

قد يكون مات في غير الوقت المناسب، كما كان يثور في غير الوقت المناسب، رحم الله دكتورنا المبارك، وجزى الله هذه المحطة خيرًا؛ فهي تستحق لقب محيية الموءودين.

كان الميكروفون سعيدًا جدًّا في بيت الأستاذ عبد الغني حسن، سمعنا صوت أبوين كريمين يتحدثان عن تربية أولادهما، ثم يدخل الولد شخصًا ثالثًا في المحاورة، الولد يخاف من الشجرة ويتخيلها شبحًا، وهما يحاولان إقناعه أنها ليست شبحًا، وحجتهما أن الشجرة لا تمشي.

إن هذا من خيال الشعراء، وما أخالك إلا ورثته ابنك يا أستاذ عبد الغني، فأبشر …

وفي باب «مطالعاتي» للسيدة ناهدة بدرشاني فايد أعجبني ما نقلته عن الأزمة النفسية التي تعتور المرأة في الأربعين من عمرها حين تخسر سيادتها وجمالها، فتقعد حزينة كئيبة، كان الحديث مأخوذًا عن المجلات، وكان الإلقاء بالنيابة ولا أدري ما الذي أنتقده، فما بقي لي أن أقول إلا أن الانتقاء كان جيدًا، وقبلي قالوا عن أبي تمام حين انتقى ديوان الحماسة: إنه كان في مختاراته أشعر منه في ديوانه.

وبما أن الشعر قل — كما قلنا سابقًا — فلنتعرض لفكاهات أبي خليل الشاعر العامي الظريف، إن هذا الشاعر قروي في تعبيره ولهجته، ويعجبني منه دائمًا أنه يسير موضوعه ويوجهه نحو الهدف حتى يصب الختام صبًّا، فينفجر كالقنبلة، وقد وفق جدًّا في ختام تزويج سته، فبالرفاه والبنين.

وإلى قصة «ميلاد جديد» أصغيت بكل خشوع إلى قصصينا الموهوب الأستاذ رشاد المغربي دارغوث، لا أدري كيف خيل لي أني قرأتها من قبل، ولكن هذا لا يمنع إعجابي بها، وبما فيها من لون محلي، وإن كان موضوعها خياليًّا كثيرًا.

أما قصة «انتحار روح» للسيدة ألفة الإدلبي فإطارها جيد، وعباراتها كما يطلبها الفن القصصي.

والفلاح محمود الذي كان يمر بالحبيبين، ويلقي عليهما ابتسامة معناها: تمتعا بالحب، فيذكرني بعمر بن أبي ربيعة والشابين حين أوصاهما أن يتمتعا بشبابهما.

وقد شعرت أن الأناقة في إنشاء هذه القصة كانت تتضاءل كلما أوغلت السيدة ألفة في موضوعها، فليتها عندما تنقح قصتها لا تبدأ دائمًا بأولها، فتصل إلى آخرها تعبة، ويظل الفرق ظاهرًا بين أولها وآخرها.

إن المحاورة في قصة «راقصة لا ترتوي» لم تعجبني؛ لأنها عامية اللغة، فليت الأستاذ حامد … ظل معتصمًا بالفصحى في قصتها كلها، بل ليته لم يقل: أوشك الليل على نهايته.

النقد الرابع والثلاثون

١١ / ٢ / ١٩٥٣

لا تزال المدرسة الزراعية مشرعة الأبواب تعطي المعرفة بسخاء، تعد برامجها كما يعدها الأساتذة الحريصون على إفادة طلابهم، أنباء زراعية عالمية، ونصائح للمزارعين بعلم المزارع.

ومن طرائف الأستاذ فراج نبأ بغلة ولدت، فحير علماء الحيوان هذا الحدث الغريب، حدث هذا عندنا منذ نصف قرن، ولدت بغلة عند رجل من بيت مقصود في وادي شحرور، وأقبل الناس من كل صوب على بيت صاحبها ليروا هذه العجيبة، قال القدماء: الديك يبيض مرة في العام، فهل لنا أن نجاريهم فنقول: إن في كل نصف قرن ننتج بغلة؟ أو كمذنب هالي الذي يشرفنا بزيارة كل ثمانين عامًا؟!

أما مذكرات عاملة تلفون للآنسة زبيدة عبد الرحيم، فكانت طريفة لولا هذا الكوكتيل الذي عملته منها، أي ذاك المزيج من العامية والفصحى، إن الفصحى التي لا تكلف فيها ولا تقعر هي اللسان الذي تفهم عنه جميع الأقطار، فلنعتصم به في الإذاعات التي هي للجميع، لا لقطر دون سواه.

وفي «روضة الشاعر» سمعنا شعرًا للأستاذ محمود عنان، قال: من عرَّفنا بها أنها ثمان قصائد، ثم تليت في سبع دقائق! وكان أولها أرجوزة في الديك، وللأراجيز أصول لم تُراعَ فيما سمعت، أما مقطوعة الصوم فليست من الشعر الجيد ولا المقبول، وما أرى شاعرنا المحمود إلا من فصيلة الذين ينظمون الحكم، وليست الحكم شعرًا بل نظمًا، أو فلنقل هي شعر تعليمي لا أكثر، أما مقطوعته الرائية — ولا أقول قصيدته —

وموضوعها: كيف نولد غصبًا عنا؟ فهي أجود ما قال، وليته ينسج دائمًا على منوالها؛ لأن للشعر نمطًا من الكلام إذا لم يراعَ، استحال نثرًا موقعًا.

ومن الشعر الجيد قصيدة «الزورق التائه» للشاعرة المجيدة الآنسة مقبولة الحلي، هدى الله زورقها إلى ميناء السلام والرجاء، حلو البكاء من النساء، ولكن لا تنوحي يا آنستي، لا تسألي من أين جئت، بل قولي: أنا موجودة، وأثبتي وجودك في الساعة التي أنت فيها، يعجبني شعرك، وأراك تتقدمين في معراجك، ولا يبعد أن تصلي إلى قمة الإجادة، فانبذي هذا اليأس غير المريح.

لا أدري لماذا احتفلت المحطة بذكرى فوزي المعلوف، وعلي الجارم، ومصطفى كامل في يوم واحد، ترى أمات هؤلاء ثلاثتهم في هذا النهار؟ تحدث الدكتور زكي المحاسني عنهم ثلاثتهم، وكان بحثه مصنوع التعبير ملونه، وقد أكثر فيه التحدث عن نفسه، وأدخل في صلب بحثه ما لا علاقة له به. أما القصص، فأولها قصة شامية المحيط للآنسة رائدة النبع، بطلة القصة فتاة متعلمة — جامعية، ولكن علمها لم يحررها من عبودية البيت والمحيط، الوصف مقبول، أما السياق القصصي والزخم فضعيفان.

ولسوء الحظ لم أسمع قصة الآنسة عزام، ففي وقت «برنامج المرأة» كان الجو عندنا غضبان، وفي موعد الإعادة قطعت الكهرباء، فلا حول ولا …

النقد الخامس والثلاثون

٢٥ / ٢ / ١٩٥٣

تحدث الأستاذ راجي الراعي عن «عالم أفضل»، والأستاذ الراعي هو الكاتب الذي لم يزل يوشح الواقع ببرفير خياله المجنح، فتختال عبارته فيه، الراعي قاضٍ ملهم شغفته المثل العليا فاستلهم الحوادث التي يلمسها، وتخرج الأخلاق من معركتها ثخينة الجراح، يميل الأستاذ إلى الفلسفة ولكنه لا يحاول أن يفهم أو يُفهِّم إلا ما يمكن وقوعه، ومما يسلم به المنطق السليم، تسمع حديثه فتخاله جالسًا على القوس حيث يشجب ويبرر، وبعد أن يصول ويجول في موضوعه هذا يخلص إلى القول أن العالم الأفضل الذي تنشده الناس هو في نفوسنا، وقديما قيل: ابدأ بنفسك، أما الإلقاء، فجليل مفخم.

وتحدثت ندوة الشرق الأدنى عن المدرسة قديمًا وحديثًا، فشارك فيها الأستاذ بيبي بوصفه من المحاربين القدماء ... هنا يحارب الأستاذ بإعلان، أما في غير هذا المقام فكان يشنها غارة شعواء، وبعدما رسم المتحدثون للمدرسة القديمة صورتها المعهودة راحوا يقابلون بين عقابها البدني وعقاب المدرسة الحديثة اللطيف، فخلصوا إلى القول أن التلميذ القديم كان يكره المدرسة ويأتيها مرغمًا، أما اليوم فهو يقبل عليها طائعًا مختارًا.

هذا صحيح؛ لأن تلاميذ اليوم يساسون برفق، ولكنه رفق على حساب العلم، إني أرى مدارس اليوم أمست محتاجة إلى الشدة، فللرفق حد معلوم، والحرية صارت فاضلة على الكفاية، فيجب أن يؤخذ الكثير منها، لقد أمسينا نحن التلاميذ والمعلمين نلقن التلاميذ دروسهم تلقينا، وهيهات أن يعوا ما سمعوا؛ لأن أفكارهم مشغولة بالمباريات الرياضية، والتظاهرات، والإضرابات ...

وفي ركن روضة الشاعر سمعت قصائد الأستاذ عوض الوكيل، فكان خيرها قصيدته التي يقول فيها:

أَبُني تلك ملاعبي وأنا كمثلكم صغير

ألم يكن الأفضل القول: وأنا نظيركم صغير؟ فيخلص من إدخال الشيء على مثله؟ أما القصيدة النونية فيغلب فيها النثر على الشعر، ناهيك أن عراف نجد وغيره من الصور القديمة البالية.

وتحدث الأستاذ عبد الحليم عباس عن «الأدب العربي الحديث» فظننا أنه سيجول في صميمه، فإذا به يطوف حواليه ولا يمسه، إن الأستاذ عبد الحليم لا يحسب للجيل الطالع حسابًا، فيذكرني بقول القدماء: فلان خاتم الشعراء، والحمد لله لم يختموا بعد! فلينعم الأستاذ عباس بالًا؛ فسوف يكون لكل فترة من فترات عصورنا الأدبية أدباء وشعراء، فالأدب والجمال لا نهاية لهما ما دامت النساء تحبل وتلد.

وبعد، فإن جل الأحاديث الأدبية صارت من عمل العادة لا الإرادة، العادة لا تأتي بالطريف، فليت من يعنيهم الأمر يسألون الكتاب التفكير قليلًا قبل التحبير، لقد أمسى البحث والإخراج في هذه الأحاديث مبتذلًا، كما لاحظت أنها أمست قليلة جدًّا ترجح عليها كفة البرامج ... قد يكون هذا ناتجًا عن رغبة المستمعين الذين يفضلون الغناء البلدي على الحديث الرفيع والقصيدة الرائعة، ولكن لا يجوز أن ننسى الخاصة، فهم أيضًا من المستمعين الكرام.

وكان حديث مع طلبة الصيدلة المصريين الذين زاروا قبرص، فأنشدنا شاعرهم بيوتًا مكسرة لا يجوز أن تلقى في جلسة خاصة، فكيف يصح أن تلقى من محطة يصغي إلى صوتها الناطقون بالضاد في كل زاوية من زوايا المسكونة؟

وأمام الميكروفون قدمت السيدة مديحة نجيب السيدة عواطف هانم والي، كانت مقدمة الحديث فصيحة، ولما توغلت السيدتان فيه نهضت العامية من كل مجثم، الأفضل عندي أن نتكلم اللغة الوسط لتفهم عنا جميع الأوساط، وإلا فيكون الحديث لقطر دون سواه.

كانت أحاديث ليبيا طاغية على البرنامج، فقد غذته رحلة الأستاذ موسى دجاني أيما تغذية، فمن شخصية أسبوع ليبية إلى وصف جو وأرض، لقد كانت رحلة موسى بطوطية حقًّا حافلة بالمعلومات عن هذا القطر الشقيق. كانت مواد هذه الرحلة سريعة

الهضم، وما ينقصها إلا شيء من مقبلات ابن بطوطة، فعسى أن يتحف الأستاذ مستمعيه بالطريف منها.

وفي ركن الأدب تحدث الأستاذ حسين مكي عن كتب ظهرت حديثًا، فكان يلف ويدور في حديثه، لا أكاد أقول: ها هو قد وصل حتى أراه ينثني ويعود أدراجه. نعم، إن للزمالة حقوقًا، ولكن للنقد حقوقًا أيضًا، وعندما تحدث عن ديوان للشاعر شفيق معلوف استحال راوية، والنقد غير الرواية.

أما القصتان، فكانتا مترجمتين، وما أخال الأستاذ نجاتي صدقي إلا أنه يريد أن يخلف طانيوس عبده في ترجمة الروايات، وحسنًا يصنع، كانت قصة البقرة كورديرا خيرًا من قصة الوارث، وإن كان هذا بشرًا وتلك بقرة. لقد شعرت بحيوية البقرة ومحبة أهلها لها أكثر من إحساسي بذاك، والفضل في هذا للكاتب الذي يخلع على شخوصه عواطف تحببها إلى القلوب، فتمسي البقرة خيرًا من البشر متى شاء المؤلف، أما أسلوب الترجمة فيحتاج إلى شد «البراغي» قليلًا.

إن طلاب اليوم يكتبون خيرًا مما يقرءون، هذا ما لحظته حين أصغيت إلى ركن الطلبة، قد يعذر من يقف أمام الميكروفون أول مرة؛ لأن لهذه الآلة هيبتها، ولكن على من يجول في معمعة أن يعد لها عدتها.

أما أغلاط هذين الأسبوعين فغير كثيرة، نلفت النظر إلى «حيث» فهي دائمًا مبنية على الضم، والاسم الذي يليها يكون دائمًا مرفوعًا؛ لأنها لا تضاف إلا إلى الجملة، أما «أمَّا» فربط جوابها بالفاء واجب، وقال أحدهم: موادٌ وهي موادُ لأنها ممنوعة من الصرف، وقال آخر: يهِب وهي يهَب بفتح الهاء، أما كلما فتنصب متى كانت ظرفًا، وتكتب ما متصلة، وإذا كانت «ما» التي تلي «كل» موصولية، فتكتب منفصلة، وتحرك كما يطلبها العامل.

النقد السادس والثلاثون

١٢ / ٣ / ١٩٥٣

قصة الأستاذ حامد يونس، وعنوانها: «قلب راقصة»، ليس فيها من العناصر التي تؤلف القصة غير السرد والحوار، وزاد في طين ضعفها بلة أن هذه المحاورة باللغة العامية، أما قصة الآنسة سميرة عزام، وإن ضعف فيها عنصر عقدة الحكاية، فقد استغنت عنه بالتعابير الطريفة، وتصوير بطلة الرواية أم يوسف التي قلما تخلو منها بلدة أو حارة في مدينة، إنها سمسارة عرائس حلوة الكلام، بارزة الشخصية، قد يكون كل مستمع يعرف أختًا لها. لقد أمعنت الآنسة عزام في تصويرها، فأبرزها ذلك الحوار الطريف الذي لذ لنا سماعه، لولا مزجه بالعبارات الدهرية مثل: لا في العير ولا في النفير، ومثل: الطارف والتليد التي لا تصاقب شخصية ساذجة كأم يوسف بطلة قصة «زواج العم»، ناهيك أنها لم تتفق مع القول: حط وشال، والضحك على الذقون. وهناك كلمة «خلفتها»، فهي لا تلائم هذه الجملة: الطبخة التي خلفتها على النار، فالأولى أن يقال هنا تركتها فتصير الجملة كلها فصيحة عامية.

لقد بلغت الآنسة عزام ما تروم من حسن الحوار ودقة التصوير، ومرونة السياق، وما بقي عليها إلا الاهتمام بالحكاية لتجتمع في أقصوصتها عناصر الأقصوصة تامة غير منقوصة.

أما قصة «الصورة الضائعة» للدكتور سهيل إدريس فأعجبني ابتداؤها؛ إذ لم يكن من تلك الابتداءات التي تعود القصاصون أن يطلعوا علينا بها، ولكنها في كل حال ليست من ذلك الطراز الذي تعود أن يعرضه إدريس.

أما الأستاذ أو الدكتور أمير بقطر فأعرفه من المجلات عالمًا تربويًّا، وكذلك كان موضوعه إذ تحدث عن أعداء الشباب: الفراغ، واليأس، والمبادئ الهدامة. إن معالجة موضوعات الشباب واجبة جدًّا؛ لأن آفات شبابنا كثيرة، وإذا لم نسهر على حديقتنا نخرت جذوع أشجارها هذه الحشرات الفتاكة، واستحالت جناتنا وكرومنا خشبًا وحطبًا.

وفي ركن ذكريات نوابغنا، وقلما خلت منه برامج محطة الشرق الأدنى، تحدث الأستاذ عزت بشور بمناسبة ذكرى النابغتين إبراهيم اليازجي، وصدقي الزهاوي، فألم بأطراف حياتهما، وعدد مآثرهما، ولم ينسَ إلا ناحية الصناعة في اليازجي، فهو صانع أمهات الحروف العربية، وقد نسي أيضًا التصوير، وحسن الخط، واكتشاف نجمة.

وكانت روضة الشاعر للأستاذ خازن عبود وأماني فريد، أذكر أنني قرأت ما سمعت من شعر خازن الجديد الطريف، ليس شاعرنا من الهائمين الضالين في أودية الرمزيين، ولكنه ينتقي المقبول من كلامهم وصورهم، والشعر الذي سمعه شعر حب، وهذه بضاعة الشباب، وإذا كان الحب نداء الحياة كما قال الشاعر، فالشعر هو صدى ذلك النداء، ولغة المحبين كما قال العالم النفساني الأستاذ يوسف مراد. أما شعر السيدة أماني فريد، فكان أقل تخيلًا، وأقل موسيقى.

وسمعت كلمة آثار جبيل فأصغيت، والمرء يحن إلى بلده، ولو في أحاديث الإذاعة، أصغيت فسمعت الأمير موريس شهاب مدير الآثار في لبنان يشرح للأستاذ الدجاني غوامض أسرار تلك الآثار، فراحا يجولان معًا في مجاهل الدهور والأجيال، إن الأمير موريس هو العامل الدائب الصامت في الجمهورية اللبنانية لا يضارعه في هذا أحد، فشكرًا للسيد غانم الدجاني الذي أسمعنا صوته المخلص.

وتباحث الدكتوران عاقل وهاشم في ندوة الشرق الأدنى حول تعلم الجنسين معًا، فاستقر الرأي على وجوب اختلاف التوجيه في المرحلة الابتدائية، وأنا أرى أن يختلف أيضًا في المرحلة الثانوية، فما قولكم: بأنثى تعلمها شعر امرئ القيس، وعمر بن أبي ربيعة، وأبي نواس لتنال شهادة البكالوريا! فالذي عندي هو ألا يجتمع الجنسان إلا في كليات الهندسة والطب والحقوق والتخصص في الآداب والعلوم، حين تكون الأنثى قد قطعت خط النار، وتجاوزت الثانية والعشرين.

يظهر أن بناتنا في كل الأقطار يتعلمن للمهن الحرة، ولم يعدن يفكرن في البيت، وهذه خطيئة المناهج التي تعدهن، سأل الأستاذ موسى الدجاني جمهرة من بنات مدرسة بنغازي الثانوية عما يردن أن يعملن في المستقبل، فإذا بهن كلهن يرغبن في التعليم،

والطب، والتمريض، وما أشبه ذلك، أما البيت العربي المحتاج إلى التنظيم فلم يكن في حساب واحدة منهن.

وأخيرًا لا بد من الإشارة إلى الغلط، فمنه استعمال كلمة القاموس للمعجم، والقاموس اسم معجم لا معجم.

وقيل: أحدِّق في وجهها، والصحيح أحدق إلى وجهها.

وقيل: بحيث أنها، والصواب: حيث إنها؛ لأن حيث لا تضاف إلا إلى الجملة.

وقيل: ولا حتى، والتعبير فاسد.

وقيل: ترجوني، واللفظة لا تؤدي الغرض، ولو قيل ترجو مني لكان أصح.

وقيل: تأمر وتنهي، والصواب تنهى.

النقد السابع والثلاثون

٢٥ / ٣ / ١٩٥٣

«العلم التجريبي والأدب» موضوع جديد طريف، ناقشه الدكتور محمد كامل حسين وزملاؤه، محاولين تطبيق هذا العلم على الأدب كما حاول قبلهم سنت بيف، وبيرونتيير، وغيرهما من نقاد الفرنجة أن يصنفوا الأدباء كما صنف النبات، جالوا في بحثهم جولات موفقة، ولكنهم أخفقوا حين عدوا وصف الشاعر للغواصة والطائرة علمًا، فالشاعر يتناول من المشاهد ما يعني مخيلته لا ما يعني الحقائق العلمية، فالأدب يجف ويذهب رواؤه متى صار علمًا، كما أن العلم يفقد الكثير من حقيقته متى صار أدبًا.

إني أرى العلم ضروريًّا للأدب، فهو يساعده على خلق صور أدبية جديدة، وإذا جهل الأديب علوم عصره بدا كأنه واحد من رجال القرون الخالية، أما إذا عاش ذهنه في صميم العلم نصلت صبغته الأدبية، فأمسى لا هو في الشعراء ولا في الأدباء.

فالقصصيون الذين غرقوا في لجج علم النفس، وحاولوا تطبيق قصصهم عليه فقدوا الروعة التي هي عنصر الأدب، وملهم قراؤهم، مع أن علم النفس هو أقرب العلوم إلى الأدب، وقد عرفه كبار الشعراء والأدباء قبل أن يوضع، قبل أن كتبت فيه هذه الألوان من الكتب.

يقرأ العالم السيكولوجي هذا البيت:

الحب أول ما يكون مجانة وإذا تمكن صار شغلًا شاغلا

فيحدثنا عن الفكرة الثابتة وغيرها، ويقرأ بيت المتنبي القائل:

إلام طـمـاعـيـة الـعـاذل ولا رأي في الحب للعاقل

فيأخذه حجة أيضًا، فمثل هذه الومضات العلمية التي تشع في سماء الأدب تنعش النفوس، أما متى صارت كما فعل بول بورجيه، فإنها تعري الأدب من جماله، ولا يبقى إلا الهيكل العظمى الكريه. الخلاصة، قليل من العلم يفيد، ولكنه لا يصح أن يغدو طريقًا معبدة تكر عليها عجلات الأدب وقاطراته …

ومن برنامج المرأة سمعت حديثًا شاملًا عن المرأة، وأثرها في أدبنا العربي الحديث للسيدة سميه حموي نجم، تحدثت حضرتها عن الكتَّاب الذين كان لهم يد في نهضة المرأة، ونسيت أباهم وجدهم أحمد فارس الشدياق، ذاك العبقري الذي وقف قلمه على المرأة، وطالب بحريتها كاملة منذ قرن، كان بحث السيدة سمية جامعًا شاملًا، ثم استطردت إلى وقتنا هذا فقالت: إن المرأة نالت بعض حقوقها في لبنان مع أنها نالتها كلها وفوق الكل إن كان هناك فوق، وأظنها سمعت — كما سمعت — الأستاذ بيبي يسأل عضوات بلدية بيروت إذا كن عازمات على خوض معركة الترشيح لعضوية المجلس النيابي.

وقد أحسن الأستاذ عادل الغضبان في حديثه عن الأفغاني والرصافي وناصف حين حصر الكلام في بعض جوانبهم؛ لأن ربع ساعة من الزمن لا يفي بتعريف من ملئوا دنياهم حقبة من الزمن، ولكن الأستاذ عرف كيف يستغله فعرض صورة صغيرة إلا أنها تدل على جميع الملامح، وإن كنت أوثر أن يكون الكلام عن واحد فقط من هؤلاء النوابغ.

وفي «روضة الشاعر» لم تكن قصيدة الأستاذ حسن القاياتي من الشعر العالي، إن مثل هذا القريض المنظوم أصبح غير مرغوب فيه، فأين الشعر في قوله، مثلًا: معاذ النبل أن نرضى … إذا أطمعت حلواها … مطيع فيما يعضاها؟

وإذا كانت قصيدة الرصافي «نحن والماضي» عباسية الديباجة لا يفارق فيها الشاعر عمود الشعر الذي كسره شباب اليوم، فللرصافي قصائد أجود منها، ولعلها اختيرت دون روائعه الأخرى؛ لأنها ذات مغزى اجتماعي نحن محتاجون إليه كل يوم.

أرى إقبال سيداتنا وأوانسنا على القصص أمسى كثيرًا جدًّا، مع أن الأقصوصة تقتضي كاتبتها جهدًا وفنًّا، وأنا لم أرَ في قصة «قسمة القدر» للسيدة مسرة شهاب شيئًا

من هذا، كان الإنشاء مبتذلًا، واللحن منتشرًا، لا براعة سياق ولا جمال حوار، فنصيحتي للمهاجمين والمهاجمات أن يتمرنوا كثيرًا، ثم تطلق الأسهم بعد اشتداد السواعد فتحسن الرماية.

أما الدكتور عبد السلام العجلي فقصاص ماهر، عارف بأصول هذا الفن، وهو يطبق هذه الأصول على أقاصيصه فيوفق فيها، إن قصة «الخيل» جد موفقة، لقد كانت عقدة المودة بين الفرس والإنسان محكمة الربط، وكان الوصف وصف عارف خبير يصف ما رأى وعاش. ما زلنا نردد: «الخيل معقود بنواصيها الخير.» ولكن هذه الفرس الكريمة، رغم ما كان فيها من سمات تبشر بخير جزيل، لم يحالفها التوفيق، ولكنها لم تخسر الوفاء فماتت بموت من عرفت وعاشرت، أذكر أنني منذ أسابيع سمعت قصة بطلتها بقرة، والقصة مترجمة، فخلت تلك البقرة واحدًا من أفراد الأسرة، وها أنا اليوم أسمع قصة فرس العجيلي فلم أستغرب شيئًا مما حدث، فللإنسان صديقان من الحيوان قلما نجد محبتهما وتعلقهما في غير المخلصين من البشر.

وأما قصة المدير العام للأستاذ عزت السيد إبراهيم فظلت سائرة سيرًا حسنًا، حتى غالى كاتبها في نصفها الأخير، حين نقل حوادثها من الديوان إلى البيت، ففقدت الكثير من ذلك الجمال الذي أسبغه عليها أولًا.

النقد الثامن والثلاثون

١٩٥٣/٤/٧

أكثر من يتحدثن في برنامج المرأة يدرن في حلقة مفرغة هي حقوق المرأة، فكأنما لم تبقَ عندهن مشكلة تستحق البحث إلا هذه الحقوق، وكأن هذه الحقوق متى أعطيتها المرأة تبلغ الدنيا ذروة الكمال! ولكن الدكتورة زهيدة حميد باشا تعتقد أن كل ما تعطاه المرأة من حقوق لا يجعلها مساوية للرجل ما لم يُمْحَ من ذهن الأنثى ذلك الوهم الذي سمته مركب النقص، وهي تعني به اعتقاد المرأة أنها دون الرجل قوة، ثم أخذت تدلي ببراهينها على كفاءة المرأة الجسدية حتى انتهت إلى الزعم أنها أقوى من الرجل؛ لأنها تمرِّض وتطبخ!

وتحدثت السيدة مادلين أرقش عن المساواة والإصلاح، وإني وإن كنت ممن يطلبون الإصلاح، في كل آن، فلست ممن يؤمنون بتحقيق المساواة إلا في بطون الكتب، أما على ظهر البسيطة فلا مساواة قط، ولا بد من الرأس الواحد في كل كائن، وعلى الكائن تقاس الأشياء كلها، ولا استثناء.

وفي موضوع «علمتني الحياة» قالت السيدة الجليلة أسمى فارس الخوري إن الحياة علمتها ألا تثق بالتاريخ، وهذا لعمري درس مفيد، فالتاريخ، إن لم يكن كله أسطورة، فجله حكايات ملفقة. أما مذكرات مضيفة للآنسة … إبراهيم فمملوءة بالنصائح للمضيفات، فالله أسأل أن يريني وجههن ولو في شطحة قصيرة، إلى قبرص مثلًا، لأرى كيف تكون تلك الضيافة الروحية، وما تعده من ألوان هي أشبه بالضحك على اللحى …

وفي حديث النشاط الأدبي كان الدكتور فاخر عاقل ناقدًا صارمًا، فلم تفته شاردة ولا واردة حتى ذكر أولئك الذين يحضرون الحفلات الأدبية، ويتسلون بأكل البزر. حقًّا إن المحاضر ينشط كثيرًا متى رأى مستمعيه يصغون إليه بأفواههم ... ويصفقون له بفرقعة الفستق، وبزر اليقطين ...

ونصيحتي للأستاذ نبيه غطاس الذي تحدث في بريدنا الأدبي عن «التجارة في الأدب» أن يقلب هذه الأسطوانة، فقد أكثر من الكلام في هذا الموضوع، وأولى به أن يعمل ما استطاع بدلًا من أن ينعى على الأدباء عملهم. وعقدت الآنسة أماني فريد جلسة شعرية مع الأستاذين إبراهيم محمد نجا، ومحمد هارون الحلو، بمناسبة فصل الربيع. كان العهد بالشعراء أن يستقبلوا الربيع بالغناء والتهليل، ولكن الشاعر نجا جعل لازمة قصيدته الربيعية: فما بك يا قلبي ... إلخ. إذا كان الشاعر نجا ينوح ويبكي في استقبال الربيع، فما عساه يفعل إذا نظم شعرًا خريفيًّا شتائيًّا؟ كان آخر قصيدته خيرًا من أولها، وخصوصًا ختامها، أما الأستاذ محمد هارون فكان خيرهما ديباجة، وأجودهما خيالًا.

وكانت قصة الأسبوع للأستاذ عبد العزيز سيد الأهل كأكثر أخواتها مستوحاة من تاريخنا القديم، كان عنوان هذه «أزمة زواج»، وقد تصرف الأستاذ فيها تصرفًا فنيًّا حسنًا، فأدى الفكرة كما كانت تؤدى في زمن الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز، وختم القصة ختامًا حسنًا، ولا يعنيني إن كان تاريخيًّا أو لم يكن، فنحن في صدد قصة لا في صدد تاريخ، ولا بأس أن تغير موعد تاريخ موت ابن ليلى لتنجح القصة، وإن كانت فيها عبارة جديدة لا أراها من بضاعة ذلك العصر، وهي قول الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل: يطلب إليها يد إحداهن!

مناسبة الفصح: كانت قصة «أم نجم» للأستاذ إدوار حنين خير المقول بمناسبة عيد الفصح المجيد، وإن لم تكن قوية الاتصال به، كانت قصة لبنانية جميلة لونًا وتعابير وحوادث، وإن كان لا يتذوقها حق التذوق إلَّا من عرف المجاعة اللبنانية في الحرب الأولى، لا غبار على صحة هذه القصة إلا بعض ألفاظ عامية غير فصيحة.

والسيدة أسمى طوبي في حديث «المريمات الثلاث» شاءت أن تشرك المرأة في مأساة الفصح، ولكنها لم تخرج الرواية إخراجًا فنيًّا، بل روت أخبارًا يعرفها أصحاب العيد عن ظهر قلب.

النقد التاسع والثلاثون

٢٢ / ٤ / ١٩٥٣

روضة الشعر: أرى روضة الشعر ممسوخة وإن كان الفصل ربيعًا، فهذا الشعر الذي ينثره علينا المذياع متشابه متماثل، فقلما تهب علينا منه نفحة جديدة، فكأن الشعراء لا يفكرون بالخلق، وكأنما الشعر عندهم رصف ألفاظ واستقامة وزن، فأغراضهم لا تتبدل ولا تتنوع، وتكاد تكون هي إياها: شكوى وأنين وحنين.

ظل الشعر القديم على جدته حقبًا من الدهر، وما عتق إلا بعد عمر طويل، كان كل شاعر من أولئك يحاول أن يأتي بالبدع، وأما شعرنا اليوم فأمسى مكرورًا معارًا في حقبة قصيرة، ومرد هذا إلى أن شعراءنا لا يبالون إلا بالتفاعيل، وتعبئة الأوزان ألفاظًا، ولهذا مل المستمعون هذا الشعر الذي نسمعه، ولا ندري ما نجيب إذا سئلنا عما كنا نسمع، فليت من يدعون إلى روضة الشعر لا يكتفون بهذه الأزاهير التي لا شذا لها ولا عبير.

ومن روضة الشعر يصح الانتقال إلى نماذج السيدة زينب محمد حسين الزجلية النسوية، إن هذه السيدة تلج في شعرها العامي صميم قلب الواقع، وتصور لنا شخوصًا نصادفها في كل مكان وزمان، فالمصغي إلى ما تقول يخرج من غرفته، وفي ذهنه صورة فنية لإحدى الإناث بينا هو لا يحمل من ذلك الشعر الفصيح إلا الآهات والتنهدات التي عندنا منها — دائمًا — ما يكفينا.

وبعد عهد طويل سمعنا حديثًا أدبيًّا موضوعه «مع نفحات النسيم» للأستاذ محمد عبد الغني حسن، لقد أصاب الأستاذ عبد الغني، وهو شاعر معروف، حين قال: إن الشعراء العرب كانوا أبر الناس بالنسيم، إن بعضنا يظنون أن الشاعر القديم لم يكن

يصور محيطه في حين أن هذا الشاعر ما صور إلا ما أدرك وعايش من مكان وزمان وحيوان، وهو لم يبر بالنسيم إلا لأن النسيم يبرد قلبه المتقد في الصحراء الملتهبة الرمال، إن الهواء في لبنان عبء ثقيل على مناكب الناس، ومع ذلك نسمع شاعره العامي يقول: ريح الشمالي يا نسيم بلادنا.

إن بين الشعراء والنسيم مودة وثيقة العرى، فهو الرسول الأمين وموزع البريد، ومبدع الصور الشعرية، وقد ألم بهذه كلها الأستاذ حسن، وهو يحسن جدًّا إلى الأدب إذا عدل في أحاديثه إلى مثل هذه الموضوعات الخاصة بدلًا مما نسمع من الكلام العام حول أدبنا التائه.

وكانت زيارة الميكروفون لقلعة حلب مفيدة ولذيذة، أحسن الأستاذ عبد المجيد أبو لبن اختيار هذه القلعة التي يسمع الناس بها كثيرًا، ولا يعرفون عنها شيئًا، زرتها مرة على عهد الانتداب فلم أعرف عنها إلا أنها قلعة؛ وذلك لفقدان الدليل، ولكنني صعدت إلى منارتها المشرفة على الشهباء، فرأيت مشهدًا بديعًا، ما دللت وقتئذ إلا على قاعة سيف الدولة، أما هذه التفاصيل التي كبرتها في عيني، فما وجدت في ذلك الحين من يقولها لي.

الأقاصيص: أولها قصة «الشيخ مبروك» للآنسة سميرة عزام، التصوير فيها تام، والتعابير طريفة، فلا تنتهي من سماعها إلا وقد عرفت معرفة تامة الشيخ مبروك الذي صار عريسًا في آخر الحياة، وتحس أن أسطورة الكرامات قد انتهت حين مشى المزين بين ثنايا لحيته، وتهاوت خصلها، فتهاوت معها ثقة الناس بفضائله.

كل هذا جميل، ولكني لا أزال مصرًّا على القول أن على الآنسة عزام أن تقوي عنصر الحكاية في أقصوصتها ما استطاعت.

أما أسلوب الآنسة فنقيٌّ طريف، وأتمنى أن تدع العبارات الكثيرة الاستعمال اليوم مثل: قد افتقدته أنا الآخر، إن هذا التعبير غير صحيح إذا اعتمدنا على ما وضعه القدماء من أصول؛ لأن الآخر هنا نعت لأنا والضمير عند النحاة، لا ينعت به ولا ينعت، والصواب أن يقال: افتقدته أنا أيضًا.

وقالت: وأعطاها لابن أخيه، وأعطى تتعدى بنفسها لا باللام.

وأما قصة «مفاجأة» للأستاذ كمال منصور، فكان سياقها وحكايتها خيرًا من عبارتها، ففي التعبير أغلاط، وفي القراءة لحن، ولكن التوجيه إلى ختامها كان حسنًا، وهو عندي يشفع بما فيها من هنات غير هينات.

النقد الأربعون

٦/ ٥/ ١٩٥٣

في ركن الأدب تحدث المحامي الأستاذ أحمد سويد عن الكتب الجديدة، فتكلم عن «جعبة الصياد»، وعن ديوان الشاعر شفيق معلوف، وكتاب ناظم حكمت تعريب الدكتور علي سعد، درس «جعبة الصياد» درسًا جيدًا، وأما في نقد ديوان المعلوف، فكان عارضًا راويًا أكثر منه ناقدًا ومحللًا، وقد أقل الكلام حين تحدث عن كتاب الدكتور سعد.

واستمعت إلى بريد المستمع في الدورة الفائتة، فعجبت لإطالة الأستاذ سميح الشريف الرد على من انتقد جمع خدمات، إن من يجهل أو يتجاهل القياس لا يرد عليه بهذا المقياس ... إني أشكر للشريف تفضله بالدفاع عني في الحديث الأخير، وإن كنت لا أزال حيًّا أرزق، وأنتظر رد الشيخ مبارك إبراهيم بفارغ الصبر.

وأمام الميكروفون سمعت المربية الآنسة هيلين ليا فأعجبني من حديثها، وهي مربية قديمة، أنها لا ترى من أصالة الرأي أن يختلط الجنسان في التدريس الابتدائي والثانوي، لا يعرف الشوق إلا من يكابده ...

الأزجال اللبنانية: سمعت الآنسة حنينة ضاهر تنشد من قولها اللون المعروف عندنا بالمعنى، إن قولها جيد، ولكنه متجه نحو الفصيح، والفصاحة في نظري لا تلائم الشعر العامي.

وفي ركن حديث الشهر انتظرت أن أسمع الكاتبة أمينة السعيد، فإذا بي أسمع الدكتورة درية شفيق التي كان موضوعها «شئون النساء وحقوقهن»، لقد كثر بحث هذا الموضوع حتى صرت لا أدري ماذا أقول فيه، وأعلق عليه.

أما «حديث العمال» للأستاذ رشيد شقير، فكان حديثًا تاريخيًّا شاملًا بمناسبة أول أيار، كان هذا العيد فيما مضى عيد الزهور، وقد عني به الشاعر الإنكليزي جون روسكين، فكانت تنتخب فيه من يسمونها ملكة أيار، فسبحان من يغير ولا يتغير.

وعلى ذكر عيد الزهور هذا أذيعت من المحطة إضمامة شعر عبقة الشذا للشاعر فريد الملاط، كانت الأولى من طراز المعلقات محكمة النسج رنانة طنانة، بينما كانت الثانية، وعنوانها: «مناجاة زهرة» من طراز شعر اليوم، موقعة إيقاعًا حسنًا، وقد أجاد الشاعر مناجاة زهرته كقوله:

أنت للوادي حلى وبك الوادي حلا

فهذا الجناس، وإن يكن غير مرغوب فيه اليوم فهو جميل متى جاء عفو الطبع كما هي الحال هنا، وتحدث الأديب العراقي الأستاذ رافائيل بطي عن شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي حديثًا ممتعًا جامعًا سيرة حياته، ووصف شعره، وشيئًا مما قاله كبار رجال القلم فيه، ولا بدع أن أجاد بطي فهو في هذا الموضوع من الإخصائيين المفارد.

تحدثت السيدة صفية فراج عن موريس ماترلنك تحت عنوان «امرأة من وراء شاعر»، وكم من امرأة ألهبت قرائح الشعراء والكتاب إبان خمودها، ولولاهن لظل هؤلاء حيث وقفت بهم الشيخوخة، ولم يبلغوا آخر الشوط، وإذا نسينا فلا ننسى «مدام» أناتول فرانس التي أرغمته على كتابة خير رواياته: «الزنبقة الحمراء».

النقد الحادي والأربعون

٢٠ / ٥ / ١٩٥٣

ومن الشعر سمعت للشاعرة فدوى طوقان قصيدة «أنا راحل»، وهي من طراز شعرها الأنيق الذي تنهض به العاطفة المتقدة إلى مصاف الشعر العالي، أقول هذا وإن لم يعجبني قولها: حلمًا بلا لون، ونجمين في فلكين يتخبطان ... فليت الشاعرة تبتعد عن هذه الصور التي لا لون لها! فالنجوم لا تتخبط في الأفلاك، وهي لو فعلت لخربت الدنيا.

رمضان المبارك — أعاده الله على الملة، وهي في أرغد عيش وراحة بال — قد خلق عكاظًا جديدة في محطة الشرق الأدنى، فهذا الأستاذ أبو سعد يعقد جلسة رمضانية يتحدث أعضاؤها عن الصوم عند جميع الملل، وفي آخرها ألقى الأستاذ أبو سعد كلمة ختامية بليغة جامعة، فدفع نقدًا للشيخ الذي ذكره «بمشيخته» في افتتاح الجلسة.

وفي روضة الشعر أنشد السيد عبد العزيز عريقات ثلاث قصائد ليست له، إحداها همزية مفتوحة سمعت فيها إقواء حين، قال: فأنضحها بماء ... القصيدتان الأوليان قديمتان، والثالثة حديثة من شعر عمر أبي ريشة، ولعلها عندي وعند غيري خير من القصيدتين القديمتين.

ثم حدثنا الأستاذ حموده عن رمضان في الأدب العربي، فروى شعرًا كثيرًا لشعراء كثيرين، منهم ابن الرومي القائل:

شهر الصيام مبارك　　　ما لم يكن في شهر آب

ومن عرف معدة ابن الرومي ذات الشيطان الرجيم عذره على هذا القول، وخصوصًا متى علم أنه كان من المصابين بالسكري الذي لا يرتوي صاحبه …

وفي جلسة أدبية عقدها الأستاذ عزيز أباظة مع الأستاذ غزال والسيدة عزيزة خالد دار البحث حول تأثير المرأة في الأدب والشعر، ولم يذكر المتباحثون إلا الشعر القديم الذي أوحت به المرأة، ولعل هجر المعاصرين للشعر القديم هو الذي حبب إليَّ سماع هذه الجلسة، وإن كنت محيطًا بكل ما نقل فيها من شعر.

وفي ركن حصاد الفكر العالمي تحدث الدكتور حكمت هاشم عن نقد كتاب الأغاني للأستاذ شفيق جبري، أطرى الدكتور هاشم نقد الأستاذ شفيق جبري، ولا بدع، فالأستاذ جبري عميق في دراسات ينحو فيها نحو كبار نقاد الفرنجة، وكثيرًا ما يوفق إلى الاكتشاف، أما الذي تلا هذا الحديث فلم يحسن التلفظ بأسماء النقاد الفرنجة؛ لأنها — على ما أظن — لم تكتب بالفرنسية لتلفظ على حقها، إن مصيبتنا بتعريب الأسماء الأعجمية كبيرة، فقد اختلف المعربون في ذلك حتى «ضاعت الطاسة»، أذكر أني قرأت اسم شاعر الألمان العظيم كما يأتي: غوت، غوتيه، جوت، جوته وهلم جرا.

أقاصيص الأسبوعين: حاول الأستاذ أنور … تطبيق علم النفس على أقصوصته، فصور شابًّا يحدث آنسة تلفونيًّا، وهو لا يعرفها، وهي لا تعرفه، فاشمأزت أولًا، ثم لانت بعدئذ، وأمست تنتظر ذلك الحديث، وتبكي إذا لم يحدثها. إنني أتمنى اطراد المحاولة فنحن محتاجون إلى مثل هذا اللون القصصي، وليت الكاتب يتوقى اللحن، فهو مشين.

أما قصة «على الدرب» للآنسة سميرة عزام فهي كأكثر أقاصيصها التي تختار أبطالها من البؤساء، ولا أنعى هذه المرة على الآنسة إلا قولها: خاتم الخطوبة، فأين هي من الخِطبة حتى تستعمل هذه اللفظة العامية غير الفصيحة؟ والغريب أن تتلى قصة سميرة بالنيابة وهي تنوب عن الكثيرين، فلا بأس عليها إن شاء الله.

والقصة الأخيرة «تحية الوداع» للأستاذ عبد المجيد لطفي كانت جيدة وطريفة، صور فيها الأستاذ موظفًا صغيرًا في قرية يعطيه أهاليها فوق حقه حتى لقبوه دكتورًا، ولكن هذه الدكتوراه دعته ليلًا إلى عيادة مريضة ظنها سيدة فإذا هي بقرة … ودعي

أخيرًا إلى توديع ولده، فإذا هو أمام العجل الذي عاد أمه ... إني أتمنى أن يوفق الأستاذ لطفي إلى مثلها.

النقد الثاني والأربعون

١٩٥٣/٦/٣

رمضان: خلقت أحاديث رمضان جوًّا روحيًّا موفقًا، انتعش به العقل والقلب، فكانت السيدة وداد سكاكيني متمردة في حملتها على الوعظ الذي أمسى تكرارًا مملًّا لا يتصل بروح رمضان، وحملت حملة شعواء على خطأ الناس في الدين، وتصييرهم إياه جبة وعمامة، فذكرتني بالإمامين محمد عبده والأفغاني، لقد شبهت السيدة سكاكيني الحديث في رمضان بزي أصبح مبتذلًا، وعندي أن ليس حديث رمضان وحده أمسى هكذا بل كل الأحاديث الوعظية ما خلا نفرًا قليلًا من الأئمة والكهنة الذين يحاولون بحث هذه الموضوعات على نمط جديد لا يبتعد عن روح الدين، ولا يتوكأ على الكلام المعتاد، كحديث الشيخ طاهر سبيطة الذي تكلم عن سمو الإسلام بالإنسانية، فأرانا بإيجاز وبلاغة أن الله قريب من عباده، وهذه روح دين الرحمن الرحيم.

وجال الأستاذ بهيج عثمان جولة موفقة في مجاهل الأدب العربي، فأسمعنا ما قاله في رمضان كل من الأخطل والبحتري وابن الرومي وابن عباد وأبي العتاهية وشوقي، فكان حديثه حيًّا بأقوال هؤلاء، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم.

وتحدث الأستاذ الكبير ميخائيل نعيمة في موضوع جديد عنوانه: «ملاذنا الأول والأخير» وعدد أنواعًا كثيرة من النكبات حتى عد موت حيوان عزيز نكبة، وأخيرًا تخلص إلى أن لا ملاذ لنا — أولًا وآخرًا — إلا في الدين، ولو وعظ ألف مطران ومليون خوري لا يؤثرون في الناس مثل كلام رجل خرج من الحظيرة، ثم عاد يقول: إنها الملاذ الأول والأخير.

أما الكاتب الكبير الأستاذ محيي الدين النصولي الذي لم يفارق الحظيرة قَطُّ فكان كلامه صادرًا من أعماق قلبه، تزينه ديباجته الأنيقة الدمقسية النسيج، وهو يتفق مع الأستاذ نعيمة في أن ليس للناس موئل إلا الدين.

وقدم الأستاذ اللوزي شخصيتي الأسبوع، فحدثتنا الدكتور قسطنطين زريق عن التربية ومشاكلها شاكيًا ضعفها عندنا، ثم تعرض للتعليم الآلي، فرأى أنه يخرج تلاميذ بلا شخصية.

ولما سئل عن أَحَبِّ المناصب إليه أجاب: التدريس، وما أظن المربي الحق إلا كبير أمناء الأمة، وحسبه هذه الوظيفة.

أما الشخصية الثانية، وهي الأستاذ جميل المكاوي المستقيل حديثًا من السلك الخارجي، فأرانا بوضوح ودبلوماسية مشاكل لبنان، وفشله في إنشاء الوطن والدولة، ورأى أن هناك ستين ألف عامل بلا عمل، فهل من يصف الدواء لهذا الداء؟

وفي حصاد الفكر العالمي تحدثت الأستاذة زاهية أيوب ملخِّصة كتاب «مستقبل النشء» لكاتب إفرنسي كبير، وقد أعجبتني منه نظرته إلى البكالوريا التي خلبت عقول الفتيان، وهي شهادة ثانوية ليس إلا، كما أعجبني تطبيق السيدة أيوب لأقوال الكاتب على هذه الديار التي تتلهَّى من العلم بالقشور.

أما الأقاصيص الثلاث، فكان خيرها أقصوصةً الأستاذ رشاد دارغوث، وعنوانها: «ربيع الرسول»، كان أسلوبها شعريًّا، والأسلوب الشعري عنصر هام في الأقصوصة، بل إذا خلت منه فاتها شيء كثير.

وهنا لا بد لي من ملاحظة عامة: إن كلمة وحده هي منصوبة دائمًا على الحالية لا تدخل عليها اللام حتى يقال لوحده، ولا تأتي مجرورة إلَّا في قولنا نسيج وَحْدِه.

وكلمة «طيلة» خطأ لغوي، ويقال طوال لا طيلة، أما «حيث» فلا يكون الاسم بعدها إلا مرفوعًا.

وكذلك لا يقال: زف الشيخ إلى زوجه، فالزوجة تزف لا الرجل.

أما حضرة الشيخ إبراهيم، فنصيحتي له ألا يكتفي بمعجم واحد ليعلم أن معنى الزخم الدفع الشديد، فليراجع الفيروزآبادى إذا شاء.

النقد الثالث والأربعون

١٧ / ٦ / ١٩٥٣

رمضان والعيد: كانت أحاديث رمضان والعيد مباراة رائعة جال في حلبتها أصحاب الفضيلة والأدباء والمؤرخون، فأفاد منها المستمعون أدبًا ومعرفة، تحدث الأستاذ الشيخ محمد حسن مخلوف عن رمضان شهر الصيام وشهر القرآن، والأستاذ رشيد العبيدي طرق الموضوع نفسه؛ فكان حديثه الصباحي — على قصره — جامعًا بليغًا جدًّا.

والشيخ جمال الحنفي تحدث عن الحياة العائلية في القرآن الكريم، فأرانا أن النبي ﷺ كان يشاور نساءه، وإن جاء: الرجال قوامون على النساء، ثم تخطى إلى القول أن لا بد من رئاسة في البيت، وهذه القيمومة لا بد منها.

وفي ندوة الشرق الأدنى المعقودة في العراق تحدث ثلاثة علماء، فعرفنا كيف يحتفى برمضان في العراق ومراكش وحضرموت، قال الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي: إنهم في مراكش يعدون له العدة قبل حلولة بأشهر، وإنهم يفطرون على «الحريرة»، وإن الزوايا الصوفية تعمل وتحيا في هذا الشهر، كما أن لأشراف تطوان جلسة موسيقية أسبوعية. أما الأستاذ عمر باوزير الحضرموني، فخص بالذكر إعطاء المحرومين في بلاده، وقد كان حضرته أسهل أعضاء هذه الندوة لسانًا وكلامًا.

ولما أذن رمضان بالبين دار الكلام حول العيد، فعالجت الندوة في مصر موضوع الأعياد في الإسلام، وسأل شيخ هذه الندوة — محمد المويلحي — الأستاذ محمد علي حماد «المخضرم» أن يتحدث عن العيد منذ أربعين سنة، فأفاض الأستاذ حماد في الحديث، وأشار إلى توزيع الثياب الجديدة والأطعام، أما السيدة زينب لبيب فقالت: إن العيد

لمصافاة القلوب، فتذكرت كيف كنا ننتظره في القرية لنقضي على الخصومات بين أهلها، ثم انتقدت السيدة زينب المرأة التي تتشدد في طلب الملابس بمناسبة العيد، وقالت: إن رسالة المرأة هي تأليف القلوب، ونشر السعادة في الأسرة.

وكأني بالدكتورة بنت الشاطئ قد شاءت أن يكون موضوعها «أسلوبنا في العيد» غربلة لكل ما قيل، فانتقدت عاداتنا في الأعياد، ورسمت لها مشروعًا جديدًا لتكون أعيادنا أكثر جدوى، وذلك بأن يكون العيد ذكرى لمن أحسنوا في العام الماضي ضبط النفس، ثم حثَّت المرأة على الجهاد في سبيل الخير والحق والجمال.

وبهذه المناسبة أتحفنا الأستاذ عز الدين فراج بإضمامة طريفة من أقوال نوابغ الغرب في شخصية النبي الأعظم، لقد أنصف هؤلاء العلماء من خلق إنسانية جديدة انتشرت في جميع أقطار المسكونة، فمتى يقدم منا نحن الشرقيين من يدرسون هذا المواطن الأسمى درسًا منصفًا مثل هؤلاء؟ لن يكون هذا إلا عندما نبرأ من دائنا الاجتماعي، فترينا أعيننا الشخوص كما هي لا كما نتخيلها بأعين الملل والنحل.

فإلى العرب أجمعين والمسلمين قاطبة، نقدم أخلص التهنئات، ونتمنى أن نثب الوثبة الكبرى قبل العيد القادم.

روضة الشعر: قدم منها باقة الأستاذ عزيز أباظة، فقال في مقطوعة «قدر»: عربد الدهر وألقى بعصاه، أظن أن من يعربد لا يلقي بعصاه، بل يضرب بها! وقال في مقطع حنين: حتى إذا الليل لفتك جواشنه، وإشباع الكاف لا يجوز في علم العروض.

شخصية الأسبوع: أنصف الأستاذ أبو سعد إذ اختار الشاعر العلامة وديع البستاني شخصية أسبوع، فالرجل الذي قضى عمره بين الأوراق والأقلام يستحق أن يكون شخصية العام؛ فوديع البستاني أول من عرب الخيام، وها هو يعرب المهبراتة جريًا على خطة معلمه سليمان البستاني معرب الإلياذة.

حديث الأطفال: جميلة كانت أساطير الأستاذ كامل الكيلاني، فهذا «الأرنب العاصي» يروق لنا نحن الأطفال الكبار، فكيف بالصغار؟ اللغة صحيحة مفهومة، ولعلها لا تقل سهولة وامتناعًا من أساطير ابن المقفع، ولعل الكيلاني قد أراد مجاراة شوقي فعمل المنشور الذي أصدرته حكومة الأرانب رجزًا، أنا لا أستحسن الشعر هنا، ولكني لم أجده نابيًا، كما وجدت لفظة عرجتها، أي صيرتها عرجاء، فأين الأستاذ من الهمزة؟ فلمثل هذه الحالة وضعت أحرف الزيادة.

وفي هذه الفترة سمعت أيضًا قصصًا من الحياة: «كلب وثلاثة رجال»، و«بائع الزهور»، وهما مسليتان أيضًا، وإن خلتا من روعة أسطورة الكيلاني.

الأقاصيص: أعجبني جدًّا حديث الأستاذ عبد الوهاب الأميني عن خير قصة في العالم، كانت منتقاة من ستين ألف قصة، اشترك في هذه المباراة خمسة وأربعون قطرًا ما عدا العالم العربي، الجائزة كانت ٥٠٠٠ دولار، ولكن اللجنة المحكمة وزَّعتها على أربع أقاصيص، فكانت الأقصوصتان الأوليان إفرنسيتين، ثم أضيف إلى الأربع قصة هندية رآها المحدث خير تلك الأقاصيص، أما في نظر اللجنة فهي الخامسة، وقد لوحظ أن مؤلفي هذه الأقاصيص وجوه جديدة، وليسوا من المشاهير.

النقد الرابع والأربعون

١٩٥٣/٧/١

نحو عالم أفضل: بحث عالجه الكثيرون من المفكرين والأدباء، ولما آل القول فيه إلى الأستاذ فؤاد صروف فتح فيه فتحًا جديدًا، فهيمن عليه العلم، كان بحثًا خياليًّا فصار فكرة يمكن تحقيقها، جمع الأستاذ صروف في هذا الحديث جمال الأدب إلى قوة المعرفة، وعمق التفكير، وصدق المحاكمة، ودقة البحث، فهذا الأديب الأصيل طغى العلم على أدبه مذ خلف عمه يعقوب في رئاسة تحرير المقتطف التي كانت منذ ولدت في بيروت وشيخت في مصر، مدرسة تبذر العلم والمعرفة في حقل الفكر العربي، فمن استمع إلى هذا الحديث يلم بتاريخ الفكر واليد البشريين، وما اكتشفا من أسرار الكون، فليت مجلة هذه المحطة تتحف قراءها بهذا الحديث ليفيد منه من لم يسمعه، بل ليتها تعيد الأستاذ صروف إلى جوه العلمي، فيمطر الآذان من وابل هذه الفوائد الجليلة التي تنير العقول.

حديث الشهر: لست أدري لماذا آثر الأستاذ ميشال أسمر تلك المقدمة المسجوعة لحديثه هذا، فهو لا عهد له بمثل هذا الأسلوب، ربما كان ضجيج المعركة الانتخابية الذي يسمعه اليوم في بيروت قد جرَّه عفوًا إلى هذا الإيقاع الكلامي، والعبارات الرنانة المطابقة لمقتضى الحال، وقديمًا قالوا: لكل مقام مقال، وخصوصًا إذا كان الكاتب من خائضي غمار المجال كالأستاذ أسمر المرشح للنيابة.

أزمة الأدب: تحدث الدكتور عبد القادر القط عن أزمة الأدب، فأحسن وصفها، ووضع أصبعه على الوجع حيث الدمل الخفي، أما نحن فنطلب من أمثال الدكتور القط أن ينشئوا لا أن يصفوا، إننا نرجو من الشباب أن يعملوا بدلًا من أن ينعوا على الغير

أعمالهم، أليسوا هم أدباء؟ إني أرى أدباء الشباب يكثرون من التعليق على هوامش الأدب، فإذا شاءوا أن يكون لنا الأدب الذي يشتهون ويصفون، فما عليهم إلا أن يضعوا لنا النماذج. هين علينا أن نضع التصميمات، ونطلب من البنائين أن يشيدوا قصور ألف ليلة وليلة، ولكن التفكير شيء والعمل شيء آخر، لقد ألهتهم هذه المباحث عن كل أثر يبحثونه، فليتهم يعدون عنها، فقد بشمنا وأتخمنا، إننا إلى رائعة صغرى أحوج منا إلى هذه المقالات، فالتجديد لا يدرك بالتمني بل بالمحاولة.

ذكرى خليل المطران: وفَى الأستاذ عادل الغضبان شاعرنا العظيم خليل مطران حقه، حلل نفسيته وشاعريته التي تفاعلت ففعلت وانفعلت، ثم ألم بجميع نواحيه الأخر بكلام قل ودل، إننا نوافقه على أن شعر خليل مطران هو شعر الحياة والحقيقة والخيال، ولكن بتحفظ؛ فشاعرنا مطران كالمتنبي له نظم يزحف على حصباء الوادي، وله شعر يدوم حتى يقع على أسمى الذرى، إنه في شعره كالغمام، فهو تارة: «دان مسف فويق الأرض هيدبه»، وطورًا يتعالى فوق الفوق، وهذا لا يحول دون كونه واضع دستور الشعر العصري كما قال الشاعر الغضبان، وقصارى القول: إن بحث الأستاذ عادل كان دقيقًا وعميقًا.

الكتب الحديثة: كان ركن الأدب تعريفًا بالكتب الجديدة، ونقدًا وجيزًا لها، تكلم المتحدث عن مسرحية «ولادة» لحسين سراج، وقدم آراء وجيهة، مبينًا فيها لماذا لا تنجح المسرحية الشعرية، وتكلم عن كتاب الجاحظ لحنا فاخوري، وكتابي عبد العزيز سيد الأهل، وكتب عيد الفصح للدكتور فريحة، وتموزيات فؤاد سليمان، لقد فاتني اسم المتحدث في البداية، ثم لم يذكر في النهاية، وإذا صدق الظن فالصوت صوت الأستاذ سميح الشريف الأديب المتكتم.

الجلسات: جلسة «أثر البيئة في الشعر» وهي عراقية المنشأ، للدكتور سليم النعيمي وشركاه، يخيل إليَّ أني سمعتها مرة، أما الجلسة الأدبية الثانية التي عقدها ممثلو «أهل القلم» في لبنان فحدثتنا بغموض عن رسالة أهل القلم، وعدنا الأستاذ صلاح الأسير والسيدة أملي فارس إبراهيم بحدث عظيم، وإنا لمنتظرون، لقد تحدثوا كثيرًا عن المادة، ومن ينتظر المادة لينتج كان كمن ينتظر أدسم المآكل ليمسي جبارًا، إن الجبار يخلقه الخبز الحاف يا صلاح، والكناري لا ينتظر حب القنبز ليغني أنشودته العظمى.

روضة الشعر: سمعت أزجال القوال عبد الله أبو جودة، ولا عجب، فالزجل شعر، وما كان شعراء الجاهلية إلا كهؤلاء، أرى أن يتجنب أبو جودة العبارات الفصيحة مثل:

الماء النمير وغيرها، فهذي لا تلائم الزجل، وأن يبقي للكلام العامي لون تركيبه الخاص، فهو يفقد روعته متى حول عنها. فقال أبو جودة مثلًا: مثل دبس بعلبكي، مقصر جدًّا عن قول رشيد نخلة: والشعر دبس بعلبكي، جميل قوله: وذقنها في مية العاج اغتسل، ولكن تذكير الذقن، وخصوصًا متى كانت ذقن واحدة مثل قرقورته سلوى لا يستحسن أبدًا.

قصة الأسبوع: وعنوانها: «المقامر» لسامي الشقيفي قصة جيدة، ولكنها لا توحي إليَّ شيئًا؛ لأني مقصر في ميدان الحضارة، أما بطل القصة بشير فلا عجب إذا اختلس مال الصندوق، فالمقامر يسرق الجامع والكنيسة والدير.

مآخذ: قال أحد المتحدثين: لم يكادوا يفعلوا، والصواب يفعلون. وقال: أن يعيشوا بعضهم مع بعض، والصواب: أن يعيش بعضهم مع بعض.

النقد الخامس والأربعون

١٩٥٣/٧/١٥

نحو مجتمع أفضل: الأستاذ سلامة موسى رجل عقل يؤمن بالعلم، وهو كاتب مناضل تحت لوائه يستحق لقب رسول التطور، فقد عقد له هذا اللواء بعد الشميل وصروف، فخاض معارك النشوء والارتقاء باحثًا عن جذوره في أعماق النفس البشرية، مضى يدعونا إليه في ملبسنا ومأكلنا وأثاث بيوتنا، ولا أنسى أنه دعا إلى خلع الطربوش، ولبس البرنيطة حاسبًا أن ذلك يجدد تفكيرنا فنجاري ركب الحضارة، فهذا الكاتب الاجتماعي المختمر الفكر يرى بناء المجتمع على أساس العلم الحديث، ويحارب العادات المتأصلة فينا، ويرى أن البشر لا يدركون مجتمعًا أفضل ما لم تستحل عواطفهم إلى حقائق يمكن بحثها كالقضايا العلمية، فلا تطغى قلوبنا على عقولنا حين يمس البحث من قريب أو بعيد عاداتنا وتقاليدنا.

فسلامة لا يؤمن إلا بالعلم، ولذلك يرى أن المجتمع الأفضل هو الذي يربينا تربية نكون معها طلبة مدى حياتنا نتعلم، ونختبر الدنيا، ونزداد حكمة ومعرفة، ثم لا يكتفي بتلك المعرفة التي ينشدها الخياليون، فيحث على حرفة نرتزق بها لنعيش شرفاء، تلك رسالة سلامة موسى الحرة التي اعتنقها منذ شب، وقد كان يسكت يوم لم يكن يستطيع رفع الصوت جهرة.

وتحدث الدكتور جبرائيل جبور عن اهتمام العرب القدماء بالكتاب، وتنافسهم في شرائه، ثم استطرد إلى الشكوى من الطلاب الذين لا يقبلون على المطالعة. نعم، إن طلاب اليوم أمسوا ولا يعنيهم إلا الحصول على الشهادة، فينصبون لها الشراك في كل طريق

يؤدي إليها، وما لهم وللمعرفة ما زالوا لا يهمهم إلا تلك الورقة، ولا بأس إن كانت من نوع السلاح الفاسد.

ومن شخصيات الأسبوع قدم الأستاذ محمد البيري الأمير رئيف أبي اللمع، الأمين العام المساعد للجامعة العربية، فكان حديث الأمير كالخطابة، ولكل امرئ من دهره ما تعود، نسب الأمير الكلمة المشهورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا للإمام علي، وأظنها لابن الخطاب، أما نصيحة الأمين العام المساعد للشباب العربي، فلم تكن من خير ما عنده.

وتحدث الدكتور الأهواني والأستاذ عبد الغني حسن عن أثر محمد عبده في الجامع الأزهر، وكيف حاول ذلك القطب العظيم التجديد في كل شيء. وتحدث الدكتور أحمد كمال زكي عن صلة الأدب بالحياة، فطاف بنا حول الكرة الأرضية حتى ألقى عصا الترحل عند بشار والجاحظ اللذين مثلا عصرهما والحياة فيه أصدق تمثيل.

يعتبر الدكتور أن كل أدب يفقد قيمته إذا ابتعد عن الحياة، وأنا أعتقد أن الأدب الذي ينغمس في الحياة يفقد قيمته بعد فوات أوان تلك المواد التي كونت ذلك الأدب، الأدب يصبح تاريخًا إن لم يكن لصاحبه شخصية فنية تكفل الديمومة لما يكتب، فهذه الأبيات التي تمثل حالة الدويلات العربية في زمان المتنبي ستفقد وزنها حين يتغير وضعنا الحاضر، ولا يبقى لشاعرنا الأعظم إلا فكرته الإنسانية العظمى.

وقد ورد ذكر الجاحظ عند الأستاذ قدري طوقان حين بحث الإخلاص للحق في كتب العرب. إن العربي جريء، وكل جريء يحب الحق ويقول الحق، وأما مزج العلم بالأدب فهذه طريق شقها الجاحظ للعقل العربي، فكان كل من جاءوا بعده عيالًا عليه.

وتحدثت السيدة نعمة أحمد فؤاد عن العناصر الإنسانية في الأدب المعاصر، فأكثرت من المترادفات في التعبير، ورددت ألفاظًا بعينها مرات كثيرة، حتى إنها رددت كلمة الإنسان زهاء ثلاثين مرة.

وفي روضة الشعر كانت قصيدة «يا ربيع الحياة» للأستاذ مصطفى عبد الرحمن جيدة السبك، ولكنه ارتكب في قوافيها هفوة عروضية — سناد الردف — فجمع بين بشرًا ونكرًا ونورًا.

أقاصيص الأسبوع: كانت قصة الأستاذ جعفر الخليلي وصفًا للجن الذين يفتقدوننا من آن إلى آخر، والقصة تمتاز بمفاجأة القارئ بأن بطل الأقصوصة سعيدًا قد مثل دور الجن دورًا مكنه من الاستقلال ببيت، فأراح أهله واستراح هو.

أما أقصوصة «عصا الساحر» للأستاذ درويش الجندي، فهي تحليلية تجيد فيها الأم تعليم بنتها سحر الرجال، وأقصوصة «بعث حب» للأستاذ حافظ محمود تتألف من رسالة وجوابها، ولكن سامعها يحسبها خطبة لا قصة حين يبدأها صاحبها بسيداتي وسادتي. الإنشاء أنيق، ولكن الإنشاء الأنيق وحده لا يؤلف قصة ممتعة.

مآخذ: قال أحدهم: العوامل ثلاث، وهي ثلاثة، وقال آخر: طيلة وهي طول، وذكَّر أحدهم القِدر وهي مؤنثة.

النقد السادس والأربعون

١٩٥٣/٧/٢٩

ثلاثة رواد: ليس لكبار أدبائنا وعلمائنا وشعرائنا من «ذكر الفتى عمره الثاني»، كما قال المتنبي، إلا هذه الأحاديث التي تذيعها محطة الشرق الأدنى بمناسبة ذكرى وفاتهم، فقلما يصدر عدد من مجلة هذه المحطة إلا وفي المنهاج حديث عن أحد رجالات الفكر.

كان الحديث عن حافظ إبراهيم للدكتور شوقي ضيف، فإذا هو للدكتور سامي الدهان، الذي وفى حافظًا حقه، وبحق أيضًا أسف لجهله الأدب الأجنبي الذي لو عرفه لكان لشعره شأن غير الذي نعرفه. أما تبريز حافظ في الرثاء فأحسبه مستوحى مما رافق هذا الشاعر من تعاسة وحرمان، وما أصدق قول شوقي فيه حين رثاه:

قد كنت أوثر أن تقول رثائي يا منصف الموتى من الأحياء

وتكلم الأستاذ حسيب عبد الساتر عن الدكتور جورجي زيدان ذاكرًا إنتاجه الوافر مستطردًا إلى النعي على المعاصرين قلة الإنتاج في عصر الذرة، فليتني أدري لماذا يكثر أصحابنا الشباب من تناول هذا الموضوع، فأين هم يا ترى من العمل؟!

لم يحرم الأستاذ عبد الساتر جورجي زيدان من نقدات عابرة، وهذا حسن جدًّا لأن النقد واجب، وليس في الدنيا رجل منزه عن النقد، أما تقسيم تاريخ الأدب العربي فهذا تراث زيداني، وهو لم يكن قبل أن وضع زيدان كتابه الذي جاء أشبه بمعجم عام

للكتاب والشعراء وغيرهم، وإذا فات زيدان التعمق في كتابه «تاريخ الآداب العربية» فهو لم يفته ذلك في درس مشاهير القرن التاسع عشر.

وكانت الكلمة للأستاذ فؤاد صروف عن الدكتور يعقوب صروف، فلم يَعْدُ الحق حين قال: إن يعقوب صروف من نهضتنا كحنين بن إسحاق من النهضة العباسية.

وتحدث الدكتور نقولا زيادة عن أزمة الحضارة الحديثة في ركن حصاد الفكر العالمي، فكان حصادًا ماهرًا إذ جمع مواد بحثه الرصين من مصادر كثيرة.

وفي بريدنا الأدبي درس الأستاذ واصف الصليبي، الشاعر المعروف بالشاب الظريف، فاعتمد في بحثه على عبارات غير مفصلة على القد، كقوله فيه: عندليب يصدح وحمام يهدل، وقد أكثر من قوله: أرأيت أبدع! أرأيت أروع! إنها عبارات تفيد كثيرًا ولا تفيد شيئًا … فليت الذين يتعرضون لمثل هذه الدراسات يغوصون في أعماقها فلا درر في الشط، ليس على وجه المياه إلا الزبد الذي يذهب جفاء …

وكان الأستاذ إميل خوري شخصية أسبوع طريفة مفيدة، فعرفنا بواجبات الدبلوماسي من سفير أو وزير أو قائم بأعمال، ولم يكتمنا أن أصعب عمل دبلوماسي هو ذلك العمل الذي يقوم به ممثل دولة صغرى، كان الأستاذ أبو سعد في استجواباته محرجًا، ولكن من يحرج سياسيًّا كبيرًا ودبلوماسيًّا عظيمًا كالأستاذ إميل خوري الذي عرفته يوم كنا شابين، فكانت هذه الخصلة أبرز خصاله الكريمة.

أما ندوة الشرق الأدنى، فأبرزها تلك التي عقدها الأستاذ بيبي في البصرة، مسقط رأس الجاحظ العظيم، وإن ذكر حسن البصري ولم يذكر شيخنا أبا عثمان، كانت تلك الجلسة شعرية، وكان شعرها مقبولًا، وإن لم يعجبني قول الأستاذ عبد اللطيف الدالبشي:

فمالي حين ألثم أقحوانًا على الشفتين يعلوني اضطراب

أظن أن منبت هذا الأقحوان الذي يعنيه الشاعر هو تحت الشفتين لا فوقهما، أما قصيدة «القيثار الصامت» للسيدة فطينة النائب فكانت حسنة، وزادتها حسنًا تلك الغنة التي في صوت منشدتها فأغنت عن صمت قيثارتها …

وكذلك كانت روضة الشاعر عاطف كرم ذات جمال وأريج، ولكني أطلب من شعرائنا المحدثين أن يخرجوا من حلقة موضوعاتهم هذه.

أما حديث الشهر للأستاذ أسمر فلم يكن كعنوانه، ولعل المعركة الانتخابية ألهته بعض الشيء أو قُل أوحت إليه أن يحدثنا عن القيم، بعد ما رأى وما سمع من خداع الناخبين.

قصة الأسبوع: كانت قصة الأستاذة سميرة عزام مترجمة، وكذلك قصة الأستاذ توفيق عواد، كما كانت قصة الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل أشبه بأحاديث ابن دريد مع بعض تصرف بها لا يدنيها كثيرًا من القصة الحديثة.

مآخذ: قال أحد المحدثين: مِيعة وهي مَيعة بفتح الميم، وقال آخر: طبقات ثلاثة وهي طبقات ثلاث، وقال غيره: في القرن التاسع عشر، والأحسن بناء العدد المركب، وقيل: ذُهن وهي ذِهن بكسر الذال، كما قيل: وقت الغذاء، وهي وقت الغداء.

النقد السابع والأربعون

١٩٥٣/٨/١٠

النشاط الأدبي: كانوا يتناولون في هذا الركن عدة كتب صدرت حديثًا، ولكن الأستاذ عبد الحليم عباس وقف عند كتاب عنوانه «أم الرسول» للدكتورة بنت الشاطئ، قال: إنه تناوله مشفقًا على الدكتورة من هذا البحث … وبعد أن رآها تتكلم عن المرأة في الجاهلية وأمهات الأنبياء، وتاريخ البيت العتيق وعن وعن، ظن أنها تحب أن تملأ فراغًا لا تستطيع أن تملأه بالحديث عن آمنة أم الرسول. نعم، هذا هو ظني بالأستاذ الذي ناقش «تاريخيًّا» كتابًا قالت صاحبته: إنه قصة، وقد اشتد الخلاف بينه وبينها على الأولية بين بيتي هاشم وأمية، فخيل إليَّ أننا ما زلنا كما قال ابن المعتز: نفاضل في تقديم عثمان أو علي.

أما كان الأحرى به أن يعرفنا بعناصر قصتها الرائعة بدلًا من هذا اللف والدوران وإملاء الفراغ بحديث مزعج لفريق من المستمعين؟ فالإذاعة ملك الجميع، أما الجملة فنصيحتي للسيد عبد الحليم أن يقصرها، فلا يكون — مثلًا — بين الفعل والمفعول مسافة لا بد لقطعها من «تاكسي»، كقوله مثلًا: وفي حرب الفجار انتزع العنابس — ومعناها الأسود — وهم أولاد أمية الستة، بعد أن شدوا أفخاذهم بالوثائق كما تشد الجمال، النصر لقريش وحلفائهم.

إنها عبارة تحتاج إلى منجم واسع الصدر طويل البال، وقال الأستاذ: تحت لواء ابنه أبو سفيان، وأظنه لا يخفى عليه أنها أبي. وقال أخيرًا: حتى لا نكاد نلتفت إلى الماضي الجميل، والنفي هنا لخبر كاد لا لكاد، ولهذا يقتضي القول: نكاد لا نلتفت.

هذا بعض من كل يا أستاذ عباس، المحطة لا ترخص لنا الصيد بالشبكة الضيقة، ولا بالسلاح ذي العيار الثقيل، فإذا أردت أكثر فأتحفني بأحد تآليفك لتحظى مني بنقد من العيار الثقيل.

وسألت المحطة الأستاذ ميخائيل نعيمة ممَّ يشكو الأدب المعاصر، فاستهل حديثه بقوله: إنه بألف خير والحمد لله، ثم بحث هذا الموضوع، وهو موضوع الساعة، بحث خبير رافق هذا الأدب نصف قرن، وكانت له مشاركة عظمى في إنهاضه والسمو به، لقد شبه الأستاذ نعيمة فترتنا هذه باستراحة أرض تزرع عامًا بعد عام، حتى سماها أخيرًا فترة استراحة بعد إجهاد، قد يصدق هذا على الأدباء الكبار، ولكن الشباب لم يتعبوا بعد حتى يستريحوا، لقد دل ميخائيل في هذا الحديث على خبرة زراعية فشبه بالتربة والغلال، فقرب كلامه من عقول قلما استطاعت مرافقته إلى مداه الأبعد.

وفي ندوة الشرق الأدنى العراقية قدم الأستاذ بيبي طبيبين وطبيبة بصيغة جمع المذكر السالم واعتذر، فذكرني اعتذاره هذا بكاتب فرنسي تكلم عن حفلة نسائية بضمير جمع الذكور، ولما انتقدوه أجاب: كان مع إحداهن طفل ولعله ذكر …

وفي ندوة عراقية ثانية أدارت نفسها بنفسها — على خلاف العادة — كان الحديث عن العاطلين عن العمل، فلاح لي أن أقطارنا كما قال حافظ إبراهيم:

جميع الناس في البلوى سواء بأدنى الثغر أو أعلى الصعيد

فالمحامون الناشئون يقطع عليهم الطريق الموظفون النافذون، والمدارس الثانوية لا تعد الطالب للكفاح في ميادين الحياة، فليتها توجه أبناءنا توجيهًا عمليًّا كما قال الأستاذ أديب العامري في حديثه: «اتجاهات التربية الحديثة»، وعَزَت الدكتورة زهية حميد باشا مشكلةَ المرأة الجامعية في سوريا إلى عوامل التربية البيتية، وإليها عزا الأستاذ جمال الدين الرمادي الانصراف عن القراءة.

أجل، إن عللًا كثيرة سببها البيت أولًا والمدرسة ثانيًا، ومتى اصطلحا حسنت حالنا، وفي هذا الموضوع التربوي تكلم أيضًا الدكتور فاخر عاقل، وعالج مشكلة تقصير الطلاب في كل باب التي يدهش لها الأهلون في كل قطر، فالأشبه أن هذا المرض عام في جميع أقطار المسكونة. وأخيرًا عد الدكتور عاقل كل بلد لا يُعنى بالنظم التربوية بلدًا غير تقدمي، فما أحرى المربين — والدكتور فاخر منهم — أن يتنادوا إلى إحداث انقلاب تربوي خطير؛ فقد عتقت مناهجنا، وبان هزالها.

وتكلم الشيخ القلقيلي عن الأمانة واستشهد بالآية، ولو رأى بشار العقيلي حملة الأمانة الكثر، في هذه الأيام، لما استطاع أن يقول في ذلك الذي هجاه:

كيف لا تحمل الأمانة أرض حملت فوقها أبا سفيان

أجاد الشيخ البليغ إذ عد الإخلال بالوقت، واستغلال النفوذ من سوء الائتمان، فليت السامعين يتعظون، فيقل بيننا سوء الائتمان.

وسمعت عنوان: «الحياة تبدأ بعد الثمانين»، فاستبشرت حتى خلت أني صبي مراهق. الحديث للأستاذ روكس بن زايد العزيزي، وقد خطأ المتنبي بقوله: ضيف ألم برأسي غير محتشم، ولكنه نسي أو تناسى قوله الآخر: والشيب من قبل الأوان تلثم.

وفي ركن شخصية الأسبوع رسم لنا الأستاذ بيبي صورة ناتئة الخطوط للحاج عبد الله الدرويش كما عرفنا بقطر مسقط رأس الذهب الأسود، والحاج عبد الله الدرويش التاجر العصامي الذي تفوق ولم يعلُ رأسَه سقفُ مدرسة.

وتحدثت الكتابة السيدة وداد سكاكيني عن مستقبل المرأة العربية بعد نيلها حقها السياسي، وما تتمتع به من سفور من أهم حوادث تاريخ المرأة. نعم، لقد تساوت المرأة والرجل عندنا، ولكن ويا للأسف لم يتعاون رجل مع أنثى في الانتخابات، فعسى أن يكون لشأنها في الغد القريب غير ما كان عندنا.

إن قصة الأستاذ يوسف يعقوب حداد مطبوعة على غرار أقصوصة «الصبي الأعرج»، وقد أحسن الكاتب تصوير بطله، وأما خير أقاصيص هذين الأسبوعين فهي التي للدكتور علي سليمان، وعنوانها: «غرام الشيوخ»، ولا أقول «أعجبتني»؛ لئلا يغضب السيد عبد الحليم عباس غضبته السخرية!

إلى الأستاذ العوضي الوكيل

زعمت أني أخطأتك في قولك: «وأنا كمثلكم صغير.» لأنك أدخلت الكاف على مثل، ولو رجعت يا أستاذ إلى ما كتبت لرأيت أني لم أخطئك بل قلت هذا: «ألم يكن الأفضل القول: وأنا نظيركم صغير، فنخلص من إدخال الشيء على مثله؟»

أنا أعرف جيدًا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وأعرف قول التوراة: وكمثل كثرة رأفتك، وأعرف أيضًا شرح النسفي والبيضاوي وتأويلهما لذلك،[١] وأظن أننا في غنى عن التأويل لقولك، كما أَوَّلوا قوله تعالى.

إن الفرق كبير بين اللفظتين في «الرنة»، فأنت حوطت «مثل» بكافين حين قلت: وأنا «كمثلكم» صغير، فجاءت بنت عم تكأكأتم كلالة إن لم يكن لحا. الشعر موسيقى أولًا يا حضرة الأستاذ الفاضل، فحكِّم أذنك في شعرك، ثم قابل بين قولك وقول القرآن الكريم لترى نعومة «كمثله»، وخشونة كمثلكم … فليكن الذوق الفني قائدنا في الشعر والإنشاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل …

[١] راجع شرحهما للآية ١١ من سورة الشورى.

النقد الثامن والأربعون

١٩٥٣/٨/٢٥

برامج العيد: أعدت المحطة عدة برامجها لاستقبال عيد الأضحى السعيد، أعاده الله على الأمة والملة باليمن والإقبال والفلاح.

فالكاتبة السيدة أمينة السعيد كانت ترى العيد، ومن الجهة النفسية، كما رآه المتنبي يوم زار مصر تلك الزيارة المليئة بالخيبة، ولكنها روضت نفسها لتجعل يوم العيد يومًا نافعًا لا يوم مأكل وملبس.

وتحدَّث الأستاذ أحمد مكي عن ذكريات العيد في الغربة، فما ابتعد عن أبي الطيب، فكان رأيه فيه كرأيه، والفرق بين الشاعر والكاتب أن هذا كان في وسط تزيُّنه حمائم بيض، وذاك كان عند غراب يغرق في ليل حالك من النحوس.

وعقدت بمناسبة هذه الذكرى المباركة جلسة شعر عامية كان موضوعها الحج، فتساجل فيها الأساتذة صعب، والعريضي، والحداد، وآنسة أبدعت في القول لولا دنو زجلها من الفصحى. قال الجاحظ: النكتة البلدية تروى بلغة قائليها كما لا يحسن أن تروى نادرة الأعراب إلا فصيحة، وقد شعرت أن حبل وزن الزجل كان يضطرب في قافية المعنى عند الآنسة، كقولها مثلًا: وخلِّي السعادة بيننا تنمو وتزيد، وكذلك رأيت في «تطويبات» العريضي كقوله: طوبى للذي هلل وكبر، فهذه الطوبى محتاجة إلى الواو ليستقيم الوزن، فليته استعارها من الآنسة؛ فهي زائدة عندها.

وقال صاحبنا الشاعر أديب الحداد: وتلبس حلي من البرفير، مع أن لبس الحج أبيض، فلا برفير ولا أرجوان.

ومن روضة الشعر كان للعيد نصيب، فقال الأستاذ مصطفى محمود قصائد أو مقاطع كان بين بعضها والزجل بعض النسب، فالعرزال والوزال هذه من بضاعة شعراء العوام، وفي المقطوعة الأخيرة ذكرنا المنديل الأبيض الذي تغزل به الأستاذ محمود، بشال صاحبة الشاعر سعيد عقل … وأما شعر ندوة الشرق الأدنى التي عقدها الأستاذ بيبي في البصرة، فكان شعر شباب، والشباب يغني على ليلاه.

ومن البحرين ارتفع صوت كاتب أديب هو الأستاذ حسن جواد الجشي، فتحدث عن طرق الإصلاح، وطلب أدبًا نظيفًا بدلًا من الأدب الرخيص، وشكا من الأغاني المائعة، والأفلام التي تغري وتثير.

وتحدثت السيدة ناجية تاجر عن أوقات الفراغ، فرأت أن الراحة في تنويع العمل، وهذا صحيح، ولكن لكل واحد من المتعبين ضربًا من الراحة يلائمه، فالكاتب والمعلم والموظف، وكل من يعمل قاعدًا يوافقه عمل بدني في وقت الفراغ، والعكس بالعكس، وقد توجهت إلى السيدات تسألهن الاهتمام بشئون البيت بأنفسهن في وقت الفراغ؛ لأن الخادم لا تتقن العمل كالسيدة التي تعمل لنفسها، أما أنا فما رأيت بيتًا نظيفًا مرتبًا إلا وعلمت فيما بعد أن سيدته هي التي تراقب وتشرف على كل عامل وعاملة فيه.

وحدثنا الأستاذ عبد الوهاب حمودي عن الفكاهة في الشعر فأطال الكلام عن الضحك، ولكنه لم يضحكنا إلا قليًا، كنا ننتظر أن نتفكه فإذا بنا لا نسمع إلا نكتًا عتيقة كنكتة الجاحظ التي حورها الأستاذ، مع أن نكتة بشار التي رواها على حقها هي أمر منها.

ولست أدري لماذا عدت الأستاذة روز غريب الأدباء والشعراء خصوم المرأة، مع أنهم يتهافتون عليها تهافتًا غريبًا، حتى عجت كتبهم ودواوين شعرهم بادعاء محبتها، الآنسة غريب كاتبة أديبة، وحسبها كتابها النفيس: «الجمال الفني»، لم أرَ أولًا وثانيًا في حديثها ما يلائم ذلك الجمال الذي تحدثت عنه بذوق كلي. أظن أن هذا قد علق بقلمها من الأستاذية … وإذا وافقتها على احتجاجها على المعاهد التي تدفع أجرة المعلمة ثلاثين ليرة، فلست أوافقها على قولها إن «المرأة التي تأتمر بأمر زوجها في الانتخاب تمارس عبودية.» فطاعة المرأة ليست عبودية بل محبة.

ولقد أحسنت المحطة حين كلفت الأديبة نعمت أحمد فؤاد أن تتكلم بمناسبة ذكرى وفاة المازني، فتحدثت مجتهدة مخلصة عن هذا الكاتب العظيم، وتعمقت كثيرًا في بحثها حتى استحقت ثناء من أصغوا إلى حديثها، وقد رافقت الأستاذ فؤاد صروف في «رحلته في الفضاء»، فعدت منها عارفًا بأسرار كثيرة قديمة وحديثة.

ذكرني حديثه السهل الممتنع بأسلوب فلامريون الذي قرب علم الفلك من الأفهام، ولعل فؤاد في هذا الحديث وفي غيره هو أخبر كتابنا وعلمائنا بأدب الراديو.

أما شخصية الأسبوع، فقدمها اثنان على خلاف العادة، الأستاذ بيبي أولًا، ثم الأستاذ أبو سعد، ولا أقول شيئًا في الأستاذ إلياس شبل الخوري رئيس الجامعة الوطنية؛ لأنني رافقته ثلاثين عامًا غير منقطعة، إني أؤجل ما أقول إلى حين يظهر الجزء الأول من مذكراتي.

قصة الأسبوع، وعنوانها: «بدوية» للدكتورة بنت الشاطئ، تزعم الدكتورة أن الواقع فوق الفن، أما أنا فأرى أن الفن هو الذي يجمل الواقع، والكاتب الذي ينقل الواقع نقلًا كان كمن ينسخ صورة خالدة، فلولا العنصر الشعري، وتصوير شخص قصة بدوية لقلت إنها مبتذلة، وهي تحذو فيها حذو تيمور طه في ذهابها إلى الريف مفتشة عن قصة قد تجد أفضل منها في شوارع المدن. إن ختام القصة جميل، فهو أشبه بقطة القلم يوم كنا نبريه قصبا، أما «قصة ليتنا نستطيع» للأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، فعبارتها طلية وجيدة، ولكنه مع ذلك «لم يستطع» أن يخلق قصة.

النقد التاسع والأربعون

١٩٥٣/٩/٩

روضة الشعر: ابتعدت مع الأستاذ عبد المحسن الرشيد عن المواضيع المعهودة كالغزل، وما أشبهه من ضروب الوحي والإلهام، كان الشاعر متوددًا إلى الفلسفة، وإن لم يجئ بشيء جديد، فقد تلاقى مع أحمد شوقي في قصيدة «بُنَي»، ولكن هذا اللقاء معكوس، فشوقي قال في أبيه: أنا من مات ومن مات أنا ... وقال السيد الرشيد: بُني ما أنت إلا أنا. كلاهما صادق فيما قاله، وقد أدركوا ذلك قبلنا، فقالوا: الابن سر أبيه.

شخصية الأسبوع: الأستاذ نجيب صدقة مدير التربية الوطنية أكثر من شخصية أسبوع، فهو شخصية عام حقًّا، أما أحسن إلى الثقافة في الامتحانات الرسمية اللبنانية الأخيرة التي ستؤدي حتمًا إلى نتائج طيبة؟

لقد قرأت تقريره الأخير حول هذا الموضوع الهام والشائك في وقت واحد، وها أنا أسمع اليوم ما تحدث به إلى الأستاذ أحمد أبو سعد الذي عالج معه موضوع الساعة الذي يهمنا ويشغل بال ناشئينا.

دار الحديث حول المعلم، ورفع مستواه، فنرجو أن يحقق الأستاذ صدقة شيئًا للمعلم الذي يحق له أن يخاطب الدولة بقول بشار ليعقوب وزير المهدي:

فسقيتهم وحسبتني كمونة   نبتت لزارعها بغير شراب

إن المعلم إذا لم يكن مخلصًا يصبح أداة هدامة، وقد عرف من سبقونا ذلك فقال الشاعر:

إن المعلم والطبيب كليهما لا يخلصان النصح ما لم يكرما

فغمزة عين، وابتسامة خفية من معلم قد تهدم ما نحاول بناءه، فهو الذي يكون المواطن الصالح، وهو الذي يحوِّل أبناءنا في المجرى الذي يشاء.

لقد ألقى الأستاذ صدقة مسئولية الرسوب في الامتحانات الأخيرة على المعلم والمدرسة، ونسي التلميذ، التلميذ الذي يُعنى بالسياسة ومجرياتها أكثر من عنايته بدروسه، وسلاحه الرهيب الإضراب الذي سرت روحه في جسمنا الاجتماعي حتى كاد يهلكنا.

وبعد، فإننا نرجو كل الخير على يد الأستاذ صدقة؛ لأنه أديب وعالم وخبير، وما بقي إلا أن يكون مطلق اليد.

مم يشكو الأدب الحديث: وبعد الأستاذ نعيمة يجيء الدكتور شوقي ضيف ليحدثنا في هذا الموضوع، والذي عندي هو أن الأدب الحديث لا يسلم من الشكوى، ويصير بخير وعافية ما لم يكتب لنا الروائع العالمية هؤلاء الذين يصفون الداء، وهم لا يدرون أنهم هم الدواء، فالعمل أولى من وصف الضعف الذي يرونه في الأدب.

وأقرأ وأسمع أحيانًا أن الأدب في محنة، أما محنة الأدب الكبرى فهي في هذه المباحث، وهذه الآراء التي لا تغني فتيلًا. التعليم اليوم بالمثل، فليضع هؤلاء لنا النماذج، ولينقلوا الخطو على ما يرسمون، يريد الدكتور شوقي ضيف أن تكون لأدبنا خطة واحدة وهدف واحد، وهذه بلية مُني بها الأدب العربي أحقابًا، وبين جدرانها السوداء دفنت شخصيات عديدة، وصارت أغراض أدبنا محدودة، ولولا تمرد بعضهم لما استطبنا شيئًا من أدبنا المكرور المملول.

وتحدث الأستاذ راجي الراعي عن الإرادة، فكان في حديثه هذا عالمًا نفسيًّا بعد ما عهدناه شاعرًا وكاتبًا متخيلًا، ولا عجب إن جال في موضوعه هذا جولة موفقة، فهو قاضٍ كبير تمر أمامه نماذج شتى كالتي عرضها بأسلوب أدبي رفيع لا يفارق الراعي حتى في مواقفه كنائب عام، الإرادة في نظر الأستاذ كالذكاء والشجاعة، بل هي المرء كله. وكم كنت أتمنى أن يرشد الناس إلى توجيه الإرادة لتصير قوة خير، فتقل متاعب الأستاذ النائب العام، وتخفف ويلات البشر التي تسببها الإرادة غير الحسنة.

ودار الحديث بين الأستاذ سليم اللوزي، والدكتور هاشم الحسيني النائب الجديد، ومما قاله اللوزي والحسيني أن الأطباء كانوا غائبين عن المجلس النيابي، مع أن مجلسنا الموقر كان يضم دائمًا نفرًا من كبار أطبائنا، وانجر الحديث إلى الضحك، فقال الدكتور الحسيني: إن الكثير من الضحك مضر، أما المفيد فهو الابتسام، وفعلًا عمل الدكتور الحسيني برأيه الطبي حين أسمعه اللوزي نكتة عن ذاك الطبيب الذي قيل له: ما رأيناك تمشي خلف جنازة يا دكتور، فأجاب: أنا لا أفتخر بأعمالي.

النكتة مضحكة، قهقه لها اللوزي وحده، أما الدكتور فما سمعنا صوته، ولا أدري إذا كان ابتسم، كما يشير طبيًّا.

وعندما بدأ الأستاذ سلامة موسى حديثه «بيني وبينك» بقوله: مارست الزواج ثلاثين سنة، خلت أنه يتحدث عن مهنة ما، ولما أسبغ حلل نصائحه وإرشاداته للمرأة، خطيبة وزوجة، عرفت أنه خبير عليم. ومن تلك النصائح حثه لها على عدم السمنة، ولو سمع كلامه ابن أبي ربيعة لاعتبره متحديًا له، وقد حمل الأستاذ على الثوم حملة شعواء، وطلب أن تحظر الحكومات زراعته وبيعه، فهل يريد الأستاذ أن يكون «حاكمًا بأمره»؟ أما ما علاقة الطلاق بالثوم فلست أدريها؛ لأنني مارست الزواج بضع سنوات لا أكثر، أما منذ ربع قرن فنازلًا، فأنا من الهواة ليس غير.

مآخذ: قالوا الثامن عشْر، وتحريك الشين أفضل من تسكينها.

وقيل: ليسوا هم المسئولون وهي المسئولين (خبر ليس).

ولا يقال: وما كان منها حتى نهضت، بل إلا أنها نهضت.

وقيل: حيث أن، وهمزة إن تكسر بعد حيث.

وقيل: بين ظهرانيِّهم، وهي ظهرانَيْهِم.

وقيل: إنهم اضطَروا، وهي اضطُروا، بالمجهول.

النقد الخمسون

٢٢ / ٩ / ١٩٥٣

جلسات الندوة: كان للجلسة البيروتية التي عقدتها الآنسة زاهية دوغان أثر عميق في نفسي، ذكرتني بعهد عشته، ولا يمحوه من مخيلتي كر السنين، قال المتحدثون عن نشأة الكتاتيب: إن الرسول محمدًا والسيد المسيح كانا معلمين، ونسيا أن يقولا: إنهما تلميذَا المعلم الأعظم الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لا يعلم. الجلسة على عتق موضوعها طريفة، وأطرف ما فيها أن الأستاذ بيبي علَّم العميان حصة من الزمن ... ذكر أعضاء الندوة الفلق، وقضيب المعلم مندِّدين، ورأوا في المدرسة الحديثة جنة لذة للطالبين، أما أنا فأرى أن العلم ضعف جدًّا حين أصبح اختياريًّا، وأرى القسوة ضرورية جدًّا لفريق من الطلاب، فعندما ألغيت العقوبة الجسدية حتى فركة الأذن، ركب التلاميذ رءوسهم، وأصبحت المدارس مأوى.

عزا أعضاء الندوة كره الطلاب للمدرسة القديمة، وتغيبهم عنها إلى قسوة معلمهم، وفاتهم أن طلاب اليوم يغيبون ساعة يريدون ولا يعاقبون؛ لأن أولياء أمرهم لا يبخلون عليهم بالمعذرة الكاذبة.

أجل، كانت المدرسة قاسية جدًّا، ولكنها علَّمت، وأما مدرسة اليوم فلا تعلِّم إلا من يريد أن يتعلم.

وفي مصر كانت الجلسة التي ترأسها الدكتور محمد صلاح الدين أدبية، موضوعها الغزل في العصر الأموي، فدلَّ أعضاؤها السامعين على جمال ذلك الشعر العفوي الذي ينظر إليه الجيل الطالع بعين تغمز، وشفاه تقلب وتمط. حاول الدكتور الذي كانوا

يخاطبونه بالرئيس أن يرد على منكري وجود مجنون ليلى، فانقاد له ولرفاقه البرهان، وأحلوا مجنون العامرية المقام الذي يستحقه شعره الخالد.

شخصية الأسبوع: قدم لنا الأستاذ بيبي شخصية طريفة، ولعله انتقاها كما كان ينتقي الجاحظ شخصياته، لعل بيبي أراد أن يعمل بقول مار بولس عن سيده يسوع المسيح: إنه اختار ضعفاء العالم تلاميذ له ليخزي الأقوياء، بل ربما كان قصد بيبي في مرة مضت، وهذه المرة أيضًا أن يقول لنا: في الدنيا شخصيات من لحم ودم لا من حبر وورق، فلنعرضهم على الجمهور. هذا جميل، ولكنني أحسست حين أصغيت إلى السيد منصور بن خليل الذي انتقاه أنه كان معه في عناء شديد، يريه السها فيريه القمر.

ذكرى الريحاني: كان الأستاذ عزت بشور موفقًا في هذا الحديث الذي يستحقه الريحاني المجاهد، ولا أزيد على ما قلت؛ لأن عزت ذكرني في حديثه، ونوه بي، فللمستمع رأيه.

نحو عالم أفضل: الأستاذ سلامة موسى نسيج وَحْدِه في الآراء والأسلوب وحرية الفكر، وقد أحسن إلى الجمهور حين عرفهم بمكيافللي السياسي الشهير، كما أحسن بإفهامه الناس أن السياسة ليست دهاء ومكرًا، بل هي علم وخدمة.

وأخيرًا استطرد الأستاذ إلى القنبلة الذرية التي يخالف الناس حتى في اسمها، فترجى منها خيرًا يؤدي إلى تأليف حكومة عالمية موحدة، حقق الله آمال الأستاذ.

وتحدثت الأستاذة زاهية أيوب عن الوصولية الهدامة بأسلوب بياني جميل؛ فكانت حملتها على الوصوليين هدَّامة كعنوان مقالها، ولكن هؤلاء كما يقول المثل: يا بحر ما يهزك ريح.

روضة الشعر: أسمعنا الشاعر الطائر الصيت محمد الصافي النجفي قصائد غراء، ولسنا نقول في وصف الشاعر وشعره، إلا ما قاله هو في القصيدة الأولى:

أعيش وليس لي بيت، وشعري ... يعيش وبيته سامي العماد

وليس هذا بكثير على شاعرنا المحبوب.

أما قصيدة السيدة فطينة النائب، فقوامها عاطفة مشبوبة تلهيك عن تعقب هناتها، وحسبك منها هذا البيت لتوافقني إن شئت، قالت الشاعرة:

أيا روحي، أما يكفيك　　لا تُستعبدي، ثوري

الأقاصيص: كانت قصة الأستاذ محمد شكري عبد الكامل قديمة العهد، فعشنا ربع ساعة في زمن الرشيد الذي اشتهر بالحب والترف، أعمت بهيرة نفسها لتنقذ حبيبها من الموت، والمحبة — كما قيل — أقوى من الموت.

وأما قصة الحاج لطفي، ففيها مبالغة كالقصة السابقة، أراد الأستاذ قاسم الخطاط أن يسمي الإحسان ضمانًا اجتماعيًّا، والضمان الاجتماعي حق لا صدقة.

مآخذ: ما أكثر من يحسنون التعبير، ويسيئون القراءة، سمعت حديثًا لا يفارق كاتبه عمود النثر، ولكنه لا يحسن قراءة ما كتب.

قيل: يواجه مشكلات كثيرةٌ، وهي كثيرةً بالنصب.

وقيل: أنْ يثير فينا — نحن المسلمون — عواطف، وهي المسلمين بالنصب على الاختصاص.

وقيل: خمسة عشر سنة، وهي خمس عشرة سنة.

وقيل: مسجى للمريض، والتسجية لميت.

وقيل: أكثر منه جسدي، وهي جسديًّا.

وقيل: استرجلت للمرأة — وهي ترجلت

النقد الحادي والخمسون

٧/ ١٠/ ١٩٥٣

عيد رئاسة لبنان: كانت كلمة فخامة الأستاذ كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية بمناسبة ذكرى انتخابه بليغة حقًّا، فألمَّ بالموضوع، ولم يطل سفر الكلام كما قال ابن المعتز في البلاغة. وكأني بمحطة الشرق الأدنى قد أرادت ألا تفوتها هذه الفرصة فاحتفت بها منفردة، رغم أن حضرة الأستاذ الرئيس امتنع عن تقبل التهنئات. وبهذه المناسبة زار ميكروفون المحطة قصر بيت الدين التاريخي، فسمعنا الأمير موريس مدير الآثار اللبنانية يعرِّف مندوبي المحطة ببيت لبنان.

إن الأمير موريس لا يظهر على الشاشة إلَّا مكرهًا، ولا ينطق إلا حين يحمل على الكلام حملًا، تواضعًا منه، وزهدًا بالشهرة، ولكن ما حيلته وهو دون سواه «تاريخنا يمشي على الأرض»، فالذين يعرفون من تاريخ إمارة لبنان ما يعرفه الأمير موريس قلما تجدهم اليوم، وإن وجدنا منهم واحدًا ففيه يصح قول أبي نواس في النظَّام: عرفت شيئًا، وغابت عنك أشياء …

خليل السكاكيني: أديب من أدبائنا الكبار المخضرمين، وإن قلَّت كتبه، وفاه حقه بمناسبة وفاته، الدكتور الأديب إسحاق موسى الحسيني، فعرَّف المستمع بجميع نواحيه تعريفًا جامعًا مانعًا، ودلَّ على ما في زوايا تلك القلعة الضخمة من خبايا، كان الدكتور موسى يتكلم مندفعًا مخلصًا، يلقي كلامه بحمية لا تنبع إلا من صدر مملوء محبة وتقديرًا واحترامًا. إن خير من يكتب عن الأديب هو ذاك الذي عرفه عن كثب، وهذا ما بدا لي من حديث الدكتور الحسيني حين وقف يحلل ويعرف الناس بأديب كان أزهد

الأدباء بالشهرة والصيت البعيد، واقتناص الثناء. فالسكاكيني — رحمه الله — كان على ما في أطواره من غرابة يحاول دائمًا أن يكون إنسانًا قبل كل شيء.

ويجدر بنا الانتقال إلى الصحافي التائه الأستاذ الرياشي أطال الله بقاه، فبينه وبين السكاكيني أقرب النسب، من حيث الظرف، وخفة الروح والطرافة وحرية الفكر، كان الأستاذ الرياشي أعنف شخصية أسبوع عرفناها، تكلم بحرية واسعة عميقة الجذور، وخالف آراء زملائه الصحفيين مخالفة صارخة، قال: إنه لم يحترف الصحافة لأنها رسالة، بل لأنها مهنة كالمهن الأخرى، وسئل عن فلسفته في الحياة فأجاب: إنها فلسفة راحة وشبع … فالحياة في نظر الأستاذ لذة وراحة كما قال عمر الخيام.

وأجاب عن رأيه بصحفنا بقوله: إنها نسخة واحدة، فمن يقرأ إحداها فكأنه طالعها كلها، ثم رماها بالانتهاز وتبديل الآراء كما تبدل الثياب. وأخيرًا طلب منه مقدمه نصيحة يسديها إلى الشباب الذي يصبو إلى الصحافة، فقال: عليه أن يتقن الاحتيال والنصب (كذا)، ذكرني هذا بالحطيئة حين سألوه: ماذا توصي للأيتام؟ فأجاب: كلوا أموالهم، ولعل الرياشي حطيئة من طراز آخر … وأخيرًا شكر محطة الشرق الأدنى؛ لأنها مكنته من التكلم بصراحة. إن جل صراحة الأستاذ مقبولة إلا نصيحته للشباب، فقد كنا نرجو منه نصيحة أمثل، فليست الصحافة كذبًا ونصبًا وإن كان بين محترفيها أناس غير كاملين.

وأما شخصية الأسبوع، فكان الدكتور أحمد زكي مدير جامعة القاهرة، قرظه مقدمه الأستاذ سامي محمد تقريظًا ما سمعت بعد أسهب منه ولا أجمع، فكأن عبارات الثناء قد جمعت على طبق أمام الأستاذ سامي، فاختار منها ما استطاب، وانتقى ما استحلى، كانت الأسئلة شتى كما كانت الأجوبة سديدة، ولعل أبرز آراء حضرة المدير الجليل هو هذا التعبير: «الأدب يرفه والعلم يشبع»، وما أخال حضرته إلا مستلهمًا تعريف القدماء، وقولهم في الأدب: إنه أُلهية، أما نحن فننتظر ممن يوجه النشء أن يرى الأدب مهذبًا للشعوب، ومرقيًا لها لا ألهية يرفه بها عنهم ليس غير.

وتحدث الأستاذ أحمد سويد عن الأدب الخالد وكيف يكون، فوضع له مخططًا كبيرًا، كان أسلوبه وتعبيره من الطراز الأمثل وهو لو حاول أن يكتب بهما قطعة أدبية أسمعها الناس لكان معلمًا بالمثل. إن قطعة أدبية بل صفحة تبقى أفضل جدًّا من بحث موضوع كثر اللغط فيه، فالأدب الصافي يمكن أن يكون في كل موضوع، ولا فرق بين الخيال والواقع والانضواء.

وكان حديث السيدة إدفيك جريديني شيبوب من البيان المنمق، فكسا موضوعها المبتذل — حقوق المرأة — جمالًا وبهاء، وكحديث السيدة شيبوب، كانت مقدمة الأستاذة

الآنسة إنعام الصغير، طيبة منمقة، تحدثت عن المرأة العربية في الأندية الأدبية، وأقامت شعر المرأة الجاهلية دليلًا على علمها وثقافتها، أما أنا فأظن أن شعرهن ذاك لا يعلو مقامًا ثقافيًّا على الزجل، فقد كن يقلنه عفو الطبع كما يقال الزجل اليوم، فهو لا يحتاج إلى علم، ولا هو دليل على الثقافة في جاهليات الشعوب جميعًا.

وحاول الأستاذ أحمد فؤاد شنيب في «روضة الشعر» أن يسمعنا شعرًا قصصيًّا، وأدب واقع ونضال كما يريد بعضنا أن يكون الأدب اليوم، فأسمعنا شعرًا رصينًا، بيد أن هذا الشعر لو وضع في ميزان الشعر الحديث لما زاد على أنه نثر موزون مقفى، فلا صورة فيه ولا وثبة.

أما قصيدة «أشواق» للآنسة الشاعرة مقبولة الحلي فلم أستطع إدراك أو استجلاء سر «الكسر» في قوافيها، وكذبت أذني فسمعتها ثاني مرة، ولسوء الحظ لم أبلغ ما أروم من التثبت.

وكانت قصة الأسبوع للأستاذ عدلي سامي نور، وعنوانها: «قليل البخت» جيدة القص لا تخلو من عبارات طريفة، وهذه العبارات من الأقصوصة كباقة الزهر من المأدبة، أما ذاك الحوار باللغة العامية فيشين القصص ولا يزينه، إننا لا نحتاج في حوارنا إلى لغة العوام ما زال عندنا في العامي الفصيح ما يسد مسدها، فلنعد عن ذلك.

مآخذ: قيل: هذا الأدب الذي ننشد، بضم كلمة الأدب وهي مفعول به لننشد.

وقيل: وفق بكسر الواو، وهي وفق بفتح الواو.

وقيل: كانت هي الوسيلة بضم الوسيلة وهي مفتوحة؛ لأنها خبر كانت.

وقيل: الغِيرة وهي الغَيرة بفتح الغين.

وقيل: نَد وهي نِد، أي المثل والنظير.

النقد الثاني والخمسون

٢٠ / ١٠ / ١٩٥١

الدكتور أحمد زكي كاتب متأنق يخرج أحاديثه إخراجًا بديعًا، وإن فاق الأصبهاني في مطلع حديثه «الجار قبل الدار» في تكرار قالت وقلت. أما كلمة «من الناس» في أخريات حديثه، فذكرتني بمقالات أحمد فارس الشدياق التي جعل عنوانها: «جملة أدبية». إن حديثًا كهذا يلذ للسامع الإصغاء إليه؛ لأن إخراجه — إن صح هذا التعبير — يضفي على هذا الموضوع المبتذل ثوبًا منمنمًا.

ومن طراز حديث الدكتور زكي في الإخراج حديث «مرضى» للسيدة أسمى الطوبي، فقد كان قطعة أدبية جميلة، ومثله في المعنى حديث الصباح للأستاذ سليم الزركلي، وعنوانه: «همسة في أذن الجار»، ولكن جارًا كذاك الجار لا يفهم لغة الهمس. إن من يدع المذياع يحدثنا بملء شدقيه، ويخرج أنكر الأصوات لهو في حاجة إلى النخس.

وفي الأدب الموجة كان عندنا — على ما نذكر — حديث الأستاذ محمد عبد الغني حسن، جال الشاعر جولة سامية آرية، فمر بأساطين شعراء الشرق والغرب مبينًا أن لا بد لكل فن من رمز وغاية، وأن الأدب الرفيع هو الذي يوجه الناس، وهذا حق، فكبار المصلحين هم سادة القلم، والبيان عدتهم، ولهذا جاء: إن من البيان لسحرًا.

لقد كثر التحدث في هذه الأيام عن الأدب الموجِّه — بكسر الجيم — وما أحوجنا إليه شرط أن لا يكون أدبًا موجَّهًا «بفتح الجيم»، كما يبدو لنا مما يكتبه الداعون إليه، أنا أومن بتوجيه الأدب، ولكني أريد أن لا يُسَخَّرَ الأديب فيكون بوقًا لفئة أو جماعة من الناس، وسمعت دراسة أدبية للأستاذة روز غريب، فتمنيت لو تتجه دراساتها نحونا،

فكتاب الغرب وكاتباته قد شبعوا درسًا، في حين أن عندنا كثيرين وكثيرات هم أحوج إلى دراسات روز العميقة.

وفي ندوة الشرق الأدنى عرض الدكتور مصطفى خشاب ورفاقه لتحديد النسل، فبحثاه على ضوء العلم والاقتصاد، ورفع مستوى المعيشة، وقبل أن يعترض عليهم أحد عادوا هم في آخر المناقشة إلى كتاب الله محتكمين إليه، وكفى الله المؤمنين القتال.

وكان للسيدة صفية فراج سلسلة أحاديث عنوانها: «مقومات الجمال»، ولا أحسب أن للجمال مقومات، ما دام الباحثون لم يقرروا بعد إذا كان الجمال في نفس الناظر أم في نفس المنظور.

وفي روضة الشعر أسمعنا السيد الزبير الشريف السنوسي شعرًا من الطراز القديم الرصين: القديم في موضوعه، والقديم في أسلوبه ورصانته، وللقديم مهابته إذا فاتته الأناقة ... أما الشاعر بلند الحيدري، فقد وجدته هذه المرة متفلسفًا أكثر منه شاعرًا، ولكن فلسفته هذه لم يعجز الشعر عن حملها؛ لأن العاطفة الحيدرية قوية.

قصة الأسبوع: قصة «حرمان» للدكتور حسين مؤنس، ففيها الكثير من مقومات الفن القصصي، ولكن الحوار العامي شانها وما زانها كما يرجو مؤلفها، لقد استعمل موبسان الحوار العامي في قصصه الإقليمية؛ فأزعج الذين احتاجوا إلى ترجمتها إلى الفرنسية الصحيحة، وإذا لم يكن الدكتور قد أزعج المستمعين كما أزعج موبسان الباريسيين، فالأمر لا يخلو من إزعاج. إن اللغة الفصحى السهلة هي آلة التفاهم والتعارف بين جميع الأقاليم العربية، فلنعتصم بها.

ذكريات: «والذكريات صدى السنين الحاكي.» هكذا قال شوقي، فجع الأدب العربي بالأديب صلاح ذهني الذي كان يرجو الأدب على يده خيرًا جزيلًا، وفاه حقه الدكتور حسين مؤنس، والأستاذ محمد عبد الغني حسن، وما أعظم وقع صوت من يفارقنا حين نسمعه من هذه المحطة اليقظة التي لا تغفل عن تمجيد الأدباء بطرق شتى، وفي ذكرى مي تحدث الأستاذ طاهر الطناحي حديثًا عميق الغور؛ لأنه عرف نابغتنا عن كثب.

قال الأستاذ الطناحي: إن مي لم تنظم بيتًا واحدًا من الشعر، فإذا اعتبرنا الشعر كلامًا منظومًا مقفى، كما قال القدماء، فلا اعتراض لنا على قوله، أما إذا لم نعتبر تلك القيود، فأكثر نثر مي هو الشعر بعينه.

مآخذ: قيل: يا لِقومي بكسر اللام، وهي لام الاستغاثة المفتوحة.

وقيل: لم يعقِّب بتشديد القاف، وهي لم يعقب.

وقيل: بعُنف، وهي بفتح العين لا بضمها.

وقيل: أن سيدركنَي بنصب الكاف، وهي مرفوعة فأن هنا مخففة من أن وليست حرف نصب.

النقد الثالث والخمسون

٤ / ١١ / ١٩٥٣

تحدث الأستاذ العقاد عن العالم المضطرب، وفي فمه ضحكة أبي تمام من المنجمين في ملحمته «السيف أصدق أنباء من الكتب.» فبشرنا ببقاء عالمنا هذا رغم أنوف المتنبئين الذين يطلعون علينا بافتراضاتهم الجديدة، وهكذا انتهينا من سماع حديثه العميق، وفي قلوبنا اطمئنان وطيد لا تزعزعه عواصف المتخرصين ذوي الأحاديث الملفقة، وصرنا لا نخاف على فناء دنيانا كما ينعق هؤلاء بين آونة وأخرى.

وتحدث الأستاذ عبد الوهاب الأمين عن «الوجودية» التي كثر الكلام عنها في هذه الأيام، فأنار ألباب المستمعين إذ أطلعهم على ما يحسن الاطلاع عليه من مبادئها، إن أكثر هؤلاء يسمعون بالوجودية ولا يعرفون عنها أكثر من اسمها، حتى ظن بعض من حدثني عنها أنه موجود دائمًا وأبدًا، لم يكن هذا الحديث عميقًا كل العمق، ولكنه كان وافيًا بغرض الأدب الإذاعي المطلوب منه التيسير لا التعسير. أما القراءة بالنيابة، فكانت صافية بليغة فزادت في رونق هذا الحديث.

وتحدث الدكتور عزت النص عن شأن المرأة الخطير في المجتمع، ودلَّ على خطورته بأقوال شتى تدل على مساواتها للرجل، قال: إنه لا ينقصها إلا النبوة، مع أن التوراة التي نصدقها مسلمين ونصارى تقول: إن في النساء نبيات أيضًا مثل حنة وغيرها …

وتكلم الأستاذ يعقوب عبد العزيز الرشيد عن النهضة الأدبية في الكويت، فعلمنا من حديثه ما لم نكن نعلم، ذكر لنا أسماء أرباب قلم لا يسمع بهم في الأقطار الأخرى إلا نفر يعدون على الأصابع. جميلة جدًّا هذه الأحاديث التي تكشف الغطاء عن هؤلاء

المفارد الذين زادوا ثروتنا الأدبية بما ألفوا وصنفوا، ولا عيب في حديث الأستاذ الرشيد إلا اللحن الذي كان منتشرًا في حديثه، فليته دقق فيه كثيرًا ليسلم من الهفوات، قال الأستاذ: توفي فلان — نسيت الاسم — وهي تُوُفِّيَ أو تَوَفَّاهُ الله، وسمعت أيضًا يلوموني الصحاب، ولعل قائلها ممن كانوا يعيشون في عصر البراغيث، أما اليوم فقد قضي عليها، ويجب أن يقضى أيضًا على لغتها …

ومع هذا الحديث تندمج جلسة ندوة الشرق الأدنى التي دار الحديث فيها حول النشاط الأدبي في طرابلس الغرب، كان وصف الحالة الأدبية فيها جميلًا، وما أجمل أن تعرف الأقطار العربية بعضها بعضًا أدبيًّا، كم كنا نسر لو سمعنا نماذج من ذلك الأدب الطرابلسي الغربي الذي حدثنا عنه الأساتذة طه البشتي وشركاه. وليت المحطة تسمعنا في قابل ما تعذر سماعه في هذه الجلسة الضيقة النطاق مثل: قصة طرابلسية، وقصيدة رمزية، ومسرحية أيضًا، فقد قالوا: إن للمسرح مكانة عندهم.

وفي روضة الشعر سمعت شعرًا من الطراز الجديد للأستاذ أحمد شحادة، كانت قصيدته «دروب» حارَّة العاطفة، حلوة الجرس، ولكنني لا أوافقه على جمع درب أدرب، فالشاعر لا يحق له أن يتمرد على الألفاظ المسموعة لئلا تصبح لغتنا فوضى حين نجمع كما نشاء، ونؤنث ما نشاء حين نضطر.

وللأستاذ علي السيار شعر عاطفي وجداني ناعم الديباجة، ألفاظه من تلك الكلمات التي يتهافت عليها شباب القريض اليوم، ولعل الأستاذ منهم. الشعر الجديد جميل رائق، ولكن ألفاظه وصوره وأغراضه شاخت قبل الأوان.

وهذه جلسة ثالثة تعالج مشاكلنا الأدبية الحاضرة — اللغة العربية — كان المتباحثون ثلاثة من أقطاب أسرة الجبل الملهم: الدكتور علي سعد، والأستاذ أحمد أبو سعد، والأستاذ محمد العيتاني، ولولب الندوة الأستاذ بيبي الذي له في كل عرس قرص. لا بدع أن غار هؤلاء الأدباء الثلاثة، وفيهم الكاتب والشاعر على أمنا الفصحى فهم من أمناء دعاتها الغُير على سلامتها ونموها، وتطورها تطورًا لا يعرضها للانتكاس.

الأقاصيص: القصصي كالمصور، فبقدر ما تكون الملامح ناتئة، والألوان منسجمة، تكون القصة ناضجة، فإذا لم نُعْنَ في إبراز ملامح شخوص قصتنا فلا تدب الحياة فيها. السرد البسيط لا يخلق الأقصوصة ولا ينعشها ما لم يكن متصلًا بتصوير شخوصها تصويرًا ينطبق على ما نريد أن نجعل في هذا البطل أو ذاك من أخلاق، ولا تنسَ المحيط، فوصفه واجب، ومتى أُجيد وصفه تلبس القصة ثوبًا مفصلًا على قدِّها، فلتنظر السيدة ربيحة إلى هذه الشروط، وتحكم هي بنفسها على قصتها «البائسة» …

وفي ندوة نسائية كان موضوعها: «هل أدت الفتاة الجامعية رسالتها في ميدان اختصاصها؟» تحدثت الأوانس إحسان دمشقية ورفيقاتها عن الأدب والمحاماة والشعر، ونحن لا تنقصنا هذه البضاعة التي أتخمت أسواقنا. إننا أحوج ما نكون إلى ما يكوِّن الأسرة تكوينًا وطيدًا صحيحًا، فقد كدنا نفقد لوننا ونضيع بين الشعوب. إني أرى الجامعات تصبغنا وتطلينا، والتربية القومية يجب أن تكون صقلًا وجليا لإظهار العرق الأصلي، لا لطمسه بالدهان والأصباغ.

أرجو ألا يغضب الجامعيين مما أقول، فكثيرون منهم ينصل صباغهم الجامعي حين يدخلون جامعة العالم الكبرى، وهؤلاء هم رأس مالنا، وعليهم المعوَّل في ادخار البقية الباقية من لوننا المحلي. والسلام.

النقد الرابع والخمسون

١٩ / ١١ / ١٩٥٣

كثر الكلام عن الفن في هذين الأسبوعين، فالأستاذ عباس محمود العقاد يتحدث عن حاجتنا الملحة إلى الفنون الجميلة، زاعمًا أن سوقها لا تبور، وفي ركن حصاد الفكر العالمي كان الكلام عن توماس مان، وعما قاله في تأثير الفن في المجتمع، وموقف الفنان من نفسه. إني أخال الفنان كالنحلة حين تُعد العسل، فهي ليست تدري إلا أنها تعد لها طعامًا، وتتذوق عسلها كما نتذوقه نحن، ونرى فيه ما نرى. أظن — بل أؤكد — أن الفنان لا يضع هو المقاييس ولا يقوِّم ما يصنع، ولكن عبقريته تخلق عفوًا تلك الروائع؛ فتعجب الناس، ويجعلونها نماذج يقاس عليها.

وبعد، فإن كلمة فن في زماننا قد أصبحت تطلق على كل شيء، حتى الزواج، فهذه السيدة صفية فراج تتحدث عنه تحت عنوان: «فن الزواج». لقد توسعنا كثيرًا في هذه اللفظة حتى كادت تشمل كل شيء.

وفي كلمة الأحد تكلم الأب كسرواني عن «هذا الإنسان»؛ ففزعنا من قذيفة تقضي على الناس أجمعين، لا أدري لماذا لا أقيم وزنًا لهذه القنبلة التي يهددون بها الناس، فإذا كان داود قال في زبوره عن هذا الإنسان: «وعلى أعمال يديك سلطته.» فلا يعني هذا أن مثل هذه القنابل تقلب وجه الكون، أعتقد أنه لا بد من أن يكون في الكون خط دفاع تجاه كل ما يهدده بالفناء.

وقدم المقدم محمد حسن المحاويلي صورًا من حياة المرأة في اليمن لذَّ لي سماعها، وإني لأتمنى على إخواننا حملة الأقلام في اليمن أن يكتبوا أقاصيص تصور هذه العادات

والتقاليد، فإنها مرعى خصيب للقصصين، وقد يخرج منها قصص رائعة لو قيضت لها أقلام تحسن التصوير والإخراج القصصي.

وأهم ما يلفت النظر في برنامج هذين الأسبوعين هو المشكل الذي عالجته ندوة الشرق الأدنى في بيروت، كان الباحثون فيها السيدة صبيحة فارس، والدكتوران إسحاق موسى الحسيني وكمال اليازجي، وكان موضوع بحثهم مشكلة معقدة يحق لنا أن نسميها مشكلة الساعة، بل مشكلة كل ساعة، أمس واليوم وغدًا. إن قضية تخصص الطالب في الموضوع الذي يلائمه مشكلة مستعصية الحل، يريد الأساتذة الجامعيون أن يبدأ التخصص أو التوجيه إليه في المدارس الثانوية، في حين أن المدارس الثانوية لا يعنيها إلا الثقافة العامة، ولا يبدأ التخصص إلا في الجامعات، ولكن أصحابنا الجامعيين يريدون أن يلقوا هذا الحمل عن أكتافهم، ثم يتوغلون في البحث، فيرون أن على الحكومة أن توجه المدارس الثانوية، ويقترحون أن تتفرع البرامج فيها، مع أن المدرسة الثانوية لا تتسع لأكثر من برامجها.

أنا أرى أن المدرسة الثانوية تكتشف الموهبة وتصقلها ما أمكنها، وعلى الجامعة أن تنميها، أما حاجات البلاد فأحرى بالجامعات أن تنظر إليها، فإذا رأت مثلًا كثرة الأطباء والمهندسين وغيرهم، فعليها أن توجه القادمين إليها في الطريق التي ترى البلاد إليها أحوج.

وفي روضة الشعر: سمعت الأستاذ عبد الرزاق الهلالي ينشدنا شعرًا يذكر فيه الثمانين عامًا مثل زهير. إن شعره فكر أكثر منه صورًا، وهو في كل حال رصين متين، قال قصيدة عنوانها: «الفراشة والنار»، تخيل فيها بعض الشيء، ولا أدري ماذا يقول الأستاذ في هذه الشطرة: تمهل تنج من الآمال؟ إني أرى جزم تنج واجبًا، وإذا جزمنا أسأنا إلى علم الخليل، فليت الشاعر يعيد النظر في بيته وهو لا شك واجد لفظة تسد هذا المضيق. وأما الأستاذ علي صدقي عبد القادر فكان شعره نظمًا فلسفيًّا، قريحة سمحاء، وما كل سماح كرم، وقد سمعت له قوافي غير متلائمة مثل: بحيرة، ومرة، ومجرة، فهذه الحبات لا تنتظم في سلك واحد. أما الأقاصيص، فخيرها قصة رشاد المغربي دارغوث، وإن كانت تاريخية لا يعرف محيطها ليستطيع تحريك شخوصها، وتلوين إطارها. إن الأستاذ دارغوث يجيد الأقصوصة حين تكون واقعية وقد رأى بطلها، أما حين يكتب قصة بعيدة عنه فلا تنبض أقصوصته، فمهما اشتد في إلقائها تظل رخوة كأن عظامها من خيزران.

شخصية الأسبوع: وأصغيت إلى سماع ما يقوله فؤاد إفرام البستاني كشخصية الأسبوع، وكم كنت أتمنى عليه، وهو من المعجبين بالبحث العلمي أن يذكر ولو بكلمة عابرة ذلك الشيخ الجليل الأب لويس شيخو عندما تحدث إلى الأستاذ أحمد أبو سعد عن كتابه الروائع، فالأب شيخو — رحمات الله عليه — هو الذي وضع النموذج الأول من الروائع، وأظنه كان عن أبي العتاهية، وعلى غرار هذا الكراس طبع الأستاذ فؤاد كراريس روائعه. الإقرار بفضل من سبقونا واجب على الأساتذة، وخصوصًا ممن كان كالأستاذ فؤاد يشرف على ترجمة دار معارف، إنه مسئول عن هذا من جهتين؛ الأولى: لأنه ربيب اليسوعيين المحترمين، والأب شيخو أحدهم، والثانية: لأنه اليوم مدير الجامعة اللبنانية، وعليه أن يكون قدوة لمن يتخرجون في الأدب منها ليؤدوا الأمانة.

النقد الخامس والخمسون

٢ / ١٢ / ١٩٥٣

كانت أقاصيص هذين الأسبوعين ثلاثًا من طراز واحد تقريبًا، مؤلفوها يحلون محل أبطالها في الكلام، والأروع في القصص أن نعرف الناس بشخوص الأقصوصة، ثم ندعهم يتكلمون هم؛ لأن ذلك يدب الحياة في الأقصوصة فتنتعش، وينتعش قارئها أو سامعها، وقد سمعت أحد كتاب هذه الأقاصيص يردد اسم بطلة قصته «بركة» مرات عديدة لم أحاول إحصاءها؛ لأنها كثيرة جدًّا، فمثل هذا التكرار يفقد القصة متعتها، فخير للقصاص، بل أولى مهماته هي أن يتوارى خلف شخوصه، ويدعهم يعملون … وإلا فإنهم يكونون كتلك اللعب التي تتحرك متى جستها يدك، وتقف حركتها إذا كففت يدك عنها.

قال أحد كتاب هذه الأقاصيص: ذكرت هي الأخرى، والصواب أن نقول: ذكرت هي أيضًا؛ لأن الضمير لا ينعت ولا ينعت به. وهذا التعبير كثيرًا ما يستعمله أكابر الكتاب وهو غلط، فليتنا نقلع عنه.

روضة الشعر: أنشد شاعر لم تلتقط أذني إلا اسمه الأول — أحمد — كان الجو وقت حديثه مغيظًا محنقًا، ومع ذلك لم يفتني من شعره إلا القليل، كانت «الخالدون» أولى القصائد التي أنشد، ثم «عيناك» و«لذة» و«الطين» ولعل لذة هي خير ما قال؛ لأنه عاش موضوعه وتأثر به.

ماذا لديك: حدثتنا السيدة أمينة السعيد عن م. م. ن. أحد علماء بني غازي الذي شكا إليها ظلامته، عقيلة الشيخ الجليل أصرت على أن تكون أضحيتها كبشًا سمينًا، ولما لم تحصل عليه تركت بيت زوجها وانزوت في البيت الأبوي آبية أن تعود ما لم تحصل

على الكبش. وعلقت السيدة أمينة على هامش هذا الحادث تعليقًا رصينًا، وكان حكمها عادلًا، ولكن هذا العالم لو كان كبش نطاح ما فرضت عليه زوجته مشيئتها، واستبدت به مرة واحدة، وحاصرت في بيت أهلها.

وفي ركن «بيني وبينك» كان الدكتور حسين مؤنس محدثًا لبقًا، قال ما شاء دون أن تنقطع شعرة معاوية بينه وبين المرأة. لم يرجع بها القهقرى، ولكنه حثها على أخذ المفيد من حضارة الغرب، ولم يزعم كغيره أننا لم نفد منها شيئًا، وهكذا أثرت كلماته فيمن سمعته من السيدات اللواتي يؤثرن أن يكنَّ بين بين.

ركن حصاد الفكر العالمي: كان حديث الدكتور نقولا زيادة بعنوان: «شاعر وأديب». وطَّأ لحديثه هذا بكلام جيد تناول فيه المعنى والمبنى في النصوص الأدبية، ورد على من قال، منذ شهر وأكثر: الأدب يرفه والعلم يشبع. ثم انتقل إلى الكلام عن الشاعر الأميركي إليوت، ونقل شيئًا من أدبه، قال: إن الشاعر لا يعظ ولا يتفلسف، ولكنه يثير المسائل، وهذه لعمري إحدى خواص القصصي الحق.

أحسست في مطلع حديث الدكتور أنه لا يكترث للأسلوب، وإذا بي أسمعه فيما بعد في أثناء كلامه عن إليوت يقول: إنه تفرد بأسلوبه، أنا أظن أن الجمال الفني هو في الأسلوب لا في الأفكار التي قلما نظفر منها بشيء جديد. وأخيرًا رجا الدكتور المتقدمين من الأدباء والشعراء أن يقرءوا إليوت لعله يجدد لهم شبابًا، وأنا أقول للدكتور: إن الشبان والشيب في هذا سواء، إنها طاقة يا دكتور، فقد تكون في بطارية خدمت طويلًا أقوى منها في واحدة خرجت حديثًا من المستودع … فليس — إذن — في الأدب شيب وشبان، القصة قصة موتور، أي دماغ وأعصاب، فقراءة شاعر أو أديب لا تفتِّي ولا تشيِّخ، ومن لا يصدقني فليجرب.

ركن الأدب: تحدث الأستاذ أحمد رامي في هذا الركن عن الشاعر علي محمود طه بمناسبة ذكراه، وأفاض في عرض أثر هذا الشاعر في الشعر العربي الحديث، فوفق في البحث والتحليل، كان البحث تامًّا لو لم يكتف الباحث بناحية واحدة، فالشاعر يكون دائمًا فاعلًا ومنفعلًا، وكما عرفنا أثره في غيره حق لنا أن نعرف تأثره بغيره، قال أحدهم: إن وراء كل شاعر جديد شاعرًا آخر قديمًا أو جديدًا، إن هذه الناحية بقيت غير مجلوة رغم ما في هذا الحديث من دقة وعمق.

وكان الأستاذ يوسف داغر أحد شخوص الأسبوع قدمته الآنسة نور سلمان ليتحدث عن الكتاب، فأجاد الإحصاء كل الإجادة، وهو من الأخصائيين بهذا، ولعله خير من عندنا

في فن تنظيم خزانات الكتب، ولكن الآنسة نور قد أحرجته حين سألته أسئلة أدبية محضة ليست من اختصاصه.

الجلسات: عقدت جلسة كانت الحلقة الثالثة من السلسلة الجامعية، وكان موضوعها: «أأفضل لطلابنا أن يدرسوا ويتخصصوا في جامعات الغرب وأميركا أم خير لهم أن يظلوا في بلادهم إذا كان ما ينشدونه موجودًا؟»

قال الأساتذة صروف وجبور وزيادة كلامًا له قيمته ووزنه في هذا الموضوع، ولكنهم لم يرونا الحقيقة عارية، وهذه هي: الدروس الثانوية لا يطلبها في الغرب إلا أكثر الذين يعجزون عن تحصيلها هنا، وكذلك الشهادات العليا، والألقاب العلمية الضخمة، إنني قليل الثقة بهذا الدرس وذاك التخصص. أعرف واحدًا يحمل لقب دكتور في لغة لا يحسنها إن لم أقل لا يفهمها، فأكثر طلابنا يعودون إلينا عارفين ما في البارات والكازينات وعلب الليل أكثر مما يعرفون عن الجامعات.

لا أدري لماذا أنا ضعيف الثقة بهذه الألقاب التي تستورد من الغرب وأميركا، لا أراها من المصنوعات المتينة المكفولة، لقد أمست بضاعة «بازارية»، ناهيك أن الكثيرين من طلابنا يرضون من الغنيمة بالإياب، إذا لم يوفقوا إلى من يمهد لهم السبيل إلى نيل شهادة لا تشهد إلا بحماقتهم.

النقد السادس والخمسون

١٧ / ١٢ / ١٩٥٣

يتشبث الكتَّاب، الناشئ منهم والمجتمع أشده، بأذيال كلمات معلومات يحشرونها في كلامهم؛ لتدل على عمق تفكير وغزارة علم، ثم يرددونها في كل مناسبة، وتعجب غيرهم فيتناتشونها مثلهم، فتارة تقعد مطمئنة، وأحيانًا تقعد حسيرة ملومة ... وهذا ما أشار إليه س. إليوت في حديث «معنى الثقافة» للأستاذ عثمان نويه.

فهذه الكلمات الواسعة الفضفاضة إذا انسجمت مع أخوات لها في كلام بعضهم فلأنهم فاهمون ما تدل عليه، أما عند الآخرين فهي لا تدل على شيء؛ لأنهم يستعملونها، ولا يدرون ما تؤدي. لقد كان حديث الأستاذ نويه ممتعًا ومفيدًا، ولعله الدواء الشافي لأولئك الذين يريدون أن يكون لهم سمت المثقفين، وهم لا يعرفون من الثقافة إلا هذه اللفظات التي يتهافتون عليها لاستحسانهم لها.

يطيل الأستاذ وفيق العلايلي المقدمة حين يعرف المستمع بالشخصيات التي يقدمها، ولعل له عذره لأنه يقدم شخصيتين عظيمتين صاحبي دولة كالأستاذين سامي بك الصلح والدكتور عبد الله اليافي، وعلى كل حال لو أراد الأستاذ العلايلي لاستطاع أن يقول ما يريد في سياق الحديث مع من يتحدث إليه، ويستطلع آراءه، وهذا ما يتوق إليه الجمهور، فرأى هذين السياسيين الكبيرين في الشئون الطارئة، والمشاكل التي تحاول البلاد حلها، يعني المستمعين كثيرًا، ألسنا كلنا في الهم شرق، كما قال شوقي؟

فهذه الطائفية داؤنا الوبيل، وقد اتفق رجلا الدولة — الصلح واليافي — على أن ساعة الإجهاز عليها لم تأتِ بعد، يرى سامي بك إنها مرض يزول مع الزمن، ويرى

الأستاذ اليافي أن الأفكار غير مهيأة لها الآن، وإني أرى أننا ما زلنا نتحدث عنها، ويثار الجدل حولها لا تستأصل جذورها، فترك البحث خير علاج للقضاء على ميكروبها، يصر الأستاذان أيضًا على تجهيز الشباب بالعلم الحديث ليكون عندنا رجال يقومون بأعباء الحكم. والخلاصة أن عنوان شخصية الأسبوع أضيق من أن يسع الصلح واليافي اللذين كان لهما أبعد الأثر في تطوراتنا. لقد أحسن العلايلي السؤال، ففاز بالجواب الذي ألقى نورًا ساطعًا على بعض النواحي من حياتنا الحاضرة.

وتحدث الدكتور جبرائيل جبور بمناسبة ذكرى وفاة الأمير شكيب أرسلان، فكان حديثه مبوبًا منظمًا، وصف تطور أسلوب الأمير شاعرًا وكاتبًا، وذكر أنواع أدبه، ومواضيع أبحاثه كلها، واكتشف رسائله التي قال إن أحدًا ممن تكلموا عنه لم يأتِ على ذكرها، جميل هذا الشمول، ولكن مهما قال الرجل: إن إنس لا إنس، فهو ولا بد ناسٍ. لقد نسي الدكتور الترجمة والتعريب، فالأمير عرب في فجر حياته الأدبية رواية آخر بني سراج، وفي كهولته، كتاب أناتول فرانس في مباذله، وفي هذا الأخير يظهر تطور عظيم جدًّا في أسلوب الأمير، وفيه تظهر ثروة لغوية قلما نجدها عند غيره.

أما أهم ما استرعى سمعي في حديث الدكتور جبور فهو قوله أخيرًا عن الأمير شكيب: إنه خير كاتب ظهر في زمننا قبل ظهور التخصص. لست أفهم كيف يكون التخصص في الكتابة! قد يصدق هذا بعض الشيء لو لم يعمم الدكتور، فأنا أرى أن الجامعات والتخصص الذي تعنى به يخلق علماء، ولا يخلق كتابًا وشعراء، وقد تخلق الجامعات باحثين، ولكنها لا تخلق كتابًا موهوبين، فالكتابة موهبة لا علم وتخصص، والأمير شكيب خلق شاعرًا كاتبًا … فمهما آمنا في التخصص، فإننا نظل نراه عاجزًا عن خلق كاتب عظيم؛ لأن الكاتب يكتب عفو الطبع، وإذا قيدناه بهذا الذي نسميه تخصصًا صار عالمًا كغيره.

درس الدكتور جبور فأحسن درس من تحدث عنه بمناسبة ذكراه، وبمثل هذه الأقوال يمجد الأديب، لا بسرد حياته، وإظهار إعجابنا به.

وأصغيت إلى حديث الكاتبة السيدة وداد سكاكيني في دراسات أدبية، وكم كنت أفضل أن يتناول قلمها الرشيق غير هذا الموضوع الذي عمَّ حتى خمَّ، إن هذا الكلام عن أدبنا لا يقدم ولا يؤخر، وأدبنا يظل كما هو إذا لم يحاول كل منا أن يضيف شيئًا إلى ثروته، فالسيدة سكاكيني تستطيع أن تكتب قصة وتجيد، أفما كان من الخير لها وللأدب أن تكتب قصة رائعة كالتي كتبتها، ونالت جائزة المكشوف منذ زمان؟

إنني أرى الأقاصيص في هذه الفترة قد اعتراها جمود، ونحن نريد أن نسمع منها جديدًا، فإلى الأقصوصة، غير مأمورة، يا سيدتي.

وفي «الندوة» كان الحديث عن شرعة حقوق الإنسان، ومنذ خلق هذا الإنسان وهو يشترع ويشترع، وما نراه أدرك حقًّا من حقوقه إلا بباعه وذراعه، فالشرائع لا تؤتي آكلها ما لم تتجسد عملًا، ولا يدرك الإنسان حقوقه إلا إذا ترك كل فرد الطمع بأكثر من حقه.

وكان الأستاذ رزوق فرح رزوق بلبلًا صادحًا في روضة الشعر، ناعم الديباجة، من طراز شعراء الساعة، تؤازر خياله عاطفة حارَّة، ففي قصيدة «لا تراني» خرجات لطيفة على نسق البناء الأندلسي. إن للإذاعة فضلًا جزيلًا في تعريفها الجمهور بمثل هذه النخبة من الجيل الجديد.

أما العلامة الحسين الحلي، فهو لا يفارق عمود الشعر في مواضيعه وأفكاره، خاطب طائرًا في إحدى قصائده فزودنا بالحكمة التي اعتاد القدماء أن يزودونا بها، وأحسن في الثانية مخاطبة شيخ المعرة وتحليل آرائه. وجملة القول في شاعرنا العلامة أنه متأثر بالحليِّ الأشهر ومن طرازه.

النقد السابع والخمسون

١٩٥٣/١٢/٣٠

شخصية الأسبوع: عندما وضع القدماء قواعد اللغة العربية جاروا من تقدموهم في الفرق بين المذكر والمؤنث، واليوم أرى محطة الشرق الأدنى تطلق على التحدث إلى مشاهير الذكور عنوان شخصية الأسبوع، وتُعنون مثل هذا الموضوع «أمام الميكرفون» حين يتحدث مندوبوهم إلى سيدة أو آنسة معروفة، فهل لي أن أسمع المحطة صوت بعض من كتبن إليَّ محتجات طالبات إبدال هذا العنوان؟ إنهن يطلبن عنوانًا أدل على مساواة الذين باللواتي بعدما هببن من كل فج عميق مطالبات بحقوقهن، وقد نلن أكثرها، وهذه إحداهن الآنسة فاطمة المحب قد فازت في مسابقة فنية عالمية في النحت، وإذا كان ذلك كذلك، فهي أكثر من شخصية أسبوع، إنها شخصية عالمية.

يقول بعض من أثروا: الدنيا كد وجد، وهذا الأستاذ نجيب صالحة الاقتصادي العبقري يقول لمقدمه الأستاذ نجاتي صدقي: إن الظروف لعبت دورها في توجيهه، ولكنه استدرك فيما بعد فقال: ليس الحظ كل شيء …

وهذا الرجل العامل — الأستاذ صالحة — يرى أن الثروة ليست كل شيء، ولما سئل عن الإحسان قال: يجب أن لا يمشي أمامه طبل وزمر، أما الذي يلفت النظر في حديثه فأمران: رأيه في عدم تبدل الوزارات كل بضعة أشهر، ونصيحته إلى الشباب لكي يتسلحوا بالعلم والصدق والاستقامة. وأشار حضرته إلى مشاريع عمرانية ضخمة، فنسأل «الظروف» أن تمد يدها كما مدتها في فجر حياته ليستطيع تحقيقها فتعمر البلاد.

وفي عنوان «بيني وبينك» تحدث الأستاذ أنيس منصور إلى المرأة، فما ترك شهيرًا من أعدائها إلا أتى على ذكره، ثم أنحى باللوم على الأم المشغولة عن بنيها، وهذه آفة اجتماعية تضج منها الدنيا بأجمعها. أما قوله: إن الولد يفتش عن أمه في أنثى ثانية إذا حرم حنان الأم، فهذا رأى فرويدي كثيرًا ما يناقضه الواقع.

قصة الأسبوع: تمكنت من سماع أقاصيص هذين الأسبوعين كلها بجلاء ووضوح، فقصة «سعادة» للآنسة سميرة عزام، وهي من طراز أقاصيصها السابقة، ولكنها أكثرت فيها من لفظة كنت أو كان، وقصة «هدية المجوس» التي ترجمها الأستاذ إبراهيم مطر كانت عقدتها المفاجئة خير ما فيها، وإن كان كاتبها بوهاري الشهير ... فليس كل ما يكتبه الشهير يكون شهيرًا ...

أما قصة «على الأرض السلام» للأستاذ سامي محمد، فعبارتها من الإنشاء المنمق، وقد أجاد كاتبها تصوير المكان والزمان، وإن بالغ فقال عن حلم نابليون بملك عرضه السموات والأرض. إن قصته تنظر إلى قصيدة هيغو الشهيرة، وتقصر كثيرًا عن تلك التي كتبها الفرد دافيني عن نابليون والبابا. قال الأستاذ سامي محمد: مذود من القش، والمذود هو المعلف، والمعلف لا يكون من قش، ولو كان لأكلته البهائم.

وأما قصة الأستاذة روز غريب فجيدة، ولكنها تحتاج إلى مسحة من الجمال الفني.

وفي هذا الركن أيضًا تحدث الأستاذ عبد الحليم عباس في موضوع الأدب والحياة، وهذا موضوع أمسى مكرورًا جدًّا، فليت الأستاذ عبد الحليم يخرج من هذه الحلقة المفرغة التي يدور فيها، ويسمعنا الجديد الطريف وهو على ذلك قدير، وإذا لم تخن الذاكرة فإني أذكر أن موضوعه هذا لأخو موضوعه ذاك الذي أغضبه نقدنا إياه. قال تولستوي: هات ما عندك من جديد حتى أقرأك وأسمعك.

ندوة الشرق الأدنى: كان موضوع الحلقة الأخيرة مهمة الجامعة في البلاد العربية، وملخص تلك المهمة هو إنماء شخصية لا حشو الأدمغة، أما مشاكلنا الأخرى فزعموا أن التخصص يحلها، ولولا قالوا يحل بعضها أو أكثرها لكان الكلام أصدق، فعندنا مشاكل لا تحل عن طريق الأدمغة بل عن طريق القلب.

حديث الشهر: كان للدكتور موسى إسحاق الحسيني فلخص محاضرة الدكتور طه حسين التي قال فيها: إن مصر تكاسلت فتنازلت عن زعامتها الأدبية التي آلت إلى بيروت، وهنا تبسط الدكتور الحسيني في شرح هذه العبارة الأخيرة. لست أناقشه فيما زعم، ولكنني أناقش الدكتور طه الذي قال: إن الشباب يكتبون قصصًا ولا يكتبون إلا

القصص، أما أنا فأذكر أن الدكتور هو الذي دعاهم في سالف الزمان إلى كتابتها، فليته نصحهم اليوم أن يتقنوا هذا الفن الذي تعاورته أقلام جميع الكتاب، ولم يبرز فيه إلا الأقلون، بل ليت النقاد — ولكن النقد نائم نومة أهل الكهف — ينصحون الكثيرين من هؤلاء، فلا يضيعون وقتهم في كتابة ما ليس من طبعهم.

روضة الشعر: كانت قصيدة الشيخ محمد بهجت الأثري طويلة وجيدة جدًّا، وآخرها كان كأولها، وهذا نادر. القصيدة راعوية صور فيها الشاعر الطبيعة تصويرًا حسنًا، ومع كل هذه الطلاوة الشعرية التي تحييها عاطفة متقدة، إنني لا أوافق الشيخ في قوله: مللت غناء شبيه النهاق.

أما قصائد الأستاذ عبد الوهاب البياتي فثلاث، وخيرها أولاها، أما قصيدة «سوق القرية» فهي سوق قرية حقًّا، وأين الشعر في قول شاعر كالبياتي: زرعوا فنأكل ونزرع فيأكلون؟ ثم قوله: لا يصلح العطار ما أفسد الدهر. أظن أن كلامًا كهذا بعيد جدًّا عن الشعر الصافي، فأسأل البياتي ملحًّا ألا يتهافت عليه.

مآخذ: قيل: ترغب أن تبتاعها، ورغب هنا تتعدى بفي.

وقيل: يعودون للثاني، والصواب يعودون إلى الثاني.

ولحن أحدهم فقال: عنهِم والصواب عنهُم بضم الهاء.

وقيل: فحدق في الفراغ، والصواب حدق إلى الفراغ.

سنة ١٩٥٤

النقد الثامن والخمسون

١٤ / ١ / ١٩٥٤

بمناسبة الميلاد ورأس السنة قيل شعر ونثر، فالأستاذ خالد الجرنوسي أنشد قصيدة ميلادية ملأت الوقت المرصود لروضة الشعر، كانت حلوة الجرس إنشادًا، ولكن المدقق في ألفاظها وتراكيبها لا يدرك فيها الشعر الصافي والصور الرائعة من نوع الموشح، وقد أعاد الشاعر اللازمة مرارًا، وكم كنت أتمنى لو كانت القصيدة أرشق عبارة وأدق صياغة، فأين الشعر في مثل قوله: يشكر الله ملحًّا في الدعاء.

وقال الشاعر الجرنوسي: يكره الحرب ويدعو للسِّلم أي للسلم، فهذا التحريك قبيح وإن جاز … ومن عيوب القافية في هذه القصيدة جمع الشاعر بين أمكم وظلكم وكلكم في قافية واحدة.

ومثل تحريك السلم ورد تحريك الطعم عند الآنسة مقبولة الحلي في قصيدتها «عند الشاطئ الأخضر»، فقالت: مر الطعم. أما قصيدتها، فلعلها من أروع ما سمعت لها ولغيرها من شعراء وشاعرات المحطة، فحديث زهرة الأقحوان، وحديث الطير المهيض الجناح، وأخيرًا تلك الصرخة الصادرة من الأعماق: عصفور كان هوانا وراح، كل هذا طريف ومؤثر.

ويندمج مع الشعر حديث «في ركب الزمان» للدكتور علي محمد شلق الذي يذكِّر بإنشاء المنفلوطي، وأسلوبه في مخاطبة الغد، أجاد الدكتور علي مناجاة الزمان، فليت للزمان أذنًا تسمع.

ومن طراز حديث الدكتور شلق في العبارة المنمقة تشابيه واستعارات حديث السيدة إدفيك شيبوب، وكلا الأسلوبين يذكراني بأناقة نثر القرن الرابع. ومع هذا المثال من الإنشاء تنسجم قصة الأستاذ خليل زخريا الميلادية الملأى بالشاعرية، ربما لا تعجب هذه القصة بعض الذين يخالون أن للقصة دروبًا معبدة، ولكن الأقصوصة أنواع شتى، وللكاتب أن يتصرف فيها على هواه شرط أن يخرج أقصوصته إخراجًا مرغوبًا فيه، كما أرانا الأستاذ إلياس بطله الذي يريد وجهًا جديدًا.

أما قصة «غانية» للأستاذ وليم باسيلي، فتكاد تكون عامة تصلح لها بطلة أية امرأة كانت، فمسرحها لا إطار له ولا زينة، ولم ينطبع في أذهاننا شيء منها، وأجمل ما فيها عنوانها «على أطلال الشباب»، إذن ما على الكاتب أن يعمل لتتحرك أبطاله حركة طبيعية؟

إن كلمة تجيء في مكانها الملائم تحرك الشخصية وتبرزها لنا، حتى كأننا نراها بأعيننا ثم لا ننساها، فلنفتش عن مثل هذه الكلمات فهي السمات التي تعرف بها الشخصيات الواقعية أو المخلوقة خلقًا.

وفي ركن حصاد الفكر العالمي حدثنا الدكتور جميل صليبا عن برغسون في كتابه «منبعا الأخلاق والدين». إن الدكتور صليبا أخصائي في مثل هذه الأبحاث، ولعل كتابه في علم النفس خير ما أخرج؛ لأنه مطبق تطبيقًا محكمًا لا تلمس أي أثر للترجمة فيه. قال الدكتور عن برغسون: إن تعاون الحيوانات غريزي، بينما تعاون البشر عن تصور وتصميم، وإننا مساقون بحكم الطبيعة إلى محبة بني جنسنا.

قلت: يا ليت هذه المحبة حاصلة، ولا فرق عندنا من أين أتت، أما الكلمة الخالدة في هذا الحديث فهي هذه: البطل لا يعظ، ولكن وجوده يقود البشر إلى المثل الأعلى، والمثل الأعلى عند برغسون هو الحب، والدين الحركي المنظور هو دين الفلاسفة.

جميل أن تطلع على كتاب فلسفي عويص في ربع ساعة زمان، وأجمل من ذلك أن يلخصه لك دكتور فاهم موضوعه كجميل صليبا.

مشكلة الأدب: تسيطر على أحاديث المحطة موضوعات أدبية صرف، فالناس اليوم فريقان: فريق يحاول إخضاع الأدب لمقاييس معلومة، وفريق يرى أن يترك الأديب حرًّا يتبع إلهامه، ويختار الموضوع الذي يجيده. فمن هنا وهناك تتعالى هذه الأصوات، وكل يغني على ليلاه، ففي العراق تحدثوا عن تخلف الشعر عن موكب الفنون الأدبية، فهبت آنسة الجلسة، عاتكة الخزرجي تدافع عن الشعر نظمًا تنشده إنشادًا بليغًا، فاحتج

الأستاذ باشكير قائلًا إن إنشادها يجمل ما تنشد، كأنه يفوته أن الشعر وجد لينشد لا ليتلى.

أما قول أحدهم: إنه لا يهجر الشعر إلا من لا يبرز فيه، فالجواب عنه أن إجادة القصة ليست أسهل من تجويد الشعر، فالقصصي الكبير لا يكون إلا شاعرًا.

أحسنت الخزرجية الدفاع عن الشعر، ولكنها لم تصب حين زعمت أن الشعراء الغاوين ليسوا شعراء؛ لأن الشعر في نظرها هو السمو بالإنسانية، وهناك قضية ثانية أثارها الدكتور طه حسين، فكثرت المناقشة فيها، والتحدث بها كأنها نعمة ربك ...

إني لا أخشى أن يصح بنا نحن اللبنانيين، هذا البيت المشهور:

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة   قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

إن رأى الدكتور محترم، ولكنه دائمًا مغالٍ، ينهج نهج برناردشو في إثارة الشئون والشجون، هاله أن تحتجب مجلات مصرية خطيرة كانت ساحة نضاله الأدبي، وسره أن يرى أخوات لها تظهر في لبنان، فتلفت يولينا سؤال الكريم عن جيرانه كما يقول «صديقه» أمير الشعراء أحمد شوقي. أما القول الفصل فهو للتاريخ بعد حين، يوم تتبدل الموازين والمكاييل والكيالون ...

النقد التاسع والخمسون

٢٧ / ١ / ١٩٥٤

كانت روضة الشعر عابقة بالطيوب قديمة وحديثة، عنبر العربية السعيدة ومسكها، وعطر باريس حفيدة بغداد، وحاملة لوائها في عصرنا الحاضر، فهذا بديع حقي، وأظنه دكتورًا من باريس، ينشدنا شعرًا من الطراز الجديد الذي تهافت على قوله شبابنا، وراحوا يلحمون ويسدون وينسجون ويدبجون، سمعت له أربع قصائد: نحت، وسيجارة، وليالي بغداد، وال ... وكلها من هذا الشعر الجديد المنمق الناعم، جل كلماته من تلك اللفظات المنتقاة التي تدور على ألسنة أقلام شعرائنا الشباب، وصوره ومجازاته من البضاعة عينها، فالأزميل تعب، والحجر انهد، والمرمر ذوى، وسكن من غلمة الطين الفكر، كما خشينا نحن أن يضمحل الفكر ويذوي الشعر إذا ظل هكذا، زهرًا بلا ثمر. القصيدة غنية بموسيقاها، وألفاظها المختارة كعنوانها منحوتة نحتًا، ولكن هذا النحت لا يقام منه تراث يبقى.

أنا أحب هذا الشعر الصافي، ولكن محبتي له تنتهي فور انتهاء إنشاده، لقد كادت أذني تلتقف كل حرف رغم أن من أنشد قصائد الدكتور حقي كان منتشيًا بها، فراح صوته يعلو ويسفل حتى نسي ضعف الموجة وليالي كانون العاصفة. حقه أن يثمل، فهذا الشعر الجديد تغويك موسيقاه وتغريك صوره، وإن لم يكن تحتها طائل، فأصحابها أتباع هذه المدرسة يقولون: إن فيها من الإيحاء ما لا يفهمه إلا الراسخون في العلم، والله أعلم ...

هذه طيوب باريس، أما عنبر العربية السعيدة ومسكها فيفوحان من «معلقة» الأستاذ عبد الله شمس الدين، وعنوانها: «صلوات». من عادة الصلوات أن تكون مقاطع، أما صلوات السيد شمس الدين فذكرتني بنفس ابن الرومي الطويل، القصيدة رصينة العبارة، ولكنها أقل صورًا ناتئة كالتي رأيناها في شعر الدكتور بديع حقي، ولعل الصلاة التي تعني شمس الدين لا تستدعي المجاز والأناقة، كما أن حميا الشباب هي التي أوحت إلى حقي بتلك الزركشة، ولكل ثمرة إبان.

ومن روضة الشعر يجدر بنا الانتقال فورًا إلى الجلسة التي عقدها الأستاذ عزيز أباظة مع الأستاذين أحمد رامي وعبد المجيد الغزالي، تحدثوا عن الشاعر العظيم أحمد شوقي، فقال الشاعر رامي: إنه درة في تاج الشعر العربي، فجاء في بالي قول ابن الرومي في وحيد المغنية:

يسهل القول إنها أحسن الأشياء طـرا ويـصـعـب الـتـحـديـد

ولهذا كنت أنتظر من رامي غير هذا الوصف، والتعبير الذي أمسى لا يدل على شيء.

لقد أصابوا حين قالوا: إن شوقي ترك بعده فراغًا ضخمًا في الأدب العربي، ولكن ما شأن الحسد الذي تحدثوا عنه طويلًا؟ لقد أصابوا في الاعتراض على من نقد أبيات شوقي التي تصف هيكل أسوان، فهذه الأبيات لم يقل شاعر معاصر وغير معاصر أحسن منها وصفًا وتصويرًا وديباجة، شوقي استفاد وبز ثم لم يُبز حتى الآن، نهج نهج البارودي وصبري في تصفية الشعر ثم بزَّهما، أما الذين يمشون على أثره حتى الآن فلم يبزه أحد منهم.

كانت شخصية الأسبوع من أبرز شخصيات لبنان، الأستاذ عادل عسيران رئيس المجلس النيابي، قدمه الأستاذ أحمد أبو سعد تقديمًا طريفًا، وكانت سؤالاته عميقة الجذور، فانتزعت من الأستاذ عسيران المعروف بحريته وصلابته ما يجب أن يسمعه العربي الواعي وغير الواعي ليتشدد ويستيقظ. قال الأستاذ بتواضع عميق «نفسي التي اشتمت شيئًا من المعرفة.» ثم هدر فيما بعد ببلاغة وفصاحة، فكان أبلغ شخصية أسبوع لم تلحن قط.

قال عسيران: السياسة توجيه إلى الخير ونضال، لا خبث ورياء، ورأى أن النظام البرلماني هو النظام الأمثل إن كان وراءه شعب واعٍ، وسئل عن القضية العربية فدق

ناقوس الخطر دقات عنيفة جدًّا: القضية العربية تمر اليوم في أسوأ أطوارها، تنازع على السيادة، أموال تنفق بجدوى وغير جدوى، والعرب ممعنون في الضلال.

إن الإخلاص أملى على حضرة الرئيس هذه الحقائق، فكان صريحًا جدًّا لم يحابِ ولم يوارب، وعلى الرائد أن يصدق أهله، والداء المكتوم عصي الشفاء.

وفي ركن الأحاديث كان حديث الأستاذ السيد محمد رضا الشبيبي دراسة علمية عميقة شاملة عرَّفتنا بمعجم النبات للإدريسي تعريفًا تامًّا، وكذلك الأستاذة زاهية أيوب التي تحدثت عن الفقيدة الكبيرة السيدة سلمى صائغ، فقد عرضت نماذج دلت على الكاتبة وروحها، لامت البلاد على تقصيرها تجاه الأدباء، وأنا أعتقد أن الشقاء من المهاميز التي لا بد منها ليسير الأديب في شوطه خببًا.

أما في الأقاصيص فأطالت الدكتورة بنت الشاطئ مقدمة أقصوصتها، ولعل هذا مرض الدكاترة ... أما تسمية بطلة قصتها بالصابرة فأظنه غير طبيعي بالنسبة للمحيط الذي جعلتها تعيش فيه، وزعمت أنهم هم سموها هكذا، أما قصة «بنت الراعي» فهي من الأقاصيص القديمة، ومغزاها نبيل جدًّا، ونحن أحوج الناس إليه ليقبل شبابنا على الأعمال اليدوية التي يأنفون منها، وهم أحوج ما يكونون إليها.

النقد الستون

١٠ / ٢ / ١٩٥٤

وكانت جلسة شعرية للأساتذة أحمد أبو سعد، وجوزيف نجيم، ومصطفى محمود، فقالوا شعرًا طيبًا دخل الآذان بلا استئذان، وكيف يستأذن الدفء في شباط والناس في انتظاره؟ فأبو سعد أسمعنا أنشودتين من ديوانه الحديث «قصائد دافئة» لم نسمع من عيارهما إلا في الندر، أقول هذا وإن لم يعجبني قوله:

تمشين يا تمشين يا يا يسلم التبختر

فهذا النداء وهذه القافية الضخمة — التبختر — لا ينسجم مع تلك النعومة الملكية في الأبيات الأخر، ناهيك أن التي صاغها الشاعر من الأثير لا يلائمها التبختر!

وكذلك قصيدة نجيم «إلى درة» فهي تبشر بشاعرية يكون لها شأن إذا أحسنت سياستها، فليت الأستاذ جوزيف نجيم يهتم بالإنتاج شعرًا ونثرًا، فكرسي «الهمزة» قلقة منذ خلقت …

أما الجلسة الثانية فكانت كوكتيلًا غريبًا عجيبًا سكبه لنا أبو العجائب الأستاذ رشاد بيبي، لقد جمع في الجلسة بين الشعرين العامي والفصيح، بين الزجالين سليمان قرباني ويوسف ملكي، وبين الأساتذة الشعراء العراقيين محمد حسين الشبيبي وباقر … ورزوق فرح رزوق، كان الزجالان من مدرستين مختلفين، الأول يمثل المدرسة الزجلية القديمة، والثاني يمثل الشعر العامي الحديث.

أما الشعراء، فقال كل منهم مقاطع كان للبنان منها حصة الأسد، وكان لها من الفن حظًّا وافرًا. يظهر أن لبنان هو الجبل الملهم حقًّا، ولولا ذلك فمن أين للملكي الشاعر العامي أن يقول: «من كعب الأرزة لراسا غربه»، أليس جميلًا تصور الاغتراب لمن يتسلق أرزة من أرز لبنان القديم الأجيال؟

أما روضة الشعر، فملأها الأستاذ أمين إبراهيم اللاذقي آهات، حتى قال: «يا نديمي، ردد الآهات آه ...»، وما انتهى من ترديد آه حتى تهاوى على «تعود وتعال، وأنا وحدي»، وقال أخيرًا: «فلا مثلي ولا بعدي، أنا وحدي أنا وحدي».

ثم كانت قصيدته «إلى سمرا» خاتمة المطاف، فعاد إلى نغمته الأولى، والخلاصة كان اللاذقي هزاجًا أكثر منه شاعرًا.

والأستاذ منير الدويب، هو من الشعراء المختارين للبرنامج، كانت قصيدته الأخيرة «أنت وأنا» كالحلوى من المائدة، فهي خير ما أنشد، أما قصيدته الأولى فبعض قوافيها تشكو السقام، كان وصفه جيدًا، أما مواضيعه فمبتذلة.

انتظرنا الأستاذ ميشال الأسمر في حديث الشهر، فإذا بنا نسمع الدكتور موسى الحسيني يلخص لنا حديث الأستاذ سعيد عقل عن «النخبة»، ومن أين نجيء لسعيد ببشر فوق البشر؟ وكم كنت أتمنى لو كان حديث الدكتور العلامة تعليقًا لا تلخيصًا، وهذا ما يطلب من الجامعيين، فالتلخيص لمراسلي الصحف لا لأديب كبير كدكتورنا الحسيني.

وفي ركن الأدب سمعنا الأستاذ فائز الغول يحدثنا عن ابن الرومي، وكم كنت أتمنى أن يعرف الأستاذ المستمع بشاعر لم تتعاوره الأقلام كابن الرومي، وإلا فكان عليه أن يفتش عن جديد عند ابن الرومي.

ما أجمل أن نعرف ما عند إخواننا في الأقطار العربية النائية، من نهضة تبشر بحياة أدبية، وليت الأستاذ طاهر البشتي فصَّل ما أجمل، أو ملأ على الأقل الدقائق المعينة له، فقد كان فيها الكفاية.

كان شخصية الأسبوع الأستاذ محمد علي علوية وزير المعارف المصرية، فقُدم مع جيش من ألقابه على الطريقة الإنكليزية، إن معالي الوزير علوية شخصية ناضجة مخلصة ينم كلامها ولهجتها عن إخلاصها فيما تقول، الرجل مجدد كل التجديد، حمل على أزياء مصر المختلفة، من الطربوش والقفطان والجلابية، حتى عدها نوعًا من الكرنافال، قال: يجب أن نوحد اللباس، فلا يبقى إلا لباس خاص لرجال الدين ليكون

لهم احترام خاص، فالديانة في الخلق لا في الأزياء، والأمم لا تقوم إلا بالعلم، والاختراع في نظره عبادة حتى لو اخترع الرجل مدفعًا. جميل أن نسمع مثل صوت هذا الشيخ الذي يبز شباب الشرق في آرائه الحديثة، فحياه الله وأبقاه.

وهناك شخصية ثانية هي الأستاذ سعد أبو العلاء، وهو من رجال الاقتصاد، ولكنه يُعنى بالكلام، فهو فصيح اللهجة، مفكر راقٍ، ساءه جدًّا أن يسمع أهل بلادنا يسمون الفستق السوداني فستق العبيد، وهو على حق حتى لو كان هناك سوء نية، فأنا أعتذر للأستاذ أبو العلاء عن أهل بلادي، وأؤكد له — والاعتراف بالجهل فضيلة — أنني كنت أجهل منبت هذه الثمرة التي أحبها جدًّا، ولن أقول فيما بعد إلا كما يروم.

قصة الأستاذ عبد الحميد جودة، وعنوانها: «المغرور» كان وصف شخصيتها جيدًا، وكذلك الحلم والكابوس، والذهاب إلى النار الذي كان ينقصه شيء من الاضطراب والجزع.

أما قصة «قال الأولون» للأستاذ أحمد صالح الطبيب فليست قصة الأسبوع، بل أسطورته التي كنا نقرؤها صغارًا في كتاب مجاني الأدب …

مآخذ: قيل: عن بكرة أبيها، وهي بَكرة بفتح الباء.

وقيل: كانت له معارك بالتنوين وهي بضم الكاف؛ لأنها ممنوعة من الصرف.

وقيل: وأكثر سكانه بضم النون وهي بكسرها.

وقيل: وهي وحدها بضم الدال، ووحد دائمًا بالفتح، ومحلها من الإعراب حال، إلا في قولنا: نسيج وَحْدِه، وجحيش وحده بالكسر على أنها مضاف إليه. عفوًا إذا كررت …

النقد الحادي والستون

٢٤ / ٢ / ١٩٥٤

حدثنا الشاعر الأستاذ صفاء الحيدري عن المذاهب الأدبية الحديثة في العراق، فنعى إلينا الأدب العربي القديم الذي أعرض عنه شباب العراق، ولم يعد أحد منهم يقرؤه، مع أن المثل عندنا يقول: احفظ عتيقك جديدك لا يبقى لك، أنا لست من الذين يعرضون عن القديم كل الأعراض، ولا من الذين يتمسكون به بأيديهم وأرجلهم، ففي القديم جديد كما في الجديد قديم جدًّا … أما تحطيم الشباب العراقي لعمود الشعر، ذلك الصنم الذي نصبه القدماء في هيكل الأدب والفن، وقالوا للذرية: اسجدي له، فهذا عمل نشكر الشباب عليه؛ لأن هذا العمود هو الذي حنَّط أدبنا شعرًا ونثرًا.

كان حديث صفاء حديث صاحب البيت عما فيه، فجاء شاملًا وعميقًا، ولا عجب فصفاء شاعر متمرد ثائر في أسلوبه وتفكيره، وهو من أركان النهضة العراقية الميمونة، ولم آخذ عليه في هذا الحديث إلا قوله: إن الأدب تلقح بالمذاهب الحديثة بعد دخول الإنكليز العراق، والفرنسيين لبنان، فإذا كان يصح ذلك في العراق فهو لا يصح في لبنان الذي عرف تلك المذاهب منذ عهد بعيد جدًا. إن في العراق نهضة مباركة، فبارك الله فيها، وأطال عمرها، ولا بلاها بنكسة، فأخطر الداء نكس بعد إبلال كما قال البحتري.

وفي ندوة الشرق الأدنى كان عنوان الجلسة «حوار أبي العلاء» عقدها الدكتور محمد صلاح الدين، والأستاذان أحمد الغزالي وأحمد مخيمر، لقد تحاوروا هم ثلاثتهم ولم يَفُز المعري بغير العنوان، أما شاعريته التي امتدحوها فهي — كما أرى — في غير

لزوم ما لا يلزم، وأما التناقض الذي يجده قارئو شعره، فهو في العرض لا في الجوهر، فأبو العلاء مؤمن بالله وحده، وبدون كلفة …

وحدثنا الأستاذ منير بشان الذي قدمه الأستاذ موسى الدجاني، عن تاريخ الصحافة في طرابلس الغرب، مبتدئًا بعصر المطبعة الحجري، وانتهى بعصرها الحديدي، فما ترك شاردة ولا واردة، ولم ينسَ وريقة ما، وكل ذلك بدقة تاريخية دلت على عنايته الفائقة.

وكذلك كان حديث الأستاذ جميل سعيد في حديثه عن التربية في الكتب القديمة عند العرب، إن التربية كعلم النفس لا جديد ولا قديم فيها، فهي تجارب وملاحظات، وما أكثر ما يلاحظ الناس أولادهم، وما أقل ما يلاحظون أنفسهم، والآنسة روز غريب كان لها حديثان؛ الأول: «تربية الفتاة العصرية وتوجيهها»، وقد أحسنت فيه وصف استقبال مولد البنت ومولد الصبي، ثم أخذت تصف العقد النفسية التي تولدها في نفس الفتاة هذه الفوارق، وأخيرًا عتبت على الناس كيف يقولون للشاب «فرحتك» على مسمع التي لا يقولون لها شيئًا، نحن نعلم أنهم لا يقولون لها ذلك تأدبًا وتلطفًا لا ازدراء كما يخيل إلى الآنسة روز، وفي موضوعها الثاني «مشكلة الزواج»، رأت الآنسة كما نرى نحن أن زواج الفتاة المثقفة مشكلة، وأنا أراها مشكلة المشاكل، وخصوصًا إذا كانت جميلة، ومن المطالبات بحقوق المرأة كاملة غير منقوصة.

رأت الآنسة أن الزواج الباكر قبلي، والزواج المتأخر حضري، وأنا أرى أن خيرهما ما كان بين بين، والفتاة المثقفة حقًّا لا يمكنها أن تتزوج اثنين في وقت واحد: كتبها وعائلتها، أما الجامعات فقلما تنتج زواجًا لا تنفصم عراه فيما بعد.

«أجل لقد جاء الربيع» هو عنوان قصة الأستاذ عز الدين المناقلي كان أولها أكثر أناقة من آخرها، فاللون المحلي ينعشها، والإطار يزينها، ومغزاها يصدق ما قاله أبو العلاء: هذا جناه أبي علي … وكم في رقبة الآباء والأمهات من جنايات إذا كانوا مثل بطلي رواية المناقلي.

وكانت روضة شعر محمد حسن إسماعيل زاهرة زاهية حتى سبح الزورق في البطاح … كما قال في قصيدته الأولى، أما قصيدته الأخيرة، وموضوعها الجمال فهي خالدة، اجتمعت فيها الصورة كاملة الملامح تزيدها الألوان جمالًا، وختامها الصوفي فيه روعة.

وحديث الدكتورة سانحة أمين زكي مفيد جدًّا، وما أحوج الآباء والأمهات إلى سماعه كي لا يتخاصموا أمام أولادهم، ولكن قراءة الدكتورة لحديثها كانت سقيمة جدًّا، تُرى بأي لغة أخذت لقبها الجامعي؟ قالت الدكتورة أول مرة: بأن أُمَّه، وقالت مرة ثانية، بأن أُمُّه جاهلةً أمية، وقالت: يومين هنا وثلاثًا هناك، وقالت أيضًا: أن يذكروا أحدهما الآخر.

حقًّا إن هذا غريب جدًّا، وإذا لم تصدق الدكتورة ما قلت، فالحديث مسجل، واستعادته ممكنة.

النقد الثاني والستون

٩ / ٣ / ١٩٥٤

كان برنامج هذين الأسبوعين غنيًّا بالشعر، سمعنا نموذجًا من الشعر الليبي قدمه الأستاذ حسن الغناي، وهو فيما قال لم يفارق عمود الشعر، بل كان متمسكًا به بيديه الثنتين. لا بد للشاعر من تخيل، وخيال شاعرنا الغناي غير مجنح، أما الشاعر الليبي الآخر، الأستاذ علي صدقي عبد القادر، فكان أبعد من الغناي عن عمود الشعر، وأقرب إلى الجديد، أنعشت شعره عاطفة قومية عبر عنها بأسلوب قصصي جيد الديباجة، وإن لم تطاوعه كلمة ليبيا التي كررها في نشيد المجد، فجاءت محشورة في الشعر الذي هو ديوان العرب، ومن حق الجلوس في الديوان أن يقعد الجالس فيه مستريحًا، قال الشاعر عبد القادر: «أنا من حررت ليبيا باليمن». ثم كررها على هذا الشكل فأزعجها، وأزعج بها السامعين والمنشدين، إن شعر النشيد يقتضي أن يكون سارحًا كالنسيم.

وفي الجلسة الشعرية التي عقدت في وادي النيل لإنشاد الشعر العاطفي خصيصًا كانت قصيدة «يا لأمسي» للشاعرة زينب الشيخ من الشعر الحامي المنبثق من كبد مقروحة، دلنا على ذلك إنشادها الحاد النبرات، وتعبيرها الحي، وفي نظري إن هذه القصيدة كانت درة ذلك العقد النفيس، ولا تقصر عنها قصيدة الملازم الأول محمد علي أحمد، وعنوانها: ذكريات.

وهذه خنساء زماننا الشاعرة فدوى طوقان لا تنسى صخرها، فهي ما فتئت تبكيه، وتبكِّي المستمع في قصيدتها «عودة»، هنيئًا لشاعر له أخت شاعرة من طراز فدوى تقول فيه:

وشعرت أنك عدت إنك في الطريق

هذا شعور الوالهة المفجوعة قد جسدته لنا الشاعرة في هذا البيت.

وينتظم في هذا السلك حديث الأستاذ أحمد زكي أبو شادي عن الشعر المهجري، قال: إن في الشعر المهجري إبداعًا لفظيًّا في الصيغة، مع أن تجديد شعراء المهجر كان في معالجة موضوعات جديدة أكثر منه في التحرر من قيود الألفاظ والتعبير، فهم إلى هذا التحرر اللفظي مسبوقون، سبقهم إليه الأندلسيون وما كانوا هم في هذا إلا أندلسيين جددًا ولا فرق بينهما إلا في المكان والزمان.

وحدثنا الشاعر سعيد عقل عن إيمانه بالحقيقة، وما أكثر المؤمنين بها، وإن لم يتفقوا إلا على ختام حديث سعيد، أي الإيمان بالله الحي القيوم الذي لا شريك له.

وكان حديث الدكتور كمال اليازجي بمناسبة ذكرى شيخ العربية إبراهيم اليازجي منظمًا تنظيمًا جامعيًّا، قدم له الأستاذ بكلمة عن النهضة في العصر الذي عاش فيه المتحدث عنه، فذكر من ذكر ممن عاصرهم الشيخ إبراهيم، ونسي أو تناسى الزعيم والركن أحمد فارس الشدياق الذي كان الموجه الأول لشيخنا اليازجي، والشيخ إبراهيم اعترف بذلك، لقد كان عدوًّا أدبيًّا لهم، ومن العداوة ما ينالك نفعه.

وفي ركن حديث الشهر تحدثت الآنسة سميرة عزام عن حقوق المرأة بمناسبة الانتخابات النيابية في لبنان، وكأنها كانت ترجو أن ترى ثلث نواب لبنان سيدات وأوانس ... إن مثل هذه الحقوق تؤخذ ولا تعطى.

إن شخصيات الأسبوع هي دروس نافعة للمستمعين، وخصوصًا متى كانوا من رجال الأعمال الناهضين كالسيد أنيس بيبي الاقتصادي العمراني الذي قدمه الأستاذ نجاتي صدقي، فعسى أن يتشبه شبابنا الحائر بثبات السيد بيبي وصدقه وأمانته ونشاطه، إنهم يتطلبون النجاح بين ليلة وضحاها، وإلا فإنهم يسبون الدهر، ويلعنون الحظ الذي لم يوقعهم على كنز.

أما الشخصية السودانية التي قدمها الأستاذ أبو لغد فهي تاريخ حي ناطق، وحسبك أن تسمع حديث رجل في الخامسة والتسعين، وهو لا يزال متمتعًا بحواسه وعقله.

الأقاصيص: كانت أقصوصة الأستاذ أحمد سويد بلدية قروية صارخة اللون، فيها التحليل النفسي العميق لذاك الفلاح الحائر الذي أزعجه التراكتور المزاحم لحيواناته التي عايشها فألفها، صراع شديد قام في عقله عبر عنه الأستاذ سويد بأسلوب أنيق تتطلبه الأقصوصة لتحيا وتنتعش وتسير بأقدام سريعة ثابتة نحو الهدف.

ملاحظة: أن فعل (أحنى) يتعدى بلا همزة، وإن فعل عشعش عامي، وفصيحة عشش.

النقد الثالث والستون

٢٤ / ٣ / ١٩٥٤

ألمَّ فضيلة الشيخ منصور رجب بالسيد جمال الدين الأفغاني حتى جعله ممن يعرفون الغيب.

إن ربع ساعة من الوقت لا يكفي للتعريف برجل ملأ عصره، وكان وجوده قذى في عيون المسلطين والمتسكعين في ظلال خرافاتهم وتقاليدهم.

كانت محطة الشرق الأدنى تحتفل بذكرى وفاته كل عام، أما في هذه السنة وهي الذكرى الستون لوفاته، فتتنادى الأدباء والمفكرون في الأقطار العربية وسائر الشرق الأوسط إلى عقد مؤتمر ثقافي بالقاهرة؛ احتفالًا بذكرى هذا الشهاب الثاقب الذي سطع في سماء المشرق، فأنار البصائر، ومزق الظلمات المدلهمة التي كانت تلف الشرق بمسحها الأسود.

حقًّا إن العلماء هم سراج الأزمنة، وقد كان جمال الدين سراجًا وهاجًا منيرًا — رحمه الله.

وكان حديث التشابه بين الأدبين الإنكليزي والعربي عميقًا واسعًا، فأزال عن عيون المستهزئين بأدب أمتهم تلك الغشاوة السميكة، فأفهمهم أننا فاعلون ومنفعلون، ولنا يد في تكوين الآداب العالمية، وهذا ما أشار إليه العلامة المستشرق جب الإنكليزي منذ سنوات.

إن شعراء الغرب وكتابه تأثروا بأدبنا، وأحبوا أن يتحدثوا عن الشرق بعلم وغير علم، فقال شكسبير في إحدى رواياته: إن السفن رست في حلب، كما قال شاعر فرنسي، ولعله ده هيريديا: إن جبال لبنان تدخن.

وقدمت الآنسة نور سلمان الأستاذ موسى سليمان، فتحدث عن اللغة العربية وطواعيتها، وأخذ على الطالب العربي أنه لم يعرف الحقيقة، أما ما هي تلك الحقيقة، فهذا ما لم يقله لنا الأستاذ سليمان، فليته يضع أصبعه على الدمل، ويقول: هنا العلة.

وقصارى القول أن الأستاذ سليمان فاهم إننا:

نعيب «لساننا» والعيب فينا وما «للساننا» عيب سوانا

وتحدث الأستاذ روكس بن زائد العزيزي تحت عنوان: «كتب أعجبتني»، ولكنه غالى جدًّا في وصف ما أعجبه حتى قال: «وكأنه وحي من الوحي.» بالغ ابن زائد في الإطراء، فمشي في حديثه على سنن القدماء، وكال مثلهم الثناء بالمد، إنه لم يجد في الكتب التي أعجبته غير الجمال، وهو معذور لأن عنوان حديثه: «كتب أعجبتني».

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

وكان الكتاب الذي راجعته الدكتورة سهير القلماوي مفيدًا جدًا للآباء والأمهات والمربين. عنوان الكتاب «الطفل الحر» ويقول مؤلفه: إن مهمة المربي هي أن يزيل الشذوذ، وإن التربية الحديثة هي إنماء الشخصية.

إذا صحت عند بعضهم هذه القاعدة، قاعدة ترك الطفل يركب رأسه، حتى إذا ما شجه رحنا ننصحه أن لا يعود لمثلها، فهي — في نظري — لا تصح عند الكثيرين، فأنا أرى أن لا بد من المجز لتكوين شجرة بستانية.

وفي موضوع الكتاب الذي لخصته الدكتورة سهير قلماوي تناقش الأساتذة حسني فريز وراجي عبد الهادي وفايز الغول، إنهم ثلاثتهم يضربون في التربية بسهم، فتحدثوا عن البناء الذاتي، وكان للمستمع من حديثهم فائدة ومتعة.

أما النقيب حركة، وهو شخصية الأسبوع، فقد استحق شكر لبنان، قدمه الأستاذ نجاتي صدقي فأفضى هو إلينا بجميع المعلومات المسلكية التي تهم المستمع، فأضاف القول إلى العمل الذي أشاد بذكره.

وكان حديث «بيني وبينك» بين الأستاذ محيي الدين النصولي والسيدة أمينة السعيد، وكلاهما شهير في دنيا القلم والفكر، فزود المرأة بنصائح قيمة، حلاوتها في صراحتها.

وفي روضة الشعر أسمعنا خيامنا العربي الشاعر التائه أحمد الصافي النجفي شعرًا خياميًّا من ترجمته، فجاء كأنه مشتق من روحه النبيلة.

روى الصافي عن الخيام ما ترجمته:

إذا كنت تجزي الذنب مني بمثله   فما الفرق ما بيني وبينك يا ربي

يذكرني هذا وكثير من مثله في شعر الخيام بقول مار إفرام السرياني، وهو أول من شق طريق إسقاط الكلفة بين الشاعر وربه، ولست أحسب الخيام إلا مطلعًا على شعر إفرام الذي كان معروفًا في عصره.

وسمعنا من الشاعر سعيد عقل مقطوعات من شعره الرائع، ولا شك في أنها راقت لمن سمعوا وفهموا، وعلى كل فسعيد لا يعنى إلا بالنخبة، أكثر الله منها بيننا لنتمتع بمثل هذا الشعر الصافي.

إن قصة «بين القبور» للأستاذ عز الدين المناقلي تشكو من السرد الذي يحول دون اطراد السير، فتنقلت قصة المناقلي ببطء، ولم تبلغ الهدف إلا منهوكة، فليته ينعشها ثاني مرة بتصوير شخوصها تصويرًا ناتئًا، وباللون المحلي الخاص لا العام.

النقد الرابع والستون

٧ / ٤ / ١٩٥٤

إذا فات محطة الشرق الأدنى تكريم الأستاذ محمد كرد علي في حياته، فلم يفتها أن تكون السباقة إلى تكريم ذكرى وفاته الأولى.

منذ عامين فكرت المحطة بإقامة حفلة تكريمية كبرى في بيروت لهذا الفقيد العظيم، ولما عرضتُ عليه ذلك أجاب — رحمه الله: أجلوها إلى ما بعد الوفاة. وقضى الله أن يموت كرد علي صاحب «خطط الشام» ومجلة المقتبس، ورئيس المجمع العلمي العربي، وألا نسمع صوت نابس بعد وفاته إلا صوت الأستاذ روفائيل بطي الذي سألته المحطة أن يتحدث عن فقيد العروبة والشرق.

لقد وفاه الأستاذ بطي حقه، وإن لم يكن كله فجله، فالرجل كان صديق العلم والأدب حيث كان وإن اختص الشام بالحب الشديد فكتب خططها، كان الأستاذ الرئيس كرد علي ملء دنيا العرب، فلم يدع موضوعًا فيه فائدة لأمته إلا طرقه، ولكننا نحن الذين انتفعنا بآثاره لم نكرم ذكراه التكريم اللائق بعالم عامل، حرث حقل الثقافة، وقضى ويده على محراثه.

لم تَخُطَّ يد الفقيد حرفًا إلا لغاية قومية، عاش لأمته ومات في سبيلها شهيد يراعه، لم يبالِ بالضغط الشرياني؛ لأن دم العروبة يغلي في شرايينه، فمات تاركًا لنا ميراثًا خالدًا عشرات المجلدات، أجزل الله ثوابه، وأعاض القطر الشامي علَّامة عاملًا يسد مسده.

كان الأستاذ عبد الحليم عباس صريحًا جدًّا في حديثه «خبراء في السياسة»، فأبدى آراءه بوضوح لا مواربة فيه، وإن كانت السياسة تقتضي اللف والدوران، فهل يسمح لي الأستاذ عبد الحليم أن أقول إن حديثه «أعجبني» جدًّا؟ وليته يتحفنا دائمًا بمثله!

وعقد الأستاذ رشاد بيبي ندوة نسائية مع الآنسة رشيقة العمري ورفيقاتها، ودار الحديث حول فشل المرأة في دخول الندوة النيابية، ولعل هذا الفشل كان مقدرًا، فالجلسات عندنا حامية الوطيس بدون نساء، فكيف بها متى كانت للمرأة يد فيها؟

وفي العراق عقدت جلسة مختلطة من الآنسة عالية، والأستاذين أكرم شكري وعطا صبري، فعاد بنا البحث ستة آلاف سنة إلى الوراء ليرينا المدرسة الصومرية الفنية، ويربطها بالمدارس التي جاءت بعدها، وأخذت الكثير منها مع بعض تحوير، وهكذا عرف من يهمه الأمر، تاريخ الفن منذ كان حتى الساعة. حقًّا إن المشرق بأسره متحف فني يذكرنا بقول شوقي:

هذا الأديم كتاب لا كفاء له رث الصحائف باقٍ منه عنوان

وأنشد السيد رشيد زيد الكيلاني قصيدة نونية طويلة النفس ضمنها حوادث حياته، فأنبأنا أن أباه مات، والأم كما نعلم حنون، فنشأ على هواه، وخسر كثيرًا من التربية التقليدية. وليس الشاعر الكيلاني هو أول شاعر عربي كان ضحية اليتم.

ذكر الأستاذ ابنه الذي فقده فقال في رثائه:

... وهــل يــبــرد الــحــشــا رجائي إن ألقاك في العالم الثاني؟

إنه رجاء يا أستاذ! ولولاه لا تعزية للسواد الأعظم من الناس، وقد أجاب على هذا كاتب إنكليزي حين عزوه بهذا الرجاء، فقال في معرض الكلام في قصته: إنه أحب جسد ابنه لا نفسه الخالدة، لم يضعف قصيدة الكيلاني طولها فبقيت متماسكة حتى النهاية، ولكنه أنث الفردوس لا أدري لماذا، مع أنه كان في الإمكان التذكير، فلو قال: وضمك فردوس بدلًا من «وضمتك فردوس» لجارى البلغاء، وظل بيته سليمًا معافى.

وأما قصائد الأستاذ محمد هارون الحلو فديباجة التي عنوانها «دمية» متماسكة، ولكن صورها عادية، وإن كان عنوانها دمية، أما وصف الوزة فحافل بالتخيل، جميل تشبيه الوزة العائمة بالزورق ولكن قوافي هذه القصيدة لم تكن كلها كما يجب أن تكون.

وحدثنا الأستاذ سعيد فهيم عما قامت وتقوم به الجامعة العربية من تعزيز للثقافة، ونحن نشكر لها سعيها، ولكن إذا ظللنا ولا منهج يوحدنا، وكل منا يغني على ليلاه فلا عزة للثقافة، فلنوحد المناهج العامة؛ ففي توحيدها عزتنا وكرامتنا.

وفي ركن الأدب أسمعنا الشاعر سعيد عقل أقصوصة عنوانها: «بنت الملك والشاعر»، حدثت تلك القصة في صور وفي سالف العصور، وسعيد مولع بهذه العاديات التي تنشر ميت الأمجاد لتبعث الهمة في الأحفاد، القصة طريفة قوية، ولكن بعد الشقة بينها وبين المستمعين يفقدها شيئًا من روعتها.

النقد الخامس والستون

٢١ / ٤ / ١٩٥٤

تحدث الأستاذ دوليب المهدي عن رفع مستوى التعليم العام في الشرق الأوسط، فعالج بحثه معالجة خبير، واقترح أن تذاع مناهج التعليم في الراديو لعلها تتوحد في الشرق الأوسط، ثم لم ينسَ يد الصحافة البيضاء على رفع هذا المستوى. إن كلمة رواها الأستاذ المهدي عن فيلسوف قال: إن العلم عملية تدوم طول العمر، قد ذكرتني بالكلمة المأثورة، ولعلها من صحيح الحديث: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد. إنني لا أرى شهادات هذا العصر — مهما سمت — إلا مفاتيح لدخول دار المعرفة، وبقدر كدنا نكتسب. وبعد، فماذا تنفع البرامج والمناهج إذا لم يكن لها شباب يتطلب المزيد من العلم، ومعلمون مدربون مخلصون لعملهم؟ إن مستوى التعليم لا يرتفع ما لم يقم على أكتاف المعلمين الأكفاء. ولا بد هنا من الاستطراد إلى ركن «أضواء على الشيوعية»، ففيه سمعت حديثًا عنوانه: تنسيق اتحادات الطلبة، إني أرى أن بطيختين لا تحملان في يد واحدة، فإشغال الطلاب بالشئون التي تلهي عن العلم، وخصوصًا السياسية منها، لا تلائم الطالب، بل تفسد الغاية التي دخل المدرسة من أجلها، فالعلم يتطلب الانتباه الشديد، والطالب المنضوي تحت لواء حزب ما، يفقد وعيه العلمي، وتستيقظ فيه النعرة العقائدية؛ فتطغي على واجباته المدرسية، فإذا أرادت الحكومات أن تنشئ رجالًا وجب عليها أن تَحُول لا على الأقل، بين الطلاب الثانويين، والانضمام إلى الأحزاب مهما سمت مبادئها.

إن التظاهرات والإضرابات التي يتهافت عليها طلاب اليوم تعرقل سير التعليم، فعلينا أن نضع حدًّا لهذه الفوضى إذا شئنا رفع مستوى التعليم في شرقنا وغير شرقنا،

وإذا كنا نربأ بأبنائنا أن يكونوا مطايا للسياسيين، وهذا هو سبب تدني المستوى التعليمي، ليس في شرقنا الأوسط فحسب، بل في جميع أقطار المسكونة.

وكان حظ الزجل كبيرًا إذ تحدث عنه في ندوة الشرق الأدنى الأستاذ الكبير الدكتور جبور عبد النور الذي درسه زمنًا، وكان موضوع أطروحته لنيل الدكتوراه، وساجله في هذا المضمار دكتور أديب هو علي سعد، وشاعر مجيد هو الأستاذ أحمد أبو سعد. أرَّخ الدكتور جبور عبد النور الزجل اللبناني وذكر خصائصه، واعترف الشاعر أبو سعد، وهو صاحب ديواني «حمم» و«قصائد دافئة» بتقصير الشعر الفصيح عن العامي، فقلنا: وشهد شاهد من أهله … وقال الدكتور علي سعد: إن الشعر العامي سائر إلى الالتقاء بالشعر الفصيح، وإذا صح ما زعمه الدكتور كانت تلك الساعة نهاية الشعر العامي، إذ يفقد هذا ميزاته ولونه، ولا ينتفع ذاك من هذا اللقاء، بل تخسر اللغة العربية لونًا أدبيًّا طريفًا حلاوته في سذاجته.

فليت كل من تسألهم المحطة أن يتحدثوا عن أدبائنا الغابرين يدرسونهم بهذا العمق الذي رأيته في حديث الدكتور عبد النور، فقد سئمنا سير الحياة، وخصوصًا تلك التي لا جديد فيها.

ورأت السيدة أمينة السعيد، في باب «ماذا لديك»، أن الزواج هو خاتمة المطاف عند الرجل، أي بعد فراغه من المغامرات … وإن في استطاعة الإناث وحدهن، أن يضعن حدًّا لتلك المغامرات بأعراضهن، وتقصير زمن الخطبة الذي يفسح أمامه في المجال متى طال، وكثيرًا ما يؤدي إلى نقض ما أبرم من عهود.

وألقت الآنسة روز غريب حديثا بمناسبة عيد الفصح عنوانه: «جبل الزيتون» فكان مطلعه أنيق العبارة، ثم ألمت، تقريبًا، بجميع تعاليم المسيح. أما جبل الزيتون فكان حظه من الكلام قليلًا، ولعله من باب تسميه الكل باسم البعض.

وكان للفصح حظ من الأقاصيص، فكتب الأستاذ عبد الحميد … أقصوصة فصيحة كانت أقرب إلى الحديث منها إلى القصة، وترجم الأستاذ مبارك إبراهيم قصة طريفة «الوهم»، فكساها حلة بيانية جميلة، أما قصة الأستاذ نجاتي صدقي فكانت محلية وافية الوصف الجميل للمحيط والشخوص، ولكنني استكثرت على قروي لبناني أن يروي لابن أخيه، وعن ظهر قلب كلامًا كثيرًا من سفر نشيد الأناشيد … وعلى كل حال إنها أقصوصة جيدة، وميزتها أنها لا تصلح لكل مكان كأكثر الأقاصيص التي تذاع، وهذا من عيوب الأقصوصة.

النقد السادس والستون

٢ / ٥ / ١٩٥٤

كان الأسبوع الفائت أسبوعًا ثقافيًّا محجلًا في الجامعة الأميركية، وقد ألمَّ الدكتور إسحاق موسى الحسيني في حديث الشهر بتاريخ هذا المؤتمر السنوي الجليل، ملخصًا بحوثه السابقة في دوراته الثلاث، وحاثًّا على استمرارها لتكون للعرب حياة. وكان من حسن نشاطي أن حضرت جميع الجلسات؛ فعرفت جو الجامعة عن كثب، وخلصت إلى القول: إن جامعة بيروت الأميركية هي الباب الأكبر لهيكل العقل والمعرفة في شرقنا الأدنى.

وكانت جلسة ندوة الشرق الأدنى في مصر، ودار موضوع بحثها حول مسئولية الأديب، هذا الموضوع الذي كثر البحث فيه هذا العام، وكان محور المناقشات في مؤتمر الجامعة الأميركية، أما أنا فأظن أن المسئولية تختلف باختلاف الشخصيات، وليس لنا أن نقول لأديب اكتب في موضوع كذا.

وشخصية الأسبوع كانت الدكتور نخو النطاسي الأخصائي بمرض السل، وقد أعجبني من هذا الحكيم أنه لم يفزع المستمع من ذلك المرض.

وفي ذكرى الشاعر عبد المحسن الكاظمي تحدث الأستاذ عبد العزيز عريقات فكان محللًا للشاعر الكبير لا متحدثًا عن سيرة حياته، وهذا لعمري خير ما يفعل في هذه المناسبات، قال الأستاذ عريقات: وأحسب أنه — أي الكاظمي — لو تمتع بشيء من الراحة لكان من أمره غير الذي كان. فلو قال الأستاذ: لو تمتع الكاظمي بشيء من

الثقافة الغربية لصح القول، أما القلق والشقاء والألم فهي عناصر مثيرة لقرائح الشعراء والكتاب، وإني أتمناها لكل من يرجى خيره الأدبي.

وتحدث الأستاذ فؤاد صروف عن شاعر الهند إقبال في حصاد الفكر العالمي، فكان كعادته حاصدًا ماهرًا قوي الساعدين، حاد المنجل في حقل الأدب كما كان في حقل العلم؛ إنه لم يتخلَّ عن علمه في بحثه الأدبي، فتحدث عن إقبال كشاعر عالم متصوف، فرأينا أن الشعر يستوعب كل موضوع إذا كان قائله ملهمًا مبدعًا لا ناقلًا.

ومن أحاديث الصباح أحب أن أعيد نكتة جميلة من حديث صباحي عنوانه: «الشكر والصبر». قالت امرأة جميلة لزوجها البشع القبيح: آمل أن ندخل الجنة معًا، أنا ابتليت بك فصبرت، وأنت أنعم عليك بي فشكرت، وللصابر والشاكر أجر عند ربهما.

وفي ركن الأدب حدثنا الشاعر سعيد عقل عن شكسبير واللبنانية مارينا، فأثار عندي قضيتين؛ الأولى: اللغة العامية التي قال: إن شكسبير كتب بها متحديًا اللاتينية لغة الأقلام، فكأن سعيدًا إذ يذكر هذا يريد أن يعللنا بمستقبل العامية عندنا، وأنا أرى غير ما يراه.

والثانية: هي أن شكسبير قدس طهارة مارينا، ولطهارة مارينا حكاية طريفة في التقليد الماروني اللبناني، فهل عرفها سعيد وشكسبير يا ترى؟

تقول أسطورتنا: إن مارينا تنكرت بثياب رجل ودخلت دير الرهبان باسم مارينوس، وبعد حين اتهمت بريبة، فكان قصاصها أن تربي الطفل فربته، ولما توفي مارينوس عرف الرهبان أنه راهبة لا راهب، فأكبروا صبرها وطاعتها. أنا لم أقرأ قصة شكسبير لأجلو الظن، ولكني أعرف أن شكسبير كان يتوخى مثل هذه العناصر المشرقية، فليحقق الأستاذ عقل هذه الرائعة الشكسبيرية التي تحدث عنها على هذا الضوء إذا شاء.

الأقصوصات: كانت أولاها للأستاذ سليم باسيلا، وهي حافلة بالتعابير الأنيقة والتصوير، لا ينقصها إلا السير الفسيح الخطوات نحو الهدف، وبعكسها كانت قصة «أشجان عيد» للآنسة أمينة قطب؛ فهي ترمي إلى هدف يرينا أن البنت صندوق مقفل كما يقول مثلنا، وأن الخل لا يعود خمرًا، فبينا كانت بطلة الرواية تظن أنها تشفي من اختارته قرينًا، إذا به يجرها إلى مهاوي نقائصه، وقبض عليهما معًا في نادي القمار، فلو تم لهذه الأقصوصة جمال التعبير وبراعة السرد لكانت في المستوى الرفيع.

روضة الشعر: أنشد الأستاذ أحمد الشريقي قصيدتين: أولاهما: عاطفية رشيقة، والثانية: ميمية رصينة متينة شديدة الأسر، فكأن الشاعر راعي النظير في الأخيرة، وموضوعها المتنبي، والكلام في المتنبي يستدعي شدة وقوة؛ لأنه شاعر القوة.

وأسمعنا الأستاذ خليل الخشالي الشاعر العراقي قصيدة رائية متأججة العاطفة، طويلة النفس، تدل على طبع فياض وأسلوب أنيق، وكذلك قصيدة «الفتنة السمراء» فهي ليست أقل فتنة من الرائية، وإن كانت قوافيها أقل غنى وروعة.

النقد السابع والستون

١٨ / ٥ / ١٩٥٤

قابل الأستاذ حسني فريز في حديثه «الآباء والأبناء» بين السلف الصالح والجيل الطالع، وذكر الإمام علي بن أبي طالب الذي كان يخصف نعله ويحمل حوائجه، فذكرني بذاك الشاب الذي كان يفتش عن حمال ينقل له حاجة صغيرة إلى بيته، فتقدم منه جورج واشنطن المتنكر وذهب بتلك الحاجة وسلمها لأم الشاب قائلًا: قولي لابنك: إن عتاله كان جورج واشنطن، ثم دفع لها الأجر الذي أخذه من ابنها.

وحدثنا الأستاذ أنور أحمد عن أثر المرأة في حياة كبار أدبائنا، فإذا ببطلة قصة «عودة الروح» لتوفيق الحكيم هي بنت الجيران، وإذا بتلك الرواية التي قامت عليها شهرة الحكيم هي ثمرة حبه الأول، كما أن حبه الثاني كان في باريس، وبرزت صورته ناتئة في «عصفور من الشرق»، ثم ذكر العقاد في قصته سارة، والصاوي في «حياة قلب»، والرافعي في «رسائل الأحزان» و«أوراق الورد».

ألا رحم الله مي التي أثرت في الكثيرين ثم ذهبت هي ضحية واحد …

وكان حديث الأستاذ إسماعيل الحبروك في ركن «بيني وبينك» نافعًا للأمهات والآباء معًا، فدراسة الولد وسياسته ومعاونته في شق طريقه نحن أحوج ما نكون إليها؛ لأن الأطفال هم نواة المجتمع وشجيرات الروضة الإنسانية، فإذا ما أحسنا سياستهم وتوجيههم خلقنا ناسًا في أحسن تقويم، وحسنًا قال الصاغ أركان حرب كمال الدين حكيم لمقدمه الأستاذ محمد علوان في ركن شخصية الأسبوع: إنه أول ما يُعنى به هو تربيته بنيه، ولو أن كل واحد قد فعل فعله لخدم وطنه أجل خدمة، فالوطن برجاله.

وتحدث الأستاذ رافائيل بطي عن الصحفي العراقي إبراهيم صالح شكر وأسلوبه، فعرَّفنا بشخصية أدبية كنا نجهلها، فهل لي أن أسمي الأستاذ بطي محيي الموءودين بعد ما رأيت من عنايته بمن لا يذكرهم أحد؟

أما أطرف الندوات، فكانت ندوة الكاتبة المجاهدة السيدة أمينة السعيد، كانت تلك الجلسة حملة شعواء على الرجعيين المقاومين لحقوق المرأة. أدلت السيدة أمينة ورفيقتها بالحجج الدامغة التي تؤيد تلك الحقوق، حتى إذا أدت بهن خاتمة المطاف إلى الطلاق رفعت السيدة أمينة السعيد الصوت جهرة مطالبة بالتعويض للمرأة متى طلقت عملًا بقانون العمال والموظفين ... إنها صرخة مؤلمة، والجمرة لا تحرق إلا في موضعها كما يقول المثل عندنا ...

فإلى السيدة أمينة أقول: إلى الإمام، وإذا لم تفلحي في صومتك الأولى فتذكري أن دودة القز تصوم أربع مرات لتكسو الناس خزًّا وديباجًا ...

وأقصوصة الآنسة أنجل عبود حسنة السياق لولا أن الآنسة كانت تجعل نصف الجملة من الفصيح، والنصف الآخر من العامي، «دخلك يا ستي، كما يساوي هذا الكتاب»، فالحوار إما أن يكون فصيحًا كله أو عاميًّا كله، وليس طريفًا أن تتكلم الخادم بلغة العوام، وتجيبها سيدتها بلهجة خواص الخواص.

أما شعر الأستاذ عبد النور إبراهيم فكانت قوافيه من التعابير الجاهزة، لا تبقي ولا تذر، وفي خدها صعر، وفي الجملة كان الشاعر شديد التأثر بالقديم، فجاء نسجه شديد الأسر، ولكن الخيال فيه نادر.

النقد الثامن والستون

٢/ ٦/ ١٩٥٤

كان لرمضان المبارك حظ وافر من المنهاج، فمن جلسات عقدتها ندوة الشرق الأدنى إلى أحاديث فيها العبرة والذكرى، وقد كان حديث الأستاذ محمد قدورة أنيق العبارة بليغها، فبرزت فيه الأفكار على عتقها وقدمها كأنها جديدة، ولهذا قيل: إن من البيان لسحرا.

أما الجلسة التي عقدها الدكتور محمد صلاح الدين والغزالي، فكان لابن الرومي الحظ الأوفر منها، كما في العام الفائت، فهذا الشاعر النهم الذي لا يصبر على الأكل لا يستغرب منه هجو شهر الله.

وهناك موسم آخر هو مؤتمر الدراسات العربية الذي كان حديث الشهر كله، فهذا الأستاذ خليل هنداوي يتحدث عنه وعن نشاط الفكر في شهر نوار، فيلمُّ بكل ما حدث في دمشق وحلب والقاهرة، ولم ينسَ حديث الدكتور طه حسين عن أدبنا القديم وإرادته جعل الأدب إنسانيًّا.

يا مصيبة الأدب! فكل واحد يريد أن يحوله في مجرى، مع أن الأدب لا يعرف القيود، وليس لنا أن نكلف الدكتور طه أن يقول ما نريد، بل من حقه هو وحده أن يقول ما يريد بشرط أن يخرج أدبًا يبقى، فالجاحظ حين تحدث عن الذبان والقاضي ابن سوار، وعبد الرحمن آكل الرءوس، وفلان صاحب العقار ونضاله مع المستأجرين، لم يفكر في الإنساني وغير الإنساني، وأدب نشيد الأناشيد، وهو حديث قلب خالد أين نضعه يا ترى؟

وفي جلسة ندوة الشرق الأدنى في بيروت تحدث الدكتور نقولا زيادة مع الأستاذين تيمور وجبور حول محاضرتيهما في مؤتمر الدراسات، فلفت نظري قول أحدهم: إن «في

الصيف ضيعتِ اللبن» قصة عريس رُفض، مع إنها قصة زوج شيخ أبغضته زوجته فطلقها وتزوجت فتى جميل الوجه، وأجدبت السنة فبعثت المطلقة إلى زوجها الأول تطلب ناقة حلوبًا، فأجابها: في الصيف ضيعتِ اللبن؛ لأنها طلقته في ذاك الزمان.

وبعد، فالمثل لا يعد قصة، والقصص موجود عندنا، ولكن في زي غير أزياء اليوم، والأزياء تتبدل دائمًا، وقد يأتي زمن تعد فيه قصص اليوم كما تعد المقامات وقصص التوراة.

وتحدث الأستاذ نقولا شاهين عن القنبلة الهيدروجينية فكان حديثًا جامعًا للتاريخ، والتعريف بالطاقة والذرة والكهرب؛ فأفاد المستمع الذي بات ينتظر قنابل أقوى كما وعده الأستاذ.

وتحدث الأستاذ سعيد عقل في ركن الأدب فألم بفعل الخلق، والهو وما هو، ومثل المرآة، وخرجت أخيرًا من هذا الحديث، وأنا لا أدري إذا كان سعيد عقل يريد أن «يؤدب» الفلسفة أو يفلسف الأدب!

وتحدثت الشاعرة نازك الملائكة إلى الآنسة فوزية ... التي قدمتها شخصية أسبوع، فقالت نازك إنها ساهمت في تجديد الشعر المعاصر، فإذا كان التفلت من قيود القافية والوزن تجديدًا في نظر بعضهم، فهو عندي رجوع إلى قديم لم يطل عمره، وأقول للشاعرة نازك التي استغنت عن عتيقها: إن جديدها لا يبقى لها، فهي شاعرة «عاشقة الليل» فحسب.

وقالت الآنسة لمحدثها: إنها تكتب القصيدة بجلسة ولا تنقحها، فليتها تنقح وتنقح ليبقى شعرها، فالفن عمل وجهد مستمران.

وفي حصاد الفكر العالمي تحدث الدكتور حكمت هاشم عن اللذة، وذكر أندره جيد، وقد عجبت كيف نسي أبو نواسنا مع أنهما صنوان، وفرسا رهان في هذا الميدان ...

والأستاذ عصام حماد قال شعرًا كالرمزي، ولكنه لم يوفق كثيرًا إلى الألفاظ التي توحي.

أما قصة «زوجتي لورا» للدكتور علي سلمان، فتعبيرها عربي لا ينم عن ترجمة، بينما نرى حوادثها تشير إلى غير ذلك، أراد الدكتور أن يقول كل شيء فأساء إلى قصته، مع أن عمل القصصي هو أن يشذب الزوائد، ويعنى بتصوير المكان والشخصية، وهذا ما أقل منه الدكتور حتى إننا لم نعرف من لورا غير أسمها. وقصة «الصورة الضائعة» للدكتور ... وصف لحالة شبابنا في باريس حيث تتكاثر الظباء على خراش ... وإني

لأعجب كيف يتعلم شبابنا في مدينة النور إذا كانت هذه حالهم. القصة حكاية حال، وما أكثر الحكايات التي هي من هذا الطراز.

وفي ركن «أزواج أمام الميكروفون» أقول للآنسة سميرة عزام: إنه إذا جاز لها أن تتحدث مع الآخرين باللغة العامية فلا يجوز لها ذلك مع الدكتور جبرائيل جبور رئيس دائرة العربية في الجامعة الأميركية، فآمل أن تراعي فيما بعد مطابقة مقتضى الحال.

النقد التاسع والستون

١٥ / ٦ / ١٩٥٤

فؤاد صروف شخصية عام لا أسبوع، فهذا الدماغ المنتج الذي يفيض علمًا وأدبًا وتفكيرًا لجدير بأن يقدم للجمهور الناطق بالضاد، وإن كانت المقتطف والمختار قد حملتا علمه وأدبه إلى كل قطر، فإن كتبه العديدة عبرت عن شخصية تكونت على مرِّ السنين من خلاصة العلم. إن للبيت الشرقي يدًا كبرى في تكوين الشخصية، وبيت صروف بيت علم عريق؛ فهو الذي نشره في البيت العربي يوم كان من يحسن الاطلاع على العلم في مصادره الأصلية نادرًا جدًّا.

أما كتابه «على الطريق» الذي اتخذ مناسبة لتقديمه شخصية أسبوع فهو سراج للذهن، وما كان ليفوت الأستاذ صروف أن يضيء سراجًا في هيكل العلم كل أسبوع، فشكرًا لمحطة الشرق الأدنى التي تعرفنا دائمًا إلى شخصيات فذة، كالأستاذ صروف الذي هو خير قدوة لشبابنا المتحفز للوثوب.

وفي ركن «مع العاملات» أعجبني نقد إحداهن للمدرسة؛ لأن المعلمين والمعلمات لا يرغبون في الدرس، ولهذا نفرت تلك العاملة من مدرستها، وانصرفت إلى العمل.

لقد أحسنت يا أختاه، فالعمل نتيجة كل درس، وما عليك إذا اختصرت الطريق.

وفي حديث «خواطر في العيد» أحسن الدكتور إسحاق موسى الحسيني شرح مشاعر الإسلام ودعائمه، ومغزى الصوم والعيد والصلاة والمحرمات، فأفهم المستمعين أن العيد ليس أكلًا وشربًا ولبس جديد، بل بر وإحسان ومعروف.

أما «رسالة الزعيم» للأستاذ محمد أديب العامري، فذكرتني برسالة عبد الحميد الكاتب لولي العهد، وقد كان أولى بعنوانها أن يكون «صفات الزعيم» لا رسالته، أحسن الأستاذ العامري حين أطلق لقب «مهندس الأفكار العامة» على الزعيم، وقديمًا قال ابن المقفع في رسالة الصحابة: ومتى صلح الإمام اصطلحت الرعية. أما أمثال بلدوين الذي أوصى بقسم من ثروته للأمة فليتنا نفوز بواحد من هذا الطراز؛ فيشق الطريق لزعماء الشرق.

وشاء الأستاذ عبد اللطيف شرارة أن يتحدث عن حقيقة الصوم والفطر فلم يوفق في حديثه توفقه في أحاديثه الأدبية وغيرها، ويا ليته حدثنا فيما يحسنه.

وقال الأستاذ فايز الغول: إن الجاحظ كاتب واقعي؛ لأنه لم يشبه ولم يستعر، وإنه كان يدوِّن ما يرى، كما فهمت من حديثه، فأنا أرى أن الجاحظ خلاق، وهو كالقصصي يلتقط قصته، ثم يصنع شخوصها في معمله فتخرج منه وعليها ماركة الجاحظ المسجلة التي لا تقلد. ليس الجاحظ في واقعة مصورًا شمسيًّا، ولكنه رسام يدوي ينفخ روح فنه في شخصه فتحيا إلى الأبد. فليس عبد الرحمن وابن سوار إلا من مصنوعات الفابريكة الجاحظية.

وفي روضة الشعر خرج الأستاذ موسى الدجاني على المألوف، فعرفنا بشاعر الروضة الأستاذ حسين غناي. الأستاذ شاعر ولكني رأيت، بل سمعت اضطرابًا في «عروض» قصيدته «عمر المختار» كقوله مثلًا:

إذا عد عمرو وابن الوليد وعقبة ثم صحابته
فقول الكتاب له مبدأ وصوت السلاح سياسته
وعلمهم أن وكر النسور حرام على البوم وطأته

أما قصيدة «أشواق ولقاء الحبيب» للآنسة مقبولة الحلي، فأخال أنني سمعتها من قبل، وقد يكون في الدنيا خداع السمع كما يوجد فيها خداع البصر.

وكذلك قصة «مفاجأة» للأستاذ كمال منصور، فقد سمعتها أيضًا، وأقول فيها الآن: ختامها جيد، وهو الذي أعادها إلى ذاكرتي، لقد أحسن منصور توجيه حكايته إلى الهدف بزخم، فجاء الختام صاعقًا رائعًا، كما أحسن أيضًا تحديد شخصية نوال بطلة القصة، والتعبير جيد أيضًا لولا تلك العبارات العتيقة مثل: يشار إليه بالبنان، وعلى أحر من الجمر، وغيرهما. إن التعابير البلاغية التقليدية خطر على الفن، فكثرة تكرارها صيرها

مبتذلة، وإلى جانب هذه العبارات البلاغية عبارات غير فصيحة كقوله: اطمئن على أنها، ففعل اطمأن هذا يتعدى بإلى، وكقوله أيضًا: عاودت أدراجي، والصواب عدت.

أما قصة الأستاذ زهير ميرزا فجيدة التكوين والقص، وإن كانت سندبادية من طراز حديث.

النقد السبعون

١٩٥٤/٦/٣٠

مباركة كانت تلك الساعة التي دعا فيها فخامة الرئيس الدكتور شمعون، الأستاذ عبد الله المشنوق لمرافقته في تلك الرحلة السعيدة، فلولا تلك الدعوة لم نقرأ تلك الفصول الطريفة في بيروت المساء، ولم يكن هذا الحديث الممتع في محطة الشرق الأدنى التي لا تفوتها مناسبة. حدثنا الأستاذ عبد الله عن تلك الأم المنجبة، أم السبعة، وكلهم عظيم، كما قالت بنت الحوشب في بنيها، ثم صور لنا أميركا الجنوبية وعظمتها، وبروز الجالية اللبنانية فيها حتى لم نعد نستغرب قول الأستاذ: إنه لم يُحتفَ برئيس بلاد قط كما احْتُفِيَ بالدكتور كميل شمعون، فالمرء يعز بقومه، وجماعتنا هناك أعزة، كل ما أعلنه الأستاذ يفرح ويسر إلا نبأ تقهقر لساننا العربي هناك، والخوف من توقف العصبة الأندلسية كما توقفت من قبل مجلة الأندلس الجديدة.

وفي السودان عقدت جلسة أدبية أدارها الأستاذ مبارك إبراهيم، فكان فيها موجهًا بارعًا، له نقدات صارمة، فجاءت تلك الجلسة فريدة في اتجاهها الجديدة، الشعر الذي أنشد فيها كان ينظر إلى القديم تفكيرًا وتعبيرًا وصورة، ولكن العاطفة الحارة فيه أدبَّت إليه الحياة، أظن أن تلك التعابير العتيقة مثل: شالت نعامته، كما قال أحدهم، لا توحي إلينا اليوم شيئًا، وأحسب أن شاعر اليوم ينطق بها ولا يحسها، فهي لا تملأ الفراغ الذي سدته في الأمس البعيد.

قال أحد شعراء الجلسة بيتين رائعين في السواد، ولعل صباغه محكم لا ينصل، قال: إن سواده رمز حداده، فذكرني بمحمد إمام العبد الذي أجاب من لامه على تركه الزواج بقوله:

أنا ليل وكل حسناء شمس فاجتماعي بها من المستحيل

لقد كانت للسواد يد على خيال الشعراء منذ عصر عنترة حتى اليوم، كما كان البياض أيضًا خالقًا صورًا شعرية شتى، ومنها هذه الصورة:

إذا كان البياض لباس حزن بأندلس فذاك من الصوب
ألم ترني لبست بياض شعري وذاك من الحداد على الشباب

والشعراء في كل واد يهيمون.

وتحدث الأستاذ ربحي كمال عن اللغة والأدب، فقال: إن الثروة اللغوية ضرورية للكاتب والشاعر، إن هذا صحيح ولكن نحن أشد حاجة إلى من يحسنون انتقاء تلك الألفاظ، ويحكمون القران بينها، حدثنا الجاحظ في بيانه وتبيينه أن العرب قالت بمن لا قران بين كلامه: كلامه كبعر الكبش.

إن الثروة اللغوية ضرورية، وإنما الشرط الأول في تلك الثروة هو أن تكون مما ينفق في سوق هذا العصر، كان أناتول فرانس في آخر عمره يطالع المعجم القديم، ويرى في الكلمات كائنات حية، ولكن بين هذه الكائنات ما يجوز لنا أن نبعثه حيًّا، ومنها ما يجب أن يظل مقبورًا، ليست الكلمات في التأليف إلا رفيقات سفر، وشرط المرافقة الموافقة.

وفي حديث الشهر روى الأستاذ أبو سعد ما قاله تيمور وغيره حول عمل الأديب أن رسم الخطط هين، أما العمل فصعب، ناهيك أن الأديب — شاعرًا كان أم ناثرًا — لا يرشد إلى ما يعمل.

والأستاذ محمد العثمان تحدث عن جو الأدب، وثار على تلك الألقاب الفارغة التي نتمنطق بها منذ سنين فنقول: أمير الشعراء، وشاعر الأقطار العربية، وشاعر النيل … إلخ.

نعم يا سيد عثمان، إنها أفرغ من الطبل، وها هي قد ماتت ولم يبق لأصحابها بعدها إلا ما لهم من الشعر الصافي، إن التاريخ هو ذلك القاضي القديم الذي لا تعرف محكمته المحاباة.

وحدثنا الدكتور محمد يحيي الهاشمي عن طفل نبغ في الرياضيات وهو في العاشرة من عمره، فكان لا يستعين بالورقة والقلم حين يحل عملًا، لم أستغرب ذلك لأني رأيت بعيني مثل هذا الفتى، كان عندنا ولد مات في الحرب الأولى جوعًا، وكان يسبق الرياضيين المستعينين بقراطيسهم وأقلامهم، فكم من نوابغ عندنا كان حظهم رعاية البقر، ثم ماتوا وما عرف أحد ما مات معهم من عبقرية.

ليس «سر العصفورة المنتحرة» للأستاذ سعيد عقل إلا قصة، أقول هذا لأن قارئ منهاج المحطة كان ينتظر أن يسمع في ركن الأدب حديثًا عنه من أحد أركانه، إنها لقصة فنية جميلة جاء جمالها في تلك الحالة الأرجوانية التي كساها إياها سعيد، وإن كان لم يعجبني منه وهو يكتب قصة أن يقول: إن زوجه ماتت، أليس على سعيد — وهو من دعاة العامية عندنا — ألا ينفر من فصيح العوَّام ويقول زوجته؟

وقال الأستاذ رشيد زيد الكيلاني شعرًا في الغزل والحكمة، ولعل قصيدة «العصافير» أجود ما أنشدنا، كما أن هذا البيت الذي علق بذاكرتي هو أجود بضاعته الغزلية:

مولاتي الحسناء لي قلب وليس لي اصطبار

الصبر مفتاح الفرج يا سيدي، وعسر النساء إلى مياسرة كما قال بشار، الخبير الفني.

كانت قصة «مالك الحزين» خير أقاصيص هذه الفترة، كتبها الأستاذ أحمد سويد في أسلوب طريف، التصوير بارع تام، ولكن في الأستاذ رغبة ملحة في جمع المقابح ليدمغ بها أبطاله أشد من رغبة هواة طوابع البريد، وهو أيضًا يتكلم دائمًا عن بطله، ولا يترك له مجالًا ليعبر عن نفسه، ولعل هذا من خصال المحامين …

إني أتمنى على المحامي أحمد سويد أن يستوحي عمله، فكم في المحاكم من قصص تعرض كل يوم، وفيها لأصحاب الأقلام مرعى خصيب، ونحن إلى هذا اللون القصصي مفتقرون.

النقد الحادي والسبعون

١٢/ ٨/ ١٩٥٤

أنشد الأستاذ فؤاد عباس في روضة الشعر مطولة رائية جيدة، أنعشها تنوع مساقها، والتفاتات تسترعي انتباه المجتمع، ثم تلتها لامية في البحر عينه، ولكنها دون الأولى جودة.

أما الأستاذ عبد النبي عبد القادر مجداوي فجمع في قصيدته التائية قوافي لا تلاؤم بينها كقوله: أناتها، وضيعتها، وحياتها، وطلقتها، وحطمتها، وهذا من عيوب القوافي، فالشاعر الذي يؤسس قصيدته على الألف لا بد له من التزامها في القصيدة كلها، وهذا العيب يسمى سناد التأسيس، فشوقي على رغم إبداعه ووثباته إلى أعلى ذرى الفن في تائيته «لبنان» لم يغتفروا له سناد الردف حين جمع بين قوته وملكوته، وقنصته وزخمته.

وتحدثت السيدة صفية فراج عن المرأة المقلدة، وحسنًا صنعت؛ لأن التقليد آفتنا، وقد كرهه العرب فضربوا المثل بالغراب والقطا، فقال شاعرهم في ذلك:

إن الغراب وكان يمشي مشية	فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطا وأراد يمشي مشيها	فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها	فلذاك سموه أبا مرقال

نعم، لقد أفقدنا التقليد لوننا فصرنا لا غربيين ولا شرقيين.

وفي ركن الأدب تحدث المحامي فؤاد طرزي عن المذاهب الأدبية في الأدب الغربي، فلحن كثيرًا حتى خلت أن العجمة قد سرت إليه من موضوعه، ومما أذكره من لحنه جره كلمة أقاح بالفتح، فكأنه حسبها ممنوعة من الصرف؛ لأنها من صيغ منتهى الجموع، وهي ليست منها، أما البحث فليس فيه إلا ما يعرفه كل متأدب.

والأستاذ حسني فريز ارتفع في مطلع حديثه عن «المتاعب» إلى ذروة عالية من البيان، ولكنه مشى على الطريق المعبدة حين تبسط، وقد أحسن حين قال: «إن القوى العادية لا تستطيع أن تأمر الجفن بالمنام، ولا القلب بالهيام، ولذلك تظل القوى الروحية هي السائدة.»

لا أدري إذا كان هذا من كلام الشعراء لا العلماء، فأنا غير متضلع من هذا الموضوع لأشايع الأستاذ حسني على تعظيم شأن القوى الروحية، والشعور بتأثيرها الغريب في مجاري حياتنا.

ولخصت السيدة أسمى طوبي كتاب «نساء صغيرات» فأحسنت عرضه على الناس، وإن كان مثل هذا التلخيص يعرفنا بالفكرة لا الفن، فكم من فكرة يبدو جمالها حين يحسن عرضها على الناس، فتلخيص الأثر الفني — وخصوصًا ما اعتمد منه على الأسلوب — يشوِّه ذاك الأثر، ويعفي معالم حسنه، وإذا كانت روائع الروايات الملخصة في كتاب تفقد الكثير من ملامحها الفنية، فكيف بكتاب يلخص في ثلاث صفحات أو أقل؟ ليس هذا النقد موجهًا إلى السيدة طوبي التي قامت بعملها على وجهه الأتم، ولكنه كلام موجه إلى السامع لئلا يكتفي بهذا الصندويش الذي لا تستطيع المحطة أن تقدم أكثر منه.

وتكلم الأستاذ محمد أحمد الحناوي في ذكرى الإمام محمد عبده وتلميذه المنفلوطي، فبذل جهدًا موفقًا في التعريف بهذين الجهبذين حتى جاء إيجازه غير مخل، وكان شيخنا الأستاذ عبد الله العلايلي شخصية أسبوع بمناسبة صدور كتابه المعجم، فأفاض الأستاذ العلامة في التعريف بكتابه الفريد، وجلا بعض ما غمض على الأدباء من دقائق هذا الكتاب الفذ، وكما قدم الأستاذ أسامة عانوتي الشيخ عبد الله، كذلك شارك الأستاذين محمود تيمور وعبد الله المشنوق في طوافهما حول الأقصوصة، قال الأستاذ مشنوق: إنه لم يكتب القصة، وقد نسي أنه يكتب قصتنا، يوميًّا في بيروت المساء، وبأروع أسلوب قصصي، ناهيك أن الأستاذ عبد الله عينه هو أروع قصة حية، قال الأستاذ عبد الله، أو غيره: إن محمود تيمور هو رائد القصة الأول، مع أن جبران كان أسبق إليها منه، ومن أخيه محمد أيضًا.

لم أتعجب من تعجب تيمور حين سمع الأستاذ المشنوق يطري مضيرية بديع الزمان، فقد رأيت من تيمور ما هو أدهش، سمعته يحشر أحمد فارس مع ناصيف اليازجي ويعده من كتاب المقامات.

وفي عرض الحديث قال تيمور: إن قصتنا تأثرت أولًا بالأدب الغربي ثم استقلت، فهل نسي أن الأدب الروسي تأثر أولًا بالأدب الفرنسي، وإن كبار قصاصي الروس كانوا مقلدين لأولئك؟ إن الأديب يولد أديبًا؛ ولكن المطالعة تجلو عرقه الأصيل، وتوقظ ما كمن في ذاته من أسرار فنية، فلا نتعب أنفسنا في السؤال كيف نكتب القصة.

وفي قصة «في السينما» أكثر الأستاذ محمد روحي فيصل من القول: «كما ستعلم في نهاية القصة.» مع أن القصصي لا يشير كالمؤرخ إلى مثل هذا، إنه يقص فقط، وليس عليه أن يدل أحدًا على شيء.

وقصة الأستاذ إسماعيل الحبروك لا يشينها غير اللحن في قراءتها، فحبكتها وسياقها، وتطور الموقف جيدة كلها.

قالت امرأة بطل القصة: إنها تقتل من يخون زوجته إذا رأته متلبسًا بالجريمة، وحين رأت زوجها كالمتلبس بالجريمة لم تفعل شيئًا، حسن جدًّا أن نجنح بالأبطال عن الطريق المرسوم إلى حيث لا يظن المستمع، وأحسن منه أن نصور العراك النفسي كما رأيناه في ختام قصة الحبروك.

وفي سلسلة «المرأة في حياتهم» روى الأستاذ أنور أحمد عن إبراهيم لنكولن أنه قال لمهنئيه: هنئوا أمي.

وإني أقترح على الأستاذ أنور أن يتحدث عن المسيئات أيضًا، ثم لا ينسى أن يقف على رأي لنكولن في زوجته التي رشقته بكوب الشاي المغلي …

النقد الثاني والسبعون

٢٨ / ٧ / ١٩٥٤

الشعر والقصة هما شغل الأدباء الشاغل، سهل جدًّا على الأديب والمتأدب أن يعالج بحث المقاييس، ولكن العمل صعب، ولذلك قال المثل: الحرب في النظارات هينة، إننا محتاجون إلى من يعمل، لا إلى من يرشد الشاعر والقصصي إلى ما يعمل، فلو حاول أعظم مهندس أن يبني مدماكًا واحدًا في قصر وضع هو تصميمه الرائع لبدا له ضعفه تجاه ذلك البنَّاء الأمي، فإذا أردنا أن يكون لنا قصص رائع وشعر رفيع، فلنحاول النظم والكتابة غير مبالين بما يرسمه لنا هذا وذاك من خطوط، فالفن يولد ثم يقاس عليه.

أقول هذا بمناسبة جلسة عقدت برئاسة الدكتور ضيف، وبحثوا فيها موضوع تحديد الشعر. سمعتهم يتحدثون عن الأوزان، ويقيمون لها وزنًا كبيرًا، حتى ذكروا أن الأستاذ رئيف خوري نظم قصيدة على عدة أوزان، وأنا أذكر منذ نصف قرن تقريبًا أن شيخ العربية المعلم عبد الله البستاني عمل مثل هذا الكوكتيل في رثاء الشيخ إبراهيم اليازجي.

وبعد فلست أرى في الأوزان معضلة شعرنا الكبرى، ولا يكون تجديد الشعر في التمرد على أوزانه، أو خلق أوزان جديدة، فالخليل هو أبو الوزن وليس لشعره أقل وزن ... وقد أدركت العرب هذا فميزت شعر العلماء من سواه. الوزن له شأن كبير، خصوصًا في الشعر العربي، ولكن تعبئة تلك الأوزان هي أهم جدًّا، فليس الشعر في موضوعه ولا في وزنه ولا في تحليل التجربة، ولكنه في تزاوج الألفاظ، وفي الفكرة التي يبرزها الشاعر في أجمل حلة، وليست القافية هي العقبة في سبيل إبداع شعر صافٍ،

فحيث يكون الطبع الصحيح أو القريحة، كما كانوا يقولون، لا تحس أن هناك قافية، فالشاعر غير المعلم المعماري الذي يضع الزاوية أولًا ويبني عليها مدماكه، فإذا شئنا أن نقول شعرًا جديدًا، علينا أن نفكر بغير عقلية أسلافنا.

أما موضوع القصة، فعالجه الأستاذ عز الدين المناقلي تحت عنوان «القصة الحية»، فحسب حساب العين النفاذة التي تلتقط ما حولها، والقلب الذكي، واللغة، والعرض، والتحليل، وأخيرًا العقدة، نظريات جيدة، ولكنها لا تنفع إلا قليلًا حين يبدأ العمل الفني. القصصي كالشاعر يولد موهوبًا، وكثرة السنين لا تخلق قصصيًّا، فرب إنسان كتب القصة طوال عمره ولم يلمع نجمه، ورب آخر كتب قصته الأولى فطارت شهرته، وهناك قصصيون مشاهير لم يأبه لهم أحد في أول الشوط، ولكنهم ما انفكوا يعملون حتى استولوا على الأمد بعد حين، فلنجرب فالأدب لا ضوابط له.

ولا داعي لرقي البيئة حتى ترتقي القصة، فقد تكون قصة رجل ساذج يحسن القصصي تصويره خيرًا من قصة فيلسوف لم يتحرك تحت ريشة صانعه، فلا أهمية للموضوع، الأهمية الكبرى لإخراجه في صورة فنية، فعرض الحقائق كما هي في الواقع ليست فنًّا، والقصة ليست عظة، ولكنها تتضمن المواعظ، إذا شئنا، دون الإشارة إلى أننا نعظ. أما القصصي الذي لا ينقصه إلا «أما بعد» فهو يسقط من عين الفن.

والعقدة التي أشار إليها الأستاذ المناقلي أين هي اليوم في القصص التي تعرض وتذاع؟ صارت القصة مقالة، أو كالمقالة؛ لأن كتابها لا يخلقون فيها قصة.

وسمعت ما دار في جلسة حول الأدب في السودان، استطردوا فيها إلى الأدب القومي السوداني الذي رووا نتفًا منه، كم كنت أتمنى لو كان ينصت معي واحد من دعاة اللغة العامية ليقول لي ماذا فهم؟ وما هو رأيه في الموضوع؟ إني أقسم بالله أنهم لو لم يفسروا تلك المقطوعة العامية السودانية لما فهمت منها كلمة.

وتحدث الأستاذ محمد مصطفى حمام عن الفكاهة في الأدب المصري، فكان فكهًا لذيذًا طريفًا، أدخل الأستاذ حمام شيئًا جديدًا على الحديث فأحياه، غنى بصوته الحلو أنشودة وزير الأوقاف الذي أخَّر العطاء، الفكاهة من طبع المصريين، وإذا لم تشع في أدبهم وشعرهم فلتزمت الشعراء وتوقرهم، وعدم الهزل ساقطًا عن رتبة الشعر.

إنا لموعد حديث الأستاذ حمام عن دعابات شوقي لمنتظرون، شرط أن يخرج الحديث مرة أخرى عن طريقه المعبدة.

والأستاذ إبراهيم الوائلي ذكرنا روعة إنشاد الشعر في قصيدته «الملاح»، ولا غبار على ما أنشد من شعر إلا جمعه بين مني وإني وعيني في قافية واحدة.

وتحدث الأستاذ سعيد عقل عن دواوين الشاعر هيكتور خلاط الأربعة، فأحرق كل بخور لبنان أمام شاعره. فليت سعيدًا ترجم للمستمع شيئًا من شعر خلاط، ولم يكتفِ بكلامه هو عن الشاعر، فبعد ذاك التعريف الطويل العريض أمسى المستمع متشوقًا إلى سماع شيء من شعر هذا الشاعر الفذ.

لا أدري إذا كانت قصة الأستاذ خليل هنداوي مترجمة أو موضوعة فقد قيل لنا إنها قصة يونانية، وعلى كل كان في القصة صراع مبادئ بين أبقراط وزوجته، الزوجة تهجس بمال الملك، وبقراط، أبو الطب، ينشد المثل الأعلى ويزدري المال.

وقصة «عودة القطيع» — أي العمال — للآنسة أمينة قطب مؤثرة لما فيها من وصف رائع لحالة أولئك البؤساء المساكين، ثم نكبتهم أخيرًا بتدهور القطار وموت بعضهم.

أما قصة الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله، فحياة بطلها المدير أقرب إلى المعجزة منها إلى ما يمكن حدوثه، ومع ذلك نقول إن غرائب الحياة كثيرة، وليس فيها مستحيل.

مآخذ: جر أحدهم آخر وهي ممنوعة من الصرف.

وقيل ما هي إلا طرقًا، وما يبطل عملها متى اقترن خبرها بإلا.

النقد الثالث والسبعون

١٠/ ٨/ ١٩٥٤

حدثنا الأستاذ عبد الكريم الدجيلي عن حياة الشعر في العراق، فقسمها ثلاث مراحل: قبل الدستور العثماني، وبعد الدستور، ومن الحرب الكبرى الأولى حتى اليوم، لا أكرر ما قاله عن المرحلة الأولى التقليدية، ولا الثانية، ولا ولا … فكل ما قاله الأستاذ عبد الكريم جاء في محله، ولكنني عجبت كيف لم يذكر الزهاوي مع أنه لا يمكن نسيانه أو تناسيه.

وقف الأستاذ الدجيلي عند الجواهري ولم يقل كلمة عن الجيل الجديد في العراق، مع أن هذا الشاب الواثب قد حاول إثبات وجوده وأفلح، وإذا غالى في محاولته التجديد فلا بد من أن يثوب الجواد بعد الجماح، ولكن ثورة الشباب هذه لا يستطيع مؤرخ الأدب أن ينكر وجودها.

وكانت جلسة حول الشعر العامي السوداني فلم أفهم منه شيئًا إلا ما قرب من الفصيح أو ترجم إليه.

وفي ركن شخصية الأسبوع حدثنا الأستاذ عبود مهدي زلزلة مفتش عام وزارة المعارف العراقية، فأثلج صدورنا نبأ هذه النهضة التربوية، وخصوصًا ما يسمونه التعليم الأساسي أي تعليم المواطن ما يلزم من المعارف لسياسة نفسه.

وفي ركن «مع الناس في بيوتهم»، وهذا عنوان جديد، تحدث الأستاذ رشاد بيبي مع السيد كامل الداوودي، والسيدة أم رياض زوجته، والزوجة وهي أم ستة، اللهم زد وبارك، لا تريد أولادًا لقلة المادة والعجز عن تربيتهم.

كان استنطاق رشاد دقيقًا جدًّا، وكان الاعتراف داووديًّا ... أم رياض جبَّارة، والأستاذ بيبي جبار أكثر من عماليق المحدثين، أراد أن يعرف كل أسرار العائلة حتى الخلاف الذي ينشب بين أم رياض وأبي رياض، فكان له ما أراد.

وكانت هذه الجلسة طريفة منعشة أراد فيها الأستاذ رشاد أن يعرف البيضة من باضها، كما يقول المثل.

وفي حديث الشهر للآنسة سميرة عزام سمعتها تتساءل، وهي تتحدث، عن كتب التدريس: لماذا يقال ضرب زيد عمرًا، ولا يقال: زار زيد عمرًا؟ تريد الآنسة أن تبني الكتب المنهجية على المحبة، والحق معها، أما قولهم قديمًا: ضرب زيد، وقتل عمرو، فلأن عهد القدامى كان عهد قتل وضرب، ومؤلفو الكتب لم يكلفوا أنفسهم خلق مثل يطابق مقتضى الحال، فنقلوا هذه المحنطات منذ قرن وأكثر سأل داود باشا والي العراق، أستاذ مدرسة زارها: لماذا تقولون دائمًا في نحوكم: ضرب زيد عمرًا؟

وكان الأستاذ العراقي حاضر الجواب فقال: يا مولانا، هذا عمرو سرق الواو من اسم دولتكم، فسلط النحاة زيدًا عليه يضربه صباح مساء، وهكذا فكت النكتة المشكل.

وكان لنا من الشعر روضتان، واحدة غربية قدمها الأستاذ مرتضى شرارة، فأحسن الانتقاء والتعريب، وكان خير ما سمعت أغنية «القميص» الرائعة.

أما بلبل الروضة، معالي الأستاذ علي الشرقي، فقد أنعش تغريده روضة الشعر، جمع الشاعر الأستاذ الشرقي إلى جمال التعبير، ووحدة العاطفة تفكيرًا اجتماعيًّا، فذكرني بأساطين شعراء العراق كالزهاوي والرصاف، قال الشاعر:

لم أجد في العراق ليلى ولكن كل يوم أمر في مجنون

وفي الطموح قال الشيخ:

معي يا بلبل الروض إلى الذروة أو أبعد

وفي الدعوة إلى التساهل يقول: دعونا نوسع آفاقنا.

ويخاطب البلبل:

تجنب قبلة الورد فقد أزعجته نقرا

وأخيرًا يقول، بعد يأس من ضياع المرأة إذا عرضت لعيان:

بلدي رءوس كله أرأيت مزرعة البصل؟

لقد آثرت أن أدل على جمال شعر الأستاذ علي الشرقي، وسمو تفكيره بما التقطت أذني، وكفى بذلك دلالة، فالإنشاء هو الرجل.

وكان حديث عيد الأضحى من نصيب الأستاذ عبد الله المشنوق، فكان حظ المستمعين أكبر، إذ قدم لهم الأستاذ هذه «العيدية»، حثهم على البر والإحسان وإدخال السرور على قلوبهم، كما قال له مرة المفتي الأكبر المرحوم مصطفى نجا:

حقًّا إن عيد الأضحى هو عيد التضحية، ومن لا يضحى في سبيل الله لا يستحق نعمة العيد.

أعاده الله بالخير والإقبال على الأمة والملَّة.

النقد الرابع والسبعون

١٩٥٤/٨/٢٥

الأستاذ سلامة موسى — كما عرفناه — كاتب حر مستقل التفكير، تحدث عن ابن خلدون فما عناه ما قاله غيره فيه، بل مضى يشرح مقدمته الشهيرة، ويرى في مؤلفها شخصًا تنقص من قدر العرب؛ لأنه يكرههم.

قال الأستاذ سلامة عن ابن خلدون: إنه عرف الأعراب ولم يعرف العرب، واتهمه بسرقة ما كتبه إخوان الصفاء، ثم راح يدافع عن الحضارة العربية وعلوم العرب، التي كانت السبب في اهتداء كولومب إلى اكتشاف أميركا. وأخيرًا ترك ابن خلدون وتغلغل في نظرياته هو الاجتماعية، فأصاب في آراء واستنتاجات شتى، لم يكن ينقص هذا البحث إلا تأييد مزاعم الأستاذ بشيء ولو قليلًا جدًّا، من أقوال ابن خلدون التي حمل فيها على العرب، وما أكثرها في المقدمة الخلدونية الشهيرة، قد يكون عذر الأستاذ سلامة ضيق المجال، ولكنه كان في وسعه أن يستغني عن بعض ما قال.

وكانت الكلمة في ذكرى الكاتب العظيم الأستاذ المازني لولده محمد، ومن أدرى بالأب من ابنه؟ كشف لنا هذا الابن البار دقائق شتى في حياة أبيه، وكم كنت أتمنى أن أسمع هذا الحديث قبل طبع فصل المازني في كتابي جدد وقدماء الذي يظهر قريبًا.

كان محمد عبد القادر المازني صادقًا جدًّا حتى اعترف لنا كيف سرق مرات بعض المال من جيب أبيه، وكيف كان صمت أبيه في أكثر المواقف يغني عن الشدة والعنف. إن آثار المازني تنم عما انطوى عليه من لين عريكة وطول بال، وحسبه أن يكون بدأ حياته معلمًا ليتسع صدره، ويحتمل أكثر مما كان يحتمل.

وتحت عنوان: «مشاكل التربية» عقدت الآنسة ليلى اللبابيدي جلستين، كان موضوع أولاهما التنافس بين الإخوة، فعُزي ذلك إلى تحيز الأبوين، وكان موضوع الثانية «الطفل وتعلم الدين»، تشاركها فيها الأستاذة فائزة أنتيبا المعلمة والمربية، فذكرت روح الطمأنينة فذكرتنا بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾. أجل إن في الدين طمأنينة قلب لا تخويف. مفيد جدًّا هذا البحث، وفيه لنا، كبارًا وصغارًا، فوائد جليلة تلقي على الأديان أضواء تنير وتهدي من لا يرون الدين إلا على ضوء الأبدية.

وبمناسبة عيد الأضحى أصغيت إلى زجلية الأستاذ حسين الطنطاوي فسمعت انتقادات اجتماعية قيمة جدًّا لم تحط من قدرها لهجتها العامية، فما قولنا في رجل أنفق ما يملك على شراء كبش سمين، وما عناه أن يستدعي طبيبًا لابنه المريض؟ كل ذلك اتباعًا للتقليد، وهربًا من ألسنة الناس، وما بلاء الناس إلا ألسنة الناس، وبعد أن أشبع الطنطاوي المجتمع انتقادات مرة صادقة ختم زجليته الطريفة بالأدعية والنصائح.

وفي جلسة «التاريخ يعيد نفسه» تحدث الدكتور أحمد بدوي وحرمه، والشاعر محمد عبد الغني حسن وحرمه، فبينوا لنا أن الجيش هو الذي أنقذ مصر الفرعونية ومصر اليوم، ثم استطرد المتحدثون إلى موضوع اختلاط الجنسين في معاهد العلم، وأنا لست أرى ما رأوا لا في المعاهد الثانوية ولا الجامعات، وإن قلنا غير هذا غالطنا أنفسنا.

وروى الأستاذ أنور أحمد في حديثه عن وليم بت الذي تولى رئاسة وزارة بريطانيا في الخامسة والعشرين أنه قال عن الوزراء: إنهم أولًا يجتمعون ليلعبوا ثم ينصرفون، فذكرتني هذه النادرة بقول أحد وزراء المنتصر — أحمد بن الخصيب: «مثلي مثل الناقة التي تزين للنحر.» وفي كل حال إنني أرى سير الرجال تشحذ الهمم، وتوقظ المواهب، فليتنا نكثر منها، شرط أن تكون مكتوبة على حقها كحديث الأستاذ أنور.

وهناك حديث آخر من هذا الطراز الجيد كان موضوعه: هنري جيمس القصصي الذي اشتهر بالقصة الصغيرة. لفت سمعي في هذا الحديث قول المتحدث فيه: إن الفن لا يخلق الحياة، ولكنه يترجم الحياة، أما أنا فأظن أن هنري جيمس يقصد الترجمة بتصرف … لا الترجمة الحرفية التي تصير كالنقل، إن الفن الأصيل يترجم الحياة، ولكنه يخلقها خلقًا جديدًا، وإذا لم يكن كذلك فلا يكون فنًّا.

وكانت قصة «خروف العيد» للسيدة جهان عوني جيدة التعبير والتصوير، والتحليل الوجداني، أما قصة «زوجة صالحة» للأستاذ محمد سعيد شاهين فكانت ذات شقين: فالشق الأول: جدير بالانتباه، ولكن الشق الثاني كان دون الأول براعة. أكثر الأستاذ من

ترديد هذه العبارة: ماتت الكلمات على شفتي، وأكثر من قوله: عندها، أي عند ذلك، أما المصيبة الكبرى في أقاصيصنا فهي أنها كادت تصير بلا قصة.

النقد الخامس والسبعون

١٩٥٤/٩/٧

يوحي عيد الهجرة إلى كل عربي النضال المستمر العنيف لأجل ما نعتقد أن فيه خير أمتنا وصلاحها، ألم تكن هجرة النبي ﷺ خطوة أولى في سبيل الهدى الذي أضاء نوره في المشرقين؟ وما جعل العيد إلا تذكارًا لمبادئ سامية، وأي شيء أسمى من تكوين أمة؟

وكان حديث الشهر للأستاذ مشال أسمر، والدكتورة سهير القلماوي، فتحدث الأستاذ الأسمر عن الصيف حديثًا ممتعًا مليئًا بالعطف والمحبة. والمثل عندنا يقول: لو كان للصيف أم بكت عليه. ولكن الصيف فصل راحة، كما قال الأستاذ، لمن يجلسون على الكراسي في سجون المكاتب، أما الفريق الكادح من البشر فهو لهم فصل تعب: فصل الحصاد والدرس، فصل العمل المستمر. فإذا استراح الكاتب والموظف والتاجر في الصيف بعض الشيء، فأخونا الفلاح لا يعرف الراحة فيه، إلا حين يقيل في ظل شجرة لينهض، بعد تلك القيلولة، إلى استئناف العمل، فالعريشة والتينة والزيتونة في انتظار عنايته، ومع ذلك يقول الكادحون: بساط الصيف واسع، وفي الصيف المئونة على العود، وفي ذلك يجدون الراحة الكبرى.

وكان حديث الدكتورة سهير القلماوي عن السلم والحرب، فأهابت بالمرأة إن تنهض وتناضل لتحمي أولادها الذين يكونون للحروب وقودًا، ولما كان الجمال وما إليه، يعني المرأة ولو كانت دكتورة، لم يفت الآنسة أن تذكر لنا ملكات الجمال، وخصوصًا ملكة الجمال الألمانية التي امتازت بشاهية قوية، والتهام الشوكولا. عجيب أمر الغربيين فإنهم

يفخرون بكل شيء حتى بكبر البطن! وعلى هذا القياس لو كانت فلانة بنت ضيعتنا في عصر ملكات الجمال لكانت ملكة جمال عالمية؛ لأنها كانت تلعق سطلًا من العسل.

وتحدث الأستاذ روكس بن زايد العزيزي عن المعلقات، وأثرها في عقلية العرب، ثم استطرد إلى الشعراء المرتزقة، الموضوع مفيد ولكنه لا جديد فيه، وقد عودنا الأستاذ روكس أن يعالج مواضيع أطرف وأعمق. وحدثنا الأستاذ عيسى سليم المصو عن شعراء العرش الإنكليزي فتذكرنا أبا تمام والمتنبي والبحتري وغيرهم، وإن لم تكن لهم الصبغة التي كان يصطبغها شاعر العرش الإنكليزي.

وفي ركن «بيني وبينك» قال الأستاذ محمد أديب العامري: الحياة تسعى على قدمين: قدم الجوع، وعليه تسعى لحفظ الفرد، وقدم الحب، وعليه تسعى لحفظ الجنس كله. هذا كلام واقعي، أما قول الأستاذ أن المرأة أعمق فهمًا لرسالة الحياة فأشك فيه، والحوادث لا تكذبني.

وكانت أقصوصة المحامي أحمد سويد موفقة؛ فقد لبس فيها ثوب القصصي لا «روب» المحامي الذي لا يفسح في مجال الكلام لموكله، فقد تكلمت شخوصه هذه المرة أكثر من ذي قبل، أما ختام قصة «عودة الغائب» فليته وقف فيها عند قوله: من غربة إلى غربة، واستغنى عن: حيث يتسع له صدر الأبدية، يجب ألا نتبسط في أقاصيصنا كثيرًا، بل يجب أن نترك شيئًا للقارئ اللبيب.

أما أقصوصة الآنسة سميرة عزام، فمن طراز أقاصيصها الجيدة لولا التكرار والترداد، والإكثار من ليلتها وساعتها بدلًا من تلك الساعة وهاتيك الليلة، ولكنها، على كل حال، تظل أفضل من ليلتئذ وساعتئذ.

أما تأنيث «الخد» فلا أجد مبررًا له إلا فلسفة بعضهم، وكذلك قولها: لا تطوله يد فهي عامية غير فصيحة.

النقد السادس والسبعون

٢٢ / ٩ / ١٩٥٤

شعر الآنسة نازك الملائكة لا غبار على فصاحته، وفيه عاطفة نارها دائمة اللهب، الشاعرة متمكنة من اللغة وأصولها، وثقافتها الغربية زادتها عمق تفكير، ولعل تأثرها بشعر الغرب المحلولة عراه هو الذي أهاب بها إلى تقليده، فترسمت خطاه ناسية ما قاله الجاحظ إمام أدبنا الأول والآخر: الشعر لا يترجم، ولا يجوز عليه النقل، وإذا ترجم أو نقل بطل وزنه، وسقط موضع التعجب منه، فنصيحتي للآنسة الشاعرة أن تدع الاستقلال الناجز؛ فهو إن أفاد في السياسة فلا ينفع شيئًا في الأدب، فلشعر كل أمة خواص.

وبعد، فإن النثر المنمق خير من هذا الشعر الذي يريدون خلقه.

وهناك لون آخر في شعر نازك، هو لون اليأس الأسود، فلتنزع الشاعرة نظارتها السوداء لترى بهجة الكون، فقد كاد يكون موضوعها واحدًا، إن المائدة ذات اللون الواحد لا تشبع النهم مهما كان ذاك اللون شهيًّا.

فمن تراه يقرأ ديوان الخنساء من الجلد إلى الجلد؟ لا أحد.

كم كنت أتمنى أن يتجاوز الأستاذ عبد العزيز عريقات حدود التقريظ حين ينظر في الكتب الحديثة، فالتقريظ الصرف يثير في نفس المستمع شكًّا، ترى ألم يعثر ولو على هنات هينات يشير إليها؟ فكتاب الأستاذ عبد الرءوف المصري قال فيه: إنه يصلح للعالم والأمي، جاء في ذلك الكتاب — كما سمعت — إن العرب عرفوا كل شيء حديث: حدائق الحيوان، والنفط، وأوراق النقد، والدبابة، وعملة الورق، كنت أقرأ كل هذا عند العلامة

نور الدين بيهم بمناسبة ظهور كل جديد، واليوم سمعته مجموعًا في كتاب الأستاذ عبد الرءوف المصري، وهتفت مع سليمان: لا جديد تحت الشمس.

كل هذا جيد، والأجود منه أن نقول: ها نحن، ولا نقول كنا، فلو لم يكن للعرب كل ما ذكر لما كانت لهم الإمبراطورية التي لم تغرب الشمس عن ملكها، ولما حملوا مشعل الثقافة زاهرًا أربعة قرون، وما زال الناس يعشون إلى ضوء نارهم في عصر الكهرباء …

لقد كان الأستاذ عريقات معلنًا عن الكتب الحديثة لا ناقدًا لها، فليته يقسِّي قلبه في قابل، فآفة كتبنا قلة النقد لها.

وتحدثت الآنسة ليلى لبابيدي في جلستها التربوية عن مشكلة الأكل عند الأولاد، وكانت نصيحة السيدتين أسمر وبركات ألا يطعم الولد إلا حين يجوع، وإذا ذاك يرضى بما قسم له. كنت أسمع شيوخنا يقولون: لا تأكل لقمتك إلا مغموسة بالعسل، وهم يعنون الجوع الذي وصفته السيدتان علاجًا للأولاد المزعجين، ولكن أي أم تستطيع أن تستمهل ولدها؟ وهل يفكر الولد بغير بطنه؟

حكي أن ولدًا كان يبكي على الدبس، وحاولت أمة إقناعه أن لا دبس عند أحد في الضيعة، فزاده ذلك صراخًا، ولما رأت أمه منظر عينيه قالت له: يكفيك بكاء، صارت عينك مثل البيضة، فبكى على البيضة، ونسي الدبس، ومن أين للأم البيض في شباط؟

إن قصة الأولاد قصة، أما رأيي الخاص فهو أن يشغل الولد بلعبة حتى لا يفكر بالأكل، ويدرس مشاريعه درسًا دقيقًا …

وهذا الأستاذ روكس بن زايد العزيزي يعالج موضوع الأغاني البائسة في الشعر العربي، ويبحثه بحثًا جذريًّا، فيرى أن الحرمان هو العنصر الهام في شعرنا، ويرى أن تحجب المرأة هو أحد الأسباب الأربعة التي ذكرها الأستاذ، أما الحجاب فما أراه سببًا، فإذا كان الشاعر فصيحًا أو عاميًّا، قليل الحظ من النساء، فسيان أن يكون هناك حجاب أو لا يكون؛ لأنه محجوب طبعًا …

ورأى أن ظلم الزعماء من موحيات الشعر الباكي. نعم، قد يكون هذا عند النفوس الميتة، أما النفوس الأبية فتثور ولا تبكي.

أظن أن بؤس الحياة وشقاءها عندنا هما اللذان أوحيا القسم الأكبر من الشعر الباكي الذي ثار عليه أمين الريحاني في معركة أدبية ليس يومها بسر، وإذا عدنا إلى اللغة، وهي أصدق دليل على حياة الشعب، رأينا ألفاظ السعادة تعد على الأصابع، أما ألفاظ الشقاء فنراها في معجمنا أنَّى اتجهنا.

واستطرد الأستاذ العزيزي إلى حكايات من أكلوا الأولاد، فلم أستغربها؛ لأني رأيتها بعيني في الحرب الأولى حين بسطت المجاعة جناحيها الأسودين على بلدنا. أرادها الأستاذ روكس برهانًا على الشقاء الذي أوحى إلى أدبنا بالبؤس وعدم المرح، ولكنني أحسب أن ذلك طبع فينا؛ ولذلك ندر الضحك والمرح في شعرنا.

وكان لنا من الأقاصيص قصة جيدة التحليل للأستاذ عيسى الناعوري، إنها محاولة موفقة، وعلينا أن ننوع أدبنا القصصي، فقد مللنا الطبع على غرار واحد.

وهناك أيضًا نوع آخر من القصص حاولته السيدة أمينة الصاوي، فوفقت إلى حديث في قالب قصة، أو قصة بعنوان حديث …

أما الموضوع، فامرأة فترت محبة زوجها لها؛ فتولت سيدة أخرى تدريبها وإرشادها إلى السبيل السوي.

إنني لا أحب الطرق المعبدة، فليشق أدباؤنا طرقهم.

النقد السابع والسبعون

٦/ ١٠/ ١٩٥٤

«الغابة السوداء» للأستاذ خليل هنداوي، قصة فيها عنصر التشويق إلى النهاية، وفيها التحليل الذي يسير بالمستمع سيرًا وئيدًا، فينتظر وقلبه يدق خوفًا على طفل قعدت أمه تعالجه بوسائلها الخاصة، وراح أبوه يضرب في مجاهل الغابة السوداء مفتشًا عن الطبيب المداوي، فإذا به بعد كد وجهد يرى نفسه في خيمته أمام ولده الذي لفظ أنفاسه.

إنها مفاجأة لم تكن منتظرة، فمنذ زمن وأنا أنصت إلى أقاصيص لا حكاية فيها، أما الأستاذ الهنداوي فقد جمع في قصته «الغابة السوداء» بين التحليل والقص وصفاء التعبير.

وفي ركن الأدب فاجأنا الأستاذ عثمان نويه بما سماه أدب الهرب من الحياة، تحدث عن الآلة العصرية والأدب الذي لا يقبل على استلهامها، أذكر أني قرأت كتابًا فرنسيًّا قال فيه واضعه: إن الصفاء الذي فارق الأدب قد يكون سببه غرق الناس في الميكانيكيات، وتحويل نظرهم عن الطبيعة حتى رأى الكاتب أن السفينة البخارية وعظمتها الآلية لا تلهم الشاعر شيئًا مما يلهمه إياه ذلك المركب الشراعي الذي يصارع الرياح والأنواء، قد يكون للعادة أثر في هذا، كما أن الإنسان يحن إلى قديمه من تفكير وتعبير، وهذا ما يسبب الجمود في الحياة الأدبية، أما الملهم المريد ففي استطاعته أن يعالج ما يشاء من مواضيع ويخرجها إخراجًا أدبيًّا رائعًا دون أن يهرب من الحياة، وكيف نهرب من الحياة وإلى أين؟

أما قال الأستاذ محمد فريد أبو حديد في حديثه عما أدخل على نظم التعليم في مصر ولماذا أدخل؟ ألم يقل مجيبًا الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف: من العجب ألا يدخل ما دامت الحياة قد تغيرت وصارت ذات أسلوب جديد. إن الأدب صورة الحياة، فلست أرى الهرب منها مستطاعًا.

وتحدث الدكتور خليل الجر عن أمين الريحاني، فأخرج صورة كاملة ناتئة الخطوط بينة الملامح لذاك المجاهد العظيم الذي لم يهجر الحبر والورق إلا أسبوعين فقط، حين كبا تلك الكبوة التي أودت بحياته.

لقد كثر الكلام في الآونة الأخيرة عن مشاكل التربية والتعليم، ومن أجدر من نائب رئيس الجامعة الأميركية، الدكتور قسطنطين زريق ومعاونيه الدكتورين جبرايل جبور وكمال يازجي، بالتحدث عن السياسة التربوية في البلدان العربية؟ وبعد أخذ ورد رأوا أن لا يحدد التعليم الابتدائي، وأن ينوع التعليم ليكون مواطنًا صالحًا للحياة. أما التعليم الجامعي، فيجعل للنخبة فقط. ورأى الدكتور زريق أن تنظم مناهجنا طبقًا لحاجاتنا، فيؤخذ ما يلائمنا من كلا المنهاجين اللاتيني والسكسوني، ورأى الأستاذ يازجي أن تؤخذ مناهجنا من تاريخنا بدلًا من تاريخ غيرنا. نعم، إن معرفة تاريخنا واجبة جدًّا، ولكن جهلنا تاريخ غيرنا لا ينفعنا، وقد أدرك ذلك الأوائل فترجموا تاريخ الفرس ليروا الأسباب التي أدت إلى تهديم أركان ذلك الملك العريق ويتقوها.

أما جلسة «المواطن الصالح» التي ترأسها الأستاذ عبد الله فكري أباظة، فكان نصفها إنشاد شعر لشوقي؛ لقد أنعش ذلك الإنشاد الجلسة، وإن جعل البحث في المواطن الصالح على هامشها.

وكان حديث الشهر للسيدة أسمى طوبي، فتكلمت عن مؤتمر أدباء العرب الذي عقد في بيت مري، فألمت بأبحاثه العامة إلمامة كافية للتعريف به، ومما قالته في هذا الصدد هو أن بعض المؤتمرين رأوا أن يكون الحوار في المسرحيات عاميًّا، ويا ليت شعري ماذا يبقى من المسرحية فصيحًا إذا كان الحوار عاميًّا؟ وهل في المسرحية شيء غير الحوار؟ أليس معنى هذا القول أن تكون المسرحية في اللهجة العامية؟

وتحدثت السيدة طوبي أيضًا عن المناهج بمناسبة افتتاح المدارس، وشكت كثرة الكتب التي يفرض على الطالب درسها. حقًّا إن نقل كتب الطالب المنهجية يحتاج إلى عتال، قيل فيما مضى: إني أخاف صاحب الكتاب الواحد، أما مناهجنا فتفرض الكتب بالعشرات على أكبادنا التي تمشي على الأرض.

النقد الثامن والسبعون

٢٠/ ١١/ ١٩٥٤

قصيدة «الطين» هي من روائع الشاعر المهجري إيليا أبو ماضي، ولعلها إحدى الزوايا الضخام التي رسخ عليها أساس شهرته الذائعة، ولكن الأستاذ روكس بن زايد العزيزي في حديثه عن أثر البادية في شعرنا المعاصر قد عارض هذه القصيدة الشهيرة بقصيدة قالها الرميثي الشاعر البدوي، فإذا بمعانيها مأخوذة من ذلك الشاعر الأمي الذي قال قصيدته منذ سبعين عامًا وأكثر، تكاد تكون قصيدة أبي ماضي طبق الأصل، ولا فرق بينها وبين قصيدة الرميثي إلا أن الرميثي يخاطب شخصًا بعينه بينا شاعرنا أبو ماضي يخاطب البشر أجمع في شخص إنسان ما إذ يقول:

نسي الطين ساعة أنه طين ... حقير فصال تيهًا وعربد
وكسا الخز جسمه فتباهى ... وحوى المال كيسه فتمرد
يا أخي، لا تمل بوجهك عني ... ما أنا فحمة ولا أنت فرقد

وإنك لتعجب إذ يعارض العزيزي كل بيت بآخر مثله حتى تردد قول الشاعر:

ولو كان سهمًا واحدًا لاتقيته ... ولكنه سهم وثان وثالث

ولو كانت قصيدة الرميثي متداولة لما خامرنا شك في هذه الغارة الشعواء، فالشعراء في هذا الميدان لا يشق لهم غبار.

وتحدث الدكتور حسين هيكل، والأستاذان أمينة السعيد ومحمود تيمور عن أثر المرأة في الحياة الفكرية في مصر ولبنان، فخلصوا إلى أن المرأة مصدر إلهام للرجل كما أن الرجل يلهم المرأة، وهذا ما كان يرجوه المستمعون من مفكر كبير كالدكتور هيكل وزميليه.

وعقدت جلسة أخرى تحدث فيها الأستاذ عزيز أباظة ونظله الحكيم وأحمد عبد السيد الغزالي عن شوقي في الأدب العربي، فغلب الإنشاد فيها على الدرس والتحليل حتى كدنا نظنها مباراة محفوظات. وأخيرًا تمنى أحدهم لو كان شوقي في عصر صاحب الأغاني، فكأنه لا يكفيه أنه كان في عصر عبد الوهاب وأم كلثوم.

وتحدث أيضًا الأستاذ عزيز أباظة عن الشاعر أبي القاسم الشابي في ذكراه، فكان أعمق وأدق منه في جلسة شوقي، ألم بأغراض شعر الشابي؛ فذكر كيف كان ينظر إلى المرأة وإلى الطبيعة، ولم يروِ له إلا الشعر الذي يؤيد رأيه فيه، وتحدثت الدكتورة بنت الشاطئ في ذكرى مي وملك ناصف، فكانت عبارتها أنيقة، وتحليلها لنفسية الأديبتين عميقًا، عدلت الدكتورة عن الطريق المعبدة في مثل هذا المقام، وأرتنا أن ملك ومي قد فجعتا بأنوثتهما، فكانت فجيعتهما غنمًا للأدب.

وقال الأستاذ سعيد عقل: إن العرب لم يتغزلوا، فهل من يقول لي ماذا نسمي ذلك الشعر القديم؟ وإذا لم يكن ذاك الشعر غزلًا فمن يقول لنا كيف يكون الغزل؟ أيريد أن يقول سعيد لا غزل قبل رندلي؟

وفي «حصاد الفكر العالمي» كانت السعادة موضوع الدكتور عبد الوهاب خياطة، استمد موضوعه من كتاب الأغذية الأرضية لأندره حيد، وليس كل قارئ وسامع يشايع جيد في شهواته اللحمية. وبعد، فالسعادة ستظل ضالة الإنسانية تنشد ولا توجد، فليكتف الناس بما يرون فيه سعادتهم، واطمئنان قلوبهم.

أما عنوان حديث السيدة أسمى طوبي «حواء عند ابن معتوق» فظريف، ولكن الدرس غير عميق، فابن معتوق شاعر موسوي تهمه حواء كثيرًا، وأي شاعر لم يهتم بحواء؟ لقد أحسنت السيدة طوبي إذ عرجت على شاعر كاد يُنسى مع أنه شاعر غزل رقيق جدًّا، وإن لم يطبع على غرار سعيد عقل!

وكانت الندوة النسائية للسيدة أمينة السعيد، فحلت محلها الآنسة سميرة عزام، فتحدثت إلى الدكتورة إكرام الصغير، والآنسة إحسان دمشقية، وكان الموضوع: «هل قامت الفتاة الجامعية برسالتها؟» فكان الإجماع على أن الفتاة الجامعية الشرقية لم تؤدِ

رسالتها؛ لأن مجتمعنا لم يتعود بعد أن يرى الفتاة طبيبة أو محامية، كما أن التعليم لم يوجه الفتاة التوجيه الملائم.

إذا كان الفتى لم يحسن بعد توجيهه العلمي فكيف بالفتاة؟ وأما والحديث عن «الرسالة» فإني أرى أن صاحب الرسالة الحق لا يحتاج إلى من يوجهه، بل هو يشق طريقه، أنثى كان أم ذكرًا، فعدم ثقة الفتاة بنفسها — كما قلن — وعدم ثقة المجتمع بها، والنظر إليها كمنافسة لا يحول — في نظري — دون سيرها في ميدان الحياة، فالمستقبل فريسة النشيط.

و«شجرة القمر» للشاعرة نازك الملائكة كانت موسيقية الجرس، لم يضعفها طولها؛ فظلت محافظة على مستواها العالي، ولكن قول الشاعرة: وأين سيهرب ... إلخ، لم تستسغه أذني، فهذه السين بعد الاستفهام لم تقع عليها عيني، ولا سمعتها أذني بعد.

وفي القصة الشرقية «مزرعة الآلام»، وهي جيدة الختام، استعمل كاتبها الحماس بدلًا من الحماسة، وقال: حدق فيه، وهي حدق إليه، وقال: في يوم من الأيام، واليوم لا يكون من الليالي. إن الأقصوصة الناجحة كالقصيدة الغراء، ولهذا يجب أن تكون سليمة اللغة.

النقد التاسع والسبعون

٢ / ١١ / ١٩٥٤

كانت مشكلة الأدب أبرز أحاديث هذين الأسبوعين، فهذا الدكتور إسحاق موسى يلم بما ثار ويثور حول الأدب من نقاش، ثم ينظر في واجبات الأديب من حيث الالتزام وعدمه، ثم خلص إلى القول: «إن الالتزام إذا كان من الداخل، أي من أعماق نفس الأديب، فهو حسن وطبيعي، وبه يؤدي الأديب الرسالة الأدبية، أما إذا كان يكتب بوحي من الخارج، أي تسير قلمه عوامل خارجية فهو غير أديب.»

فرق الدكتور الحسيني بين الأديب والكاتب، ولعله — وإن لم يقل — يريد أن يسمي «الأديب الانضوائي» كاتبًا؛ لأن الأدب الحقيقي فوق كل شيء حتى الحقيقة، إنه سحر، ثم تطرق إلى ما يقال عن إخفاق أدبنا الحاضر، وراح يفند ذلك.

إن الحكم على إخفاق الأدب وفلاحه لمنوط بالغد، ماذا قيل عن الجاحظ في زمانه؟ كم استخف بكتبه ذاك الناقد الذي رد عليه الجاحظ في مقدمة كتابه الحيوان؟ ومع ذلك أعطي الجاحظ الصدارة، وصار لقبه شرفًا يتمناه كل كاتب.

ثم عكف الدكتور إسحاق على العامية والفصحى، فعالجهما معالجة خبير، وعندي أن دعاة هذه البدعة هم الذين يجهلون الأصول، وقديمًا قيل: الناس أعداء ما جهلوا، فلا حرم أدبنا ولغتنا ممن يدافع عنهما بحماسة حارة كالدكتور الحسيني.

وتحدث الأستاذ عبد الحليم عباس عن الأدب، فنصح الأدباء والمتأدبين أن يقرءوا كثيرًا، وألا يختاروا السمين دون الغث، بل عليهم بالاثنين معًا، إن هذا ضروري لمن لم تتكون شخصيته بعد، وهو لا يزال في مقتبل العمر، أما من كان مثلنا، فلا بد له من

الانتقاء؛ لأن مدته قد قصرت … لقد أحسن الأستاذ عبد الحليم النصح، فبدون المطالعة يظل الأدب أجوف، ومن أين يستمد الكاتب أو تتغذى مخيلة الشاعر إذا كان لا يطالع؟ أليست المطالعة للذهن كغذاء للجسم؟ وتأييدًا لرأي الأستاذ عبد الحليم عباس في المطالعة أذكر ما رُوي عن الجاحظ من أنه لم يكن يمر بورقة مرمية على الطريق إلا تناولها وقرأها، فإن كان ما فيها تافهًا قرأها ثم رماها، وإلا احتفظ بها.

وتصدى الدكتور جميل سعيد للتربية المدرسية، فرأى أن مدارسنا تعلم ولا تربي، ولا تحسن معالجة نفسية الفتيان لتجعل من الفتى رجل غد، وذكر كيف عالجوا في إحدى مدارس إنكلترة ولدًا كان قصير القامة، صار مهزأة لرفاقه؛ فكرههم وكره المدرسة، رأى مربوه ما يعاني من مركب نقص فداووه وصار شابًّا محترمًا فيما بعد.

هذا ما عالجته المدرسة، أما بشار بن برد فعالج هو نفسه، وكان سلاحه شعره الهجائي فرد به ازدراء البيئة له، أما الولد الذي تظلمه الطبيعة عندنا فيكون رفاقه له أظلم، ولا يحرك المربون ساكنًا؛ لأنهم معلمون لا مربون.

وفي بريدنا الأدبي سمعت حديثًا رائع المقدمة عن لبنان تخلص كاتبه إلى الشاعر بشارة الخوري، والمقابلة بينه وبين الأخطل الكبير في الشعر المدحي والخمري، وفي سرد شعر الأخطل الكبير قيل: شمس العداوة (بفتح الشين)، وهي شمس جمع شموس بالضم. وقيل: عيافو الخنا، (بكسر الخاء) وهي بالفتح، ويندمج مع هذا الخطأ قول من تحدث في ذكرى ميثاق الأمم المتحدة: إن لميثاق الأمم هدفان، وهي هدفين (اسم إن مؤخر).

ما أجمل ما تكون الجلسة حين يديرها الدكتور زيادة فيشيع فيها ظرفًا، فهو أقدر من عرفت في حصر النور في بؤرة العدسة، فإذا أدار جلسة حاول أن يحول دون الخروج عن الموضوع، فيعيد المباحث إليه إما بنكتة غير موجعة، أو برأي وجيه، ولا يدع الموضوع دون أن يسبر أعماق أعماقه، كما حصل في الأخير مع السيدة جوليا سعيد، والأستاذ محمود زايد في موضوع الفلسفة اليسارية، ومعنى الحرية.

اختارت السيدة صبيحة فارس كتابًا كان خير مرشد إلى الزواج الصالح الهادي، فليت المستمعين ممن لا عمل لهم ولزوجاتهم غير النقار، يصغون إلى أحاديث برنامج المرأة، ففيه ما يشق لهم درب حياة هادئة.

أما ركن الطلبة فكاد يصير مدرسة مجانية قائمة أركانها في الهواء، فصاحبها الأستاذ موسى الدجاني، يدخل إليها دائمًا عناصر جديدة، جمع فيها الأستاذين محمد عبد الغني حسن وزوجته الأستاذة رقية بدير ليتحدثا عن ذكرياتهما، فأفاض الشاعر

عبد الغني في ترديد ما قاله شوقي في الذكريات. وشاءت زوجته أن تتحدث فقاطعها ليعيد ما قاله شوقي في معنى ما تقول، كنا نتوقع أن نسمع ذكريات الشاعر الطريفة فأكثر من الرواية وأقل من الحكاية، وحسنًا قال حين أجاب: أما الفن للفن، والأدب للحياة، فلا أدري كيف أفصلهما.

قصة الأسبوع للأستاذ جبرا وعنوانها: «الشجار» هي من النوع القصصي الطريف الذي يتعمد تصويره قطعة من الحياة، وقد نجح كاتبها فيما قصد إليه، أما السيدة ناجية تامر في «ضربة فأس» قتلت بها امرأة زوجها العاتي، فأظنها قد حملت المرأة أكثر مما تستطيع، لا أقول: إن هذا مستحيل؛ ففي النساء جبابرة كما في الرجال، ولكنه نادر الوقوع جدًّا.

ذكَّرت السيدة تامر القِدر وهي مؤنثة، وقالت: اضطَرت وهي اضطُرت، إن من يريدون إحلال العامية محل الفصحى يرون هذا تحذلقًا، أما أنا فأرى أن على الكاتب أن يكتب صحيحًا، ويقرأ صحيحًا.

النقد الثمانون

١٧ / ١١ / ١٩٥٤

عالجت الدكتورة زاهية قدورة موضوعًا جديدًا هو موضوع مساهمة المرأة في نصرة الرسالة الإسلامية، وجهادها في سبيل تأييدها، عددت النساء المجاهدات من حليمة السعدية، مرضع النبي إلى زوجه خديجة، إلى أم أيمن، وأسماء، ولم يفتها إلا ذكر أم عمارة بطلة وقعة أُحد التي فاقت الرجال بطولة.

حقًّا إنه ﷺ هو أول من أخرج المرأة من ظلمات دياميس الجاهلية، ففرض لها ونظر إليها نظرة عطف وحنان: «رفقًا بالقوارير.» تلك كلمته المأثورة، ولكن هؤلاء كن حديدًا وفولاذًا في معركة الحق.

فشكرًا للآنسة قدورة؛ فقد جاء حديثها برهانًا على جهاد المرأة في أحرج ساعات المعارك الفاصلة.

أما السيدة ماجدة عطار، فلا أدري لماذا «قرأت لنا» هذا الفصل، فصل انفصال البنت عن أبويها، واستقلالها في بيت تتمرن فيه لتكون زوجة عاملة في المجتمع؟ ترى ألا تستطيع البنت أن تعمل هذا «الستاج» عند أبيها، وتحت عيني أمها؟! أما قالوا: إن البنت بلا أم كبيت بلا بوَّاب؟ وهب أن هذا الاستقلال يكون في أمريكا بلاد العجائب، فلست أظنه يكون سليم العواقب، فالبنت التي تعيش في هذا الجو من الحرية هيهات أن يقيدها رجل فيما بعد مهما كان حازمًا. وأغرب من هذا الحديث الذي قرأته السيدة

ماجدة عطار تساؤلها: إذا كان هذا الأسلوب يصلح لنا، تُرى أجرَّبوه في أمريكا، ووجدوه صالحًا حتى نعيره نحن هذا الاهتمام؟

وفي ركن «مع النساء» كانت السيدة عبلة خوري شخصية برنامج المرأة، كانت السيدة عبلة دائرة معارف فبحثت كل شيء حتى النقد والشعر، أما الآنسة جاكلين خوري فقد ألمت بجميع ملكات الجمال في التاريخ القديم، فبررت موقف المعاصرين، حتى الطلاب ... من هذه البدعة، وسمعت الشاعر العامي السيد أديب حداد ينتقد بأسلوب جميل تشبُّه النساء الذي يقصم ظهور الرجال، تصور رجلًا مغمورًا تفرض عليه زوجته كذا ليوم الاستقبال الأسبوعي، أما عليه أن يستعد دائمًا لاستقبال نكبة جديدة تحل بكيسه؟

وعن الكتب الحديثة تحدث الأستاذ عبد العزيز عريقات، فكان أول ما تحدث عنه ديوان «زهر الربى» للأستاذ ميخائيل خليل الله ويردي، فألقى أبياتًا من القصيدة التي نهج فيها الشاعر، ويردي نهج بردة البوصيري، ثم تعرض للتشطير والتخميس الذي أفاض فيه الأستاذ ويردي حتى خمَّس أبياتًا لامرئ القيس، ومضى الأستاذ عريقات يبرر موقف الشاعر، ويفرق بين تخميس وتخميس. إن التشطير والتخميس والتضمين وغير ذلك بضاعة لم تعد تنفق في سوقنا اليوم، ماذا يفيدنا تخميس شعر امرئ القيس الذي مضى زمانه؟ وأي شاعر غزلي يستعير قول غيره ليعبر به عن لوعته إذا كان هو شاعرًا؟ علق بالذاكرة تخميس هذا البيت، ولعله كما أسمعناه الأستاذ عريقات.

أمياسة الأعطاف أخت العنادل تعالي نبث الشوق بين الخمائل
وإن قلت دع مغناي ردت شمائلي أغرك مني أن حبك قاتلي
وإنك مهما تأمري القلب يفعل

إنني لأرى البعد بين القولين كالبعد ما بين القرن العشرين وزمن امرئ القيس، والأدب اليوم لا يقر هذا اللون من النظم؛ لأنه لا يعبر عن شيء إلا تعب الناظم ليلائم بين قديم وجديد، وشتان ما بينهما ...

أما في الأقاصيص، فكانت أقصوصة «لكل شيء نهاية» وصفًا للواقع كما هو، وصف الأستاذ محمد عبد الحليم عبد الله واقع أقصوصته سردًا، ووصف الواقع إذا لم يكن فيه فن يرغب في سماعه أو قراءته، تموت القصة في منتصف الطريق. إن الأقصوصة تتطلب فنًّا يحبكها حبكًا؛ لأنها قطعة من حياة.

وفي روضة الشعر كان شعر الأستاذ محمد الحبوبي موسيقيًّا متماسكًا، ولعله على مذهب من قال: اضحك يضحك لك العالم، حتى قال مخاطبًا من يحب:

وثقي أن أسعد الناس حالًا ضاحك للحياة في كل حال

إن الضحك أحبولة كل طالب صيد، ولعل هذه الفلسفة هي التي يفلح صاحبها في الحياة.

النقد الحادي والثمانون

١ / ١٢ / ١٩٥٤

يظهر أن بحور الشعر نضبت، ولم يبقَ لشعرائنا المعروفين في عالم الشعر إلا العودة إلى دفاترهم العتيقة إن لم نقل إلى دواوينهم، فأكثر ما أسمع فيما يسمونه أمسية شعرية أو روضة الشعر هو من أعتق طراز، ففي الندوة الشعرية أنشدت الشاعرة دليلة رضا قصيدتين، كانت الأولى خيرًا من الثانية، ولعل تفلتها فيها من قيود القافية أضفى عليها تلك الأناقة.

أما الأستاذ عبد العزيز الغزالي، فأنشد قصيدة قالها في الفيوم تستحق أن يحتفل بيوبيلها الفضي؛ لأنه نظمها كما أعلن منذ ربع قرن، ثم أنشد الشاعر أحمد رامي فيومية أخرى، وكلتا القصيدتين لا تشكوان إلا العتق الذي لا يحمد في الإذاعات التي تتطلب الجديد دائمًا. إن دواوين الشعر في متناول المستمعين، وكم سمعتهم يتذمرون من هذه البضاعة القديمة ويتلهفون إلى سماع الجديد.

والأستاذ أحمد يوسف أنشد قصيدة رنانة عنوانها: «تعالي»، فبدا لي أنه شاعر ديباجة أكثر منه شاعر خيال، لقد أحسن إذ اختار الأوزان الخفيفة القصيرة؛ لأن تعبئتها أسهل من تعبئة غيرها، ولذلك فارقته تلك الديباجة المتينة في قصيدته «ذكرى مهاجر» التي من بحر البسيط.

وتحدث الأستاذ خليل هنداوي في موضوع: هل للشعر رسالة، فنفى أن يكون في الشعر أوامر تعطى، وأن الرسالة لا تفرض فرضًا، وخلص أخيرًا إلى القول أن رسالة الشاعر هي رسالة الجمال.

هذا الموضوع يشغل اليوم بال المتأدبين، فكل واحد من هؤلاء يريد أن ينضوي الشاعر تحت اللواء الذي يرفعه حزبه، وإلا فكلامه هراء، أنا أعتقد أن الشاعر بل الأديب لا تصدر له مراسيم، ولا يعنينا موضوعه كما يعنينا فنه، وهب أنه حاول أن يؤدي رسالة فهل يؤاتيه فنه؟ أفلا يلتقي والصحفي على صعيد واحد.

وعالجت سيدة أو آنسة — لم أتثبت من اسمها — لأن الرعد حال دون وضوحه، موضوع تشاؤم ابن الرومي، إن الموضوع مبتذل، وما أكثر من تحدثوا وتحدثن عن تشاؤم ابن الرومي والمتنبي، إن ابن الرومي ولد متشائمًا متطيرًا قبل موت امرأته وأولاده، أما المتنبي فلا يصح أن نحشره في زمرة المتشائمين المتطرفين، فما أبعد التشاؤم عمن يقول:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

إن رجلًا عاش قعيد بيته كابن الرومي لا يحصى مع القائل: الخيل والليل والبيداء تعرفني، فأين من يصارع الدهر طول عمره، من رجل تأخذ بيته أنثى!

كان موضوع «عبودية الإنسان للآلة» الذي عالجه الدكتور حكمت هاشم دراسة قيمة ممتعة تفتح أمام الفكر آفاقًا بعيدة واسعة، يقول الكثيرون منا: لقد قل ظهور الشعراء في هذا الزمان، وهذا حق فالإنسان صار عبدًا للمادة، بل للآلة التي اختزلت المسافة، وحالت دون التأمل والتخيل اللذين يدعو إليهما السير الوئيد، فأين إلهام البواخر من وحي الشراع المتهادي؟!

ويقرب من هذا الموضوع ما عالجته أستاذة الفيزياء الآنسة سلوى نصار، قالت باختلاف نظر العالم والشاعر إلى الزهرة؛ وأظن أن الأمر أوسع مما ذكرت، أرى أن كل إنسان ينظر إلى الأشياء بعين موهبته أو مهنته، أما أخبرنا الجاحظ أنه عندما روى لفاخوري الأبيات السينية التي قالها أبو نواس: تدار علينا الراح في عسجدية ... أنه أظهر إعجابه بها بقوله: هذا شعر لو نُقر لطنَّ، فقال له الجاحظ: إنك تتحدث بلغة جرارك.

قالت الأستاذة نصار: العلم يوصلنا إلى الحقيقة، وأقول أنا: إن العلم يوصل إلى الحقيقة الجافة التي تجهز على الخيال فتقطع الرجاء، ويا تعس من يعيش بلا أمل.

وفي ركن «أزواج أمام الميكروفون» تحدث الأستاذ راجي صهيون عن التكافؤ بين الزوجين الذي يوجد في البيت رأسين، فتذكرت الحية ذات الرأسين التي زعم أرسطو

أنها وجدت، فراح الجاحظ يكذبها. حقًّا إن وجود الرأسين في الجسد الواحد بلية، وما الزوجان إلا واحد.

وقال الأستاذ صهيون: إن مشاركة المرأة للرجل في شئون الحياة كانت بعد الحرب الأولى، مع أن المرأة منذ الجاهلية كانت تشارك في الحرب، كما يتضح من قول عمرو بن كلثوم:

على آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم أو تهونا
يقتن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا إذا لم تمنعونا

الدكتور أنيس فريحة من جهابذة علماء اللغة، ومشكلة اللغة تشغل باله، عالج في تآليفه وبحوثه هذه المعضلة التي لا تحل؛ لأن قلب اللسان العربي رأسًا على عقب لا ينتظر، فخير لنا أن نسهل ولا نبدل، والمجال واسع أمامنا، وما أظن آفة اللغة إلا علماء اللغة ... فمنهم الجامد، ومنهم الطافر، وكلا هذين إن زاد قتل.

أما الأقاصيص فلم يكن فيها ما يلفت النظر، فليت كتابها يُقلُّون من هذا الأدب الفطير.

النقد الثاني والثمانون

١٥ / ١٢ / ١٩٥٤

تحدثت الدكتورة إكرام الصغير بمناسبة ذكرى حقوق الإنسان، واستطردت إلى حقوق المرأة فأفاضت، والذي أراه أننا جميعًا — نساء ورجالًا — نطلب حقوقًا، فمن عهد يسوع إلى زمن محمد إلى الثورة الفرنسية إلى شرعة ولسن بعد الحرب الأولى، إلى التي نعيد اليوم لذكراها، وهذه الشرعات توضع وتعلن، أما ما أدركناه اليوم فليس بالقليل، وهذا ما أوضحه الأديب العلامة الأستاذ فؤاد صروف، لم يهلل الأستاذ لهذه الحقوق وإعلانها، ولكنه راح يعرضها على محك العلم مبينًا الأسباب العلمية الاقتصادية التي دعت إلى إيجادها لاطمئنان الإنسان، وتركيز شخصيته على أسس راسخة، وهذا دأب الأستاذ صروف مؤلفًا ومحدثًا.

وفي باب «من هنا وهناك» نقلت إلينا الآنسة فريدة خوري سلسلة أساطير غنية بالغرائب، وأغربها تحجب الرجال لا النساء، لست أستغرب شيئًا؛ فالتاريخ حافل بالأضداد، فهذه التوراة تخبرنا أن الحجاب لم يكن للحرائر في ذلك الزمان، بل لغيرهن من الآدميات.

كان حديث الدكتورة سميحة فاخوري — شخصية الشهر — خليطًا من العامية والفصحى بلهجة مصرية، والموضوع «الموسيقى الإسلامية»، فماذا كانت تترك لأم كامل لو تحدثت عن الشئون العارضة؟ إن مواضيع رصينة كهذه لا يعبر عنها بهذه الرطانة، ولا سيما أن المتحدثة دكتورة.

وأعجبني من الأستاذ رشدي معلوف تحدثه عن التخصص بالأمومة، ولعلنا نحن أحوج ما نكون إلى هذا، أما قال جبران: وجه أُمي وجه أمتي؟ فما أحرى هذا الوجه أن يكون جميلًا.

وليس هذا كل شيء، بل هناك في هذا الحديث الممتع — حديث رشدي معلوف — شيء آخر طريف، وهو التفريق بين الأم والوالدة، فليست كل والدة أمًّا في نظر الأستاذ رشدي، ولا بدع إن صدر مثل هذا عنه، فقد عودنا فيما يكتب على مثل هذه الاكتشافات في التفكير والتعبير كما نقرأ تحت عنوانه الدائم: «مختصر مفيد».

وتحدث الأستاذ علي الخطيب عن الانتفاضات الأدبية عبر تاريخ الأدب العربي، فوفق إلى شيء كثير، وخصوصًا في ختام حديثه حيث قال: إن أدب النكبة، نكبة فلسطين، كان نكبة فينا. أظن أننا نظلم الشاعر إبراهيم العريض في هذا الإطلاق، فملحمته أرض الشهداء لا تقل وزنًا عن الشعر الذي عده الأستاذ علي الخطيب من الانتفاضات الأدبية.

وكانت جلسة الفكاهة في الأدب العربي معقودة اللواء للدكتور عبد اللطيف حمزة، فأفاض هو والدكتور شوقي ضيف والأستاذ حمودة في هذا الموضوع، ولم ينسوا صاحب البند والعلم في الأدب الضاحك، بل مبدعه في الكتاب العربي، وما أعني إلا الجاحظ صاحب ذلك الوجه الظريف الذي أضحك عصره والذرية، ولا يزال يضحكنا حتى اليوم. إن الضحك عنصر هام من عناصر الحياة، لست أدري إذا كان في الجسم غدة تفرز الضحك، ولو كنت خالقًا لخلقتها كما خلقت غيرها من الغدد الأخرى.

وأحاديث الذكريات كان خيرها وأجمعها حديث الدكتور جبرائيل جبور بمناسبة ذكرى الأمير شكيب أرسلان، إذا عالج الدكتور جبور موضوعًا يخرجه على حقه ترتيبًا وتبويبًا بلغة نقية لا غبار عليها، وقد تمنى حضرته لو يقوم من يدرس الأمير شكيب أرسلان دراسة كاملة، ومن أجدر بهذا من دكتورنا الأستاذ جبور صاحب دراسة عمر بن أبي ربيعة الفذة؟

وفي الجلسة الشعرية النجفية التي قدمها الأستاذ رشاد بيبي كان شعر شباب حقًّا، وإذا أفاض الأستاذ بيبي في تقديمه لهم فهو على حق، فهمزية الشيخ جميل حيدر جميلة، طيبة، مجنحة الألفاظ مدبجة التعبير، بعيدة عن القديم، فجاءت بخلاف ما كنت أتوقع من معقل الفصحى، ومثلها قصيدة الأستاذ محمد الهجري التي قالها في ابنه، فالأماني اخضرت فيها، وألذهن فكرة معطرة. ومن هذا الطراز الموشى شعر الشاعرين الآخرين، وإني أهنئ الأستاذ رشاد بيبي على هذا الاكتشاف، أما اعتذار الأستاذ بيبي

عن حداثة سن هؤلاء الشعراء ففي غير محله، فهذه هي سن الشعر، إننا في حاجة إلى الاكتشاف دائمًا، والشهرة كثيرًا ما تعمي وتصم، فلنفتح أذاننا وأعيننا.

ومن السودان غنانا في روضة الشعر شحرور رخيم الصوت، ولكنه — ويا للأسف — شاعر عامي لم أفهم منه شيئًا، إلا أنني استفدت عبرة، وهي أنه لو تغلبت العامية على الفصحى لانحلت العروة الوثقى بين أقطارنا، ويتم إذ ذاك قول المتنبي: فما يفهم الحدَّاث إلا التراجم.

وفي الأقاصيص كانت قصة الأستاذ محمد روحي فيصل جيدة التحليل والسياق، لم أستغرب عنوانها: «حفلة غرام على البلاج»؛ فالبلاج ليس لزياح القربان، ولا لحلقات الذكر، وقد كان الأستاذ روحي بارعًا جدًّا في طمر ختام هذه الأقصوصة …

وكانت قصة الآنسة سميرة عزام من طراز أقاصيصها الجيدة، ولعل هذه كانت أسهل معالجة، مسكينة بطلة قصتها، فتشت طويلًا عن حبيب جبار، فوقعت في شراك مغامر يكره التأجيل … وما أنقذها منه إلا الفرار.

أما الأستاذ أحمد سويد، فلم يحالفه التوفيق الذي كان يمشي تحت لوائه في أقاصيصه السابقة، فأقصوصته «رسالة إلى …» مقصرة عن أخواتها، لم يعجبني قوله فيها: فامتطيت سيارتي، فالامتطاء كثير على السيارة؛ لأنها في متناول الرجل لا تقتضينا امتدادًا وتطاولًا، ناهيك أن هذه اللفظة قد أمست حَرِيَّةً بدور الآثار.

النقد الثالث والثمانون

٢٩ / ١٢ / ١٩٥٤

«الميلاد عيد الأمل الجميل»، وهذا كان عنوان حديث الدكتور أنيس فريحة، وبهذا بشرت الأوركسترا الملائكية حين أنشدت: المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام والرجاء الصالح لبني البشر، أما الجميل في حديث الدكتور العلامة فهو إزاحة النقاب عن وجوه تلك المساخر التي تنتشر في هذا اليوم الخالد، دلَّ الدكتور فريحة على مصادرها، وفك رموزها، فصارت ذات معنى رفيع، وكبرت في عين الناظر إليها بعد ما كانت مهازل.

إن مفاهيمنا للعيد — ويا للأسف — قد أمست مفاهيم أكل وشرب وثياب جديدة، نغيِّر على ما أجسادنا، وتبقى نفوسنا كما كانت. جميلة هي النظريات التي تحدثت عنها السيدتان الأستاذة زاهية أيوب والشاعرة أدفيك شيبوب، ولكنني أعتقد أنها حبر على ورق، فالسر ليس في فهم العيد، بل في العمل.

ومن نوع مفاهيمنا للعيد كانت جلسة «المواطن الصالح» التي تولى مناقشة موضوعها الأساتذة نقولا بسترس، وزاهية قدورة، وكمال الحاج، لا يجهل أحد كيف يكون المواطن الصالح، ولكننا نحن أحوج إلى من يخلق لنا هذا المواطن، فعلى من يتولون شئون الثقافة والتربية أن يسهروا على تكوينه، فالتعليم غير التكوين. إن المبادئ التربوية كالأصول الزراعية، فعلينا أن نغرس ما يوافق تربتنا، وينمو فيها.

وهناك جلسة ثانية كان موضوعها «الأدب المعاصر والشعر التمثيلي»، بحثها الأستاذ عزيز أباظة مع الدكتور إبراهيم سلامة، والأستاذ عبد المجيد الغزالي، وقرَّ رأيهم على أن الفكرة والعاطفة هما لجميع الناس، والأديب بأسلوبه، وهذا ما عُبِّر عنه منذ البدء

بسحر البيان. أوصى الدكتور سلامة بضرورة درس الآداب العالمية إلى جنب درس أدبنا العربي لتتطور أساليبنا التي تحجرت. نعم، إن التطعيم ضروري في كل شيء، حتى الأدب. أعجبتني تسمية القافية أَمَة متبرجة، فالفكر والتعبير جميلان، ولكن لا ننسى أن للقافية جمالًا، وليست كل قافية أمة متبرجة، فمتى استقرت في مكانها غير مقهورة ولا مجبورة كانت سيدة البيت لا أمته.

إن الشعر — وخصوصًا العربي منه — لا يصلح أداة للمسرحية، تاريخية كانت أم غير تاريخية، المسرحية تقوم على الحوار، وإذا كان الحوار غير طبيعي في النثر فكيف في النظم؟ أما القافية المطلقة فالنثر خير منها.

وتحدث الدكتور أحمد عبد المنعم عن الأدب الجاهلي والقصة، فعدَّ من الأقاصيص حكاية امرئ القيس مع التي سما إليها سمو حباب الماء. أجل إنها قصة، وفي الشعر العربي أقاصيص، ولكن الذين يقولون بخلو أدبنا القديم من القصص إنما يقيسون على أقاصيص اليوم، ومثل هؤلاء مثل من يقول: إن جده كان عريان؛ لأنه لم يلبس على طراز اليوم … إن القصة ابتدأت مذ قال الله للدنيا كوني فكانت، أما الأزياء فتتغير، وسيمسي هذا الجديد قديمًا …

وفي روضة الشعر أنشد الأستاذ محمود حسن إسماعيل شعرًا جيدًا، فكانت قصائده الثلاث من الشعر الرصين المرنان كقوله في إحداها:

فكأنها في ليلة　　　سر يغلِّفه الضمير

وإن كانت لفظة يغلفه أخشن من السر والضمير … أما الأستاذ سعد الدين فوزي فقد أتعبه الشعر القصصي في قصيدته الأولى، والشعر القصصي متعب حقًّا، ولعل قصيدته الأخيرة، وهي وجدانية، قد كانت أشعر من أختها.

وذكرتني قصيدة الأستاذ سالم علوان الحلبي، وموضوعها «عقوق ابن» بقصيدة لبيد: غذوتك مولودًا، ومنتك يافعًا … فما أمر عقوق الأبناء! أما الأستاذ محمد الدوير فقد جمع بين القبر والطير والأجر في قافية واحدة، وهذا غير مقبول.

والأستاذ محمود غنيم استهل قصيدته «مضيفة الطائرة» بقوله: سائلوا الركب، ركب أخت العقاب، مسكينة أخت العقاب إنها لا تصلح أختًا لهذه الطائرة، فإذا سمعت زئيرها كرت إلى وكرها تسأل ربها الستر.

وبعد أن وصف أنس تلك المضيفة وصفًا جديرًا بكل حسناء، ختم قصيدته بقوله:
أنا أشتاق رشفة من رضاب. يظهر أن الجو كان مؤاتيًا، والبال فاضيًا ...

أما الأقاصيص، فكان إلقاء قصة «الوجه الناقص» ناقصًا، نغَّم قارئها، ورخم كثيرًا غير حاسب حسابًا لضعف البث في الساعة الثامنة، ولذلك ضاعت القصة بين الهزيم والترخيم.

وفي أقصوصة «وفاء» أجادت السيدة سلمى الحفار الكزبري في رسم الإطار، وأحسنت أيضًا وصف الناس الذين يتحدثون في العزاء عن الفقيد، بعباراتهم التقليدية.

وفي قصة «حين يبتسم الحظ» ما ترك الأستاذ رضوان مولوي شيئًا مما يقال بمناسبة عيد الميلاد إلا وصفه حتى المطر الغزير الذي هو من متممات جو هذا العيد. هرب بطل القصة المفلس من جو بيته؛ فابتسم له الحظ ورزق مبلغًا حلالًا، مكنه من حمل الهدايا إلى البيت، فشكر الصغار البابا نويل. أما الأم، وقد أعجبها العقد، فأثنت على ذوق زوجها، وهكذا حلت البسمة محل الجهمة، وعيَّدت العائلة.

كانت قصة رضوان المولوي خير أقاصيص هذا المنهاج، وكانت حافلة بدقة التصوير، وحسن السياق، والسير الحثيث نحو الهدف، ومع ذلك بخل عليه المذيع بكلمة «الأستاذ» المبتذلة ... إن على محطات الإذاعة، والمجلات والجرائد أن تكتشف من يستحق وتنوِّه به.

سنة ١٩٥٥

النقد الرابع والثمانون

١٢ / ١ / ١٩٥٥

عقد الأستاذ رشيد شقير جلسة عامرة موضوعها: «الهجرة من القرية إلى العاصمة»، وقد أصاب المتكلمون فيها كل الإصابة، فالقرية لا يُعنى بها أحد، وكل هم الدولة في العواصم والمدن، فالقرية — على ما فيها من عمران — محرومة من جميع أسباب الترفيه، ومع ذلك فالقرى اللبنانية لا يصح أن تُسمى أريافًا؛ لأنها جبلية، والريف إما أرض فيها زرع وخصب، وإما ساحل يقارب البحر، فأين لجبالنا ما لريف مصر من طمي وماء؟ ولكن كتابنا يستملحون ألفاظًا فيقبلون عليها ويلحون.

ورغم إهمال القرية اللبنانية، نراها عامرة زاهرة تتألق على صدر الجبل عقودًا مختلفة ألوانها. إن العمران في لبنان محصور في شطوطه وفي مدن الاصطياف، حتى نستطيع أن نشبه هذا البلد بصندوق تفاح أفخر ما فيه ما يواجهك حين تفتحه، أما الرديء ففي الكعب، ولو صلحت القرية لاستراحت العاصمة من هذا الضغط الذي يؤدي حتمًا إلى الشلل أو الفالج.

وتحدث الأستاذ عز الدين فراج فنعى علينا أننا نلقي كل التبعات على الحكومة، ونطلب منها أن تقوم بكل شيء، وضرب مثلًا على ذلك ما حدث في إنكلترة مرة: سعرت الحكومة اللحم ولم يتقيد بذلك الجزارون، فأعلنت الحكومة أن الكلمة للشعب، فقال الشعب كلمته، وأضرب عن شراء اللحم، فأطاع الجزارون، ورضخوا لأوامر الحكومة.

ومن المواضيع المبتذلة ما حدثنا به السيد كمال قدورة عن الأدب وتذوقه، وقد قال: «إن للأدب معنيان»، وهي معنيين؛ لأنها اسم إن مؤخر. وكذلك كان موضوع السيد

بشير جحى «الشاعر والإنسانية»، فمثل هذه المواضيع إذا لم يبتكر صاحبها شيئًا كانت سوادًا على بياض، تحدث الأستاذ جحى عن الشاعر والإنسانية، ولكنه لم يقم دليلًا على ما يستفاد من عنوانه في الشعر الذي رواه لشوقي، وحافظ، وبشارة الخوري، ورشيد الخوري، لم يروِ لهم إلا الغزل، وما أرى الغزل برهانًا على عنوان موضوعه.

أما كلمة الأموي بضم الهمزة، فهي أموي بفتحها، ولكن قل من يعير هذه الهنات اهتمامًا، فجل كتابنا يكتبون ولا يقرءون.

وفي ركن الأدب تحدث الأستاذ عبد الوهاب حمودة عن الصدق والكذب في الفن، وحاول أن يبرر كذب الشعراء، ويقربه من الصدق، إن الفن ليس علمًا، وهو متى صار حقيقة فقد جماله؛ ولهذا كانت الاستعارة من أروع ضروب البيان، والمصور الذي يدقق في كل خط ليأتي ما يرسمه طبق الأصل لهو رسام لا مصور فنان، وقد أجاد الأستاذ حمودة حين وقف عند كلمة ضاحك في قول المعري:

رب لحد قد صار لحدًا مرارًا ضاحك من تزاحيم الأضداد

والبؤس في شعر نسيب عريضة الذي دل عليه الأستاذ روكس بن زايد العزيزي سببه جنوح بعض الشعراء المهجريين إلى الصوفية، وهي بضاعة قديمة يعرضونها اليوم بعد أن بارت سوقها، لا بد للأدب من بعض ومضات صوفية، أما أن تطغى عليه فأمر غير مستحب، أحسب أن المادية الأمريكية الطاغية هي التي أنمت شعور الشاعر نسيب عريضة بالبؤس الذي انحرف إليه، كما توجه أبو العتاهية إلى الزهد في زمن فاض فيه بحر الملذات.

وجلسة «مستقبل القصيدة في الأدب العربي» التي تحدث فيها الأساتذة العوضي الوكيل، وعثمان نويه، وهلال … كانت جلسة مدرسة، قالوا فيها: إن القصيدة قديمًا كانت وحدها أداة نشر، وإن الشعر العاطفي الإنساني يبقى، وتذمروا من أدعياء الأدب الذين يستأثرون بالقراء السطحيين، وزعموا أن الشاعر يقلد الحياة، فكلمة تقليد هنا تحط من قدر الشعر؛ لأن الشاعر الحق يخلق مرئياته خلقًا جديدًا حين تحبل بها ذاته وتلدها، وإلا فهو ليس بشاعر.

وارتأوا أخيرًا أن القصيدة ستبقى للتلحين، وتساءلوا عما إذا كان النثر يلحن كأنهم يجهلون أن عندنا نثرًا يلحن، بيد أن الشعر أقرب إلى التلحين وأسهل؛ لأن بحور الشعر ألحان …

وكانت الأحاديث في موسم العيدين تترى، وخيرها وأبلغها حديث الأستاذ ميخائيل نعيمة الذي عنوانه: «لمن التهاني؟»

وقال ميخائيل: فلو كنت من المتشائمين، ثم لم يعجبه أحد في هذه الدنيا من روحيين وزمنيين، فلا أدري كيف يكون التشاؤم إذا لم يكن في مثل هذا الكلام المختوم بتغضبات نبوية أشبه بما نطق به أرميا وأشعيا وعاموس. إن الأستاذ نعيمة يظهر باسمًا غير متشائم، ولكن ابتسامته حزينة.

وقال الأب ميشال حكيم في هذه المناسبة: إن البقايا المتهدمة كالأهرام، وغيرها لا تنطق بشيء، مع أن كل أثر في هذه الدنيا يكلمنا اعتبارًا. نعم إنها ليست بذات تعاليم إلهية كالمسيح، ولكنها تقول شيئًا عظيمًا، ولولا هذا لما قالوا في الإسكندر: وأنت اليوم أوعظ منك حيًّا.

وبهذه المناسبة، أي مناسبة العام الجديد، كان زجل الأستاذ وليم صعب حافلًا بالوطنية والعقيدة القومية، كان زجل وليم أقرب إلى اللغة الفصحى منه إلى العامية، وهو لو ابتعد عنها في زجله لكان ذلك أكمل، فالفصحى تبعد الزجل عن طبيعته.

والأستاذ نعيم مغبغب، وزير الأشغال العامة اللبناني، كان أبرز شخصيات الأسبوع فصاحة وبلاغة، كما كان وزيرًا مفلحًا حازمًا، وهكذا جمع بين القول والعمل، فأزال خوفنا من محل الرجال.

أعجبني قول الأستاذ أنور أحمد في قصته «الينبوع»: الجمهور طفل صغير عقله في أذنيه، القصة جيدة، وهو لو وقف حين أغمي على «هناء» لكان ختامها أبرع. عد علماء البديع براعة الاستهلال وحسن الختام من جمالات القصيدة، والقصة قصيدة منثورة.

النقد الخامس والثمانون

١٩٥٥/١/٢٥

قالوا في أبي تمام: إنه في انتقائه شعر ديوان الحماسة أشعر منه في ديوانه، ولعل هذا القول يصدق في الآنسة سميرة عزام، فهي فيما تختار للترجمة من الأقاصيص تحسن كل الإحسان، أقول هذا ليس لأن أوسكار وايلد كاتب مشهور، فكل كاتب عنده غث وسمين، ولكن أقول هذا لأن الآنسة عزام تختار ما يلائم المستمع، فما كل قصة تأخذ بتلابيب المستمع ولا تدعه.

وإني لأعجب من كتاب القصص كيف يتهافتون على قصعة واحدة، ترى أليس في الحياة غير أحبها وأحبته؟! ينصب الكاتب على ما يظنه تحليلًا نفسانيًّا، ويروح يلحم ويسدي في فكرته حتى بدر الدين: كانت وكان، وكان هو الآخر، عشرات المرات حتى أمست قصته باردة بطيئة تسير على عكاكيز.

أما قصة «رغيف أسود»، وأحسبها لزهير مرزا إذا لم تخنى أذني في تلك الساعة المشوشة، فقد كانت حسنة السير، وكان بطلها بارزًا كل البروز، يجاهد من أجل رغيف أسود ينتظره أبوه اللهفان، وأخيرًا ذهب البطل البر بأبيه شهيد الخشكار ... القصة حسنة التعبير والتصوير، وكان في استطاعة الأستاذ لو صبر على «رغيفه» حتى يختمر

أن يجود عبارتها أكثر، فلا يقول: أستدين من جيراني خبزًا. أما تذكر قول بشار لابن برمك:

فاطعم وكل من عارة مستردة ولا تبقها إن العواري المرد

وكذلك قال الأستاذ محمد بدر الدين: وكان هو الآخر، وهذا التعبير غلط، ولو استعمله كبار كتابنا، والوجه أن يقال: وكان هو أيضًا؛ لأن الضمير لا ينعت ولا ينعت به، إن تجويد عبارة القصة، وتصحيحها ضروري جدًّا؛ لأن الأقصوصة قطعة فنية كالقصيدة والمقالة وغيرهما.

الأستاذ نقولا بسترس كان طليعة الشعراء الجدد، ولكن الوظيفة شغلته كما شغلت غيره ممن كان يرجى أن يكونوا شعراء وأدباء كبارًا لو ثابروا، ونقولا قلما أحب الظهور في المنتديات والصحف، فشكرًا لمحطة الشرق الأدنى التي أسمعت الناس صوته الزجلي والشعري، كان نقولا في ضحى شاعريته يسابق سعيد عقل في شعره الجديد حتى خشي عليه سعيد منه، وها هو اليوم يسمعنا زجلًا في روضة الشعر كما فعل سعيد في الندوة اللبنانية. إن زجل الاثنين غير موفق؛ لأنهما شاعران فصيحان، وزجلهما مشوب بالفصحى، والفصحى ليست له، فلعلهما يحسنان صنعًا إذا تركا هذا اللون الشعري لميشال طراد، وأسعد سابا، ومبارك، وغيرهم.

أما شعر بسترس الفصيح فلا غبار عليه، وهو من الطراز الأول بين الشعر الجديد، فليكتف به، وما له وللزجل. وإذا كان ناصيف اليازجي، وإبراهيم اليازجي، وإبراهيم الحوراني قالوا الزجل قبلهما فقد قالاه على حقه.

ومن أصغى إلى الحفلة الزجلية التي أذيعت وداعًا واستقبالًا للعام الجديد يرى رأيي في زجل الأستاذ وليم صعب، فهو زجل مفصح، أو شعر مسكن، أنصتُّ إلى زجليته الهائية، فإذا بها عنترية النفس، ولكن ليس فيها ما في زجل حنينة ضاهر من نعومة الزجل وحنانه، كل ذلك لأن وليم أميل إلى الفصحى منه إلى العامية.

وكانت إلى الأستاذة أمينة السعيد ندوة بحثت الصداقة، وكيف نكسب الأصدقاء. إن اكتساب الأصدقاء ليس علمًا وإن كان العلم يفيد فيه، أظن أن هذا طبع، فالبعض مهما تزلف لا يستطيع كسب أحد، بينما نرى الآخر يكتسبهم بلا عناء. قالت السيدة أمينة: الأنانية أعدى أعداء الصداقة، وهذا عين الصواب.

وقال الدكتور علي الوردي في حديثه عن الهوى: وعين الرضا عن كل عيب كليلة، وقديمًا قيل: الحب يعمي ويصم، كما قال المتنبي: ولا رأي في الحب للعاقل. وخلص الدكتور أخيرًا إلى القول: إن خمسين بالمائة من عقود الزواج تنفصم قبل مرور خمس سنوات عليها، ورأى أن إطالة زمن الخطبة تحل هذه المشكلة، فهو يسمع من يستعجل فلا يقع في الكمين؟ فخير لخاتم الخطبة أن يرفض من أن تفصم سلسلة الزواج.

وكان حديث الأستاذ محمد فريد أبو حديد، ورفاقه الأساتذة كمال وأحمد حول المؤتمرات الأدبية التي انعقدت في الصيف الماضي، فرأوا أنها لم تفك شيئًا من مشاكلنا، فالمصطلحات العلمية لم تزل حيث هي، ولم نفز إلا بالتوصيات. إن التوصيات توصيات — يا أستاذ — والمؤتمرات في نظري تعقد ولا تحل.

ورأى أساتذة هذه الندوة أن المؤتمرين كانوا من الكلاسيكيين، وهم يريدون أن يشاركهم المحدثون؛ لعلهم يريدون أن يقولوا من الشيوخ، فاستبدلوا كلمة بكلمة، والله أعلم. قد تكون المؤتمرات العتيدة من الكلاسيكيين وغيرهم كما يتمنون، ولكنهم في كل حال لا يفضون مشاكلنا في اجتماعاتهم هذه.

وحدثنا الأستاذ محمد قرة علي عن الشعر المهجري فأفاد وأمتع، وله في هذا الموضوع كتاب يجدر الاطلاع عليه، ففيه مختارات رائعة مما تفرق من آثار هؤلاء الشعراء الذين كان لهم فضل المجدد.

النقد السادس والثمانون

٩ / ٢ / ١٩٥٥

منذ قرون قال الإمام العادل عمر بن الخطاب: الشعر ديوان العرب، ثم قال بعده الجاحظ ما معناه: إن الشعوب خلدت ذكرها ببنيان القصور والحصون، أما العرب فخلدوا مآثرهم في شعرهم. وكما تحدث الأستاذ بيبي عن وفرة الشعر في العراق، كذلك قيل فيما مضى عن الأندلس؛ أي إنه قلَّ منهم من لم يقل الشعر، ففي جلسة ندوة الشرق الأخيرة أنشد شاعران وشاعرة شعرًا له في السمع وقع طيب، فالآنسة أميرة نور الدين تنقاد لها القافية، وفي قولها عاطفة حارة لو انضم إليها خيال بعيد المدى لجاءت مجلِّية، وزميلاها الأستاذان خاشع الراوي وفؤاد عباس يجاريانها في هذا المضمار، وإن لم ينالا في تلك الجلسة ما نالته الآنسة من استحسان صارخ.

أما الشاعر رياض معلوف الذي كان بلبل «روضة الشعر»، فأجاد في أول مقطع أسمعناه إجادة تستحق التمجيد، أما المقطع الذي يقول فيه: فرحتَ وراحتْ عيوني معك، فتغلب فيه رائحة الزجل على رائحة الشعر، والمقطع الأخير الذي قال فيه: ولطفك فاق كل الناس لطفًا، لست أدري ماذا أقول فيه ... فإذا كانت في الشطر الأسبق صورة تذكرنا بنثر بديع الزمان: وسافرت خلفها العيون، فهذا الشطر ليس فيه شيء، فهو إلى كلامنا الذي نتفاهم به أقرب منه إلى الشعر.

وهناك شاعر ثالث من شعراء الروضة لم ألتقط اسمه قال في « ٢٠ / ١» شعرًا عتيق الطراز، جيد السبك، ولكنه مبتذل الفكرة كقوله: يغيب البدر إن ظهرت التي يتغزل بها. إن آفة شعرنا عبارته التقليدية، وفكرته المبتذلة.

وتحدث الأستاذ محمد سعيد في «ركن الأدب» عن القصة التي تشغل اليوم الحيز الأكبر من الأدب، وعزا تأخر قصتنا إلى أسباب محيطية، منها: الحجاب، مع أنه يساعد القصصي الملهم على الخلق، أما القصص المستوحاة من التاريخ التي أرشد الأستاذ القصصيين إليها، وحثهم على معالجتها فقد ذهب زمنها، فالقصة المرغوب فيها اليوم هي تلك التي تؤخذ عناصرها من الذات والمجتمع وتصورهما، لا يعني هذا أن الكتابة في التاريخ قصصيًّا لا تجوز، فالسر ليس في موضوع القصة، السر في إخراجها، فالسياق والحوار وتصوير الأبطال، وتحليل نفسيتهم، وإحياء الشخوص حتى تتحرك، هي من مقومات القصة الناجحة. وأخيرًا إن القصصي الموهوب لا يقال له اعمل كذا كذا، إنه يعمل ولا يدري لماذا يعمل.

وبعد، فأنا غير متشائم، أرى أن خطى أدبائنا سريعة، وقصتنا تسير إلى الأمام، ولكننا نحن كغيرنا من الشعوب لا نقيم وزنًا للحاضر، إننا كتلك النباتات «البطاطا والبصل» مثلًا، خير ما فيها تحت التراب، والتقليد يعمي أبصارنا، فلا نسمع بأديب أجنبي راجت كتبه حتى نحذو حذوه أو نسرقه.

وما زلنا نتكلم عن القصة، فلنقل كلمة عن أقاصيص هذا المنهاج، فقصة «غسالة الكهرباء» للآنسة سميرة عزام جيدة، وكان ختامها رائعًا كأنه قطة القلم، ليت الآنسة عزام تتجنب اللفظ العامي غير الفصيح؛ فإنه وإن أدى المعنى كاملًا فهو ينقص من قيمة الأقصوصة من جهة أخرى، إنها تجد إذا فتشت، ولكن العامي الفصيح لا يأتي عفوًا كالتعابير القديمة التي تنفثها أقلامنا، ولا نحس بها.

إن غسالة كهرباء سميرة عزام تشبه في غرضها قصة «تراكتور المحامي» أحمد سويد، وكلتاهما طريقتان جيدتان. أما قصة «الحجية» للسيد جعفر الجليلي، فلا أذكر أين سمعتها أو قرأتها، فكل ما أذكر هو أنني عرفتها معرفة وجه.

وكان حديث الشهر للأستاذ خليل الهنداوي، فتحت عن النشاط الأدبي في العواصم العربية، وأعجبني منه تعليقه اللبق على محاضرة أحد العلماء الأفاضل الذي زعم أن اللغة العربية أصل جميع اللغات، فقال الهنداوي: إن الشيخ مدفوع بقوميته لا برهانه.

وأفاض الدكتور حكمت هاشم في تعريف المدنية والحضارة، فنفى أن تكون البحبوحة المادية مقياسًا للمدنية والحضارة، فالمدنية توازن بين المادة والروح، وإذا طغت المادة كان الانهيار. ثم عرج على جورج ديهامل الذي حدد المدنية على أنها نظام لا هرج ومرج.

الدكتور حكمت هاشم مفكر رصين، عادل في أحكامه، وهو يتناول غالبًا المواضيع البكر التي قلما تعالج.

أما سلسلة أحاديث المستشرق تشارلز بكنجهام، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة مانشستر في بريطانيا، ففيها الكثير من الصراحة والجرأة والإنصاف مما لا نقع على مثله إلا في هذه الأحاديث التي لا مواربة فيها ولا لبس، ولا محاباة؛ فهو يوضح بكل جلاء ما أدى به إليه تفكيره حين يتكلم عن أعجوبة الفتح التي لم يمر بمثلها التاريخ في مراحله العديدة، كما أرخ انتشار اللغة العربية في الغرب تاريخًا دقيقًا، وكيف نظر مفكرو الغرب بعد تعلمها إلى الثقافة العربية واحترموها، ثم كيف كانت لغة الضاد لغة الفلسفة والعلوم، فحفظت الثقافة العامة زمنًا ثم سلمتها إلى الأجيال المتتابعة.

ونحن نشكر أمانة هؤلاء العلماء الذين كانوا قيمين على كنوزنا الثقافية، فحفظوها ولم يفرِّطوا بها، وها هم يتولون نشرها لتنتفع بها الإنسانية.

وتحدث الأستاذ جورج هارون عن شاعر فرنسا فيكتور هيغو، فدرسه دراسة وجيزة ممتعة، فليته يخص أحد شعراء العرب، أو أحد أدبائهم، بدراسة قيمة كهذه. إن أكثر ما نسمع من أحاديث عن أدبائنا في ذكراهم ليس له هذا العمق والشمول، ولعل قلة المصادر والدراسات والنقد هي التي تحول دون ذلك.

النقد السابع والثمانون

١٣ / ٢ / ١٩٥٥

عن «الضمان الجماعي في لبنان» تحدث الأستاذ رشيد شقير الباحث المختص بشئون العمال أن هذا الضمان صغير السن، ولكنه عندنا ما يزال طفلًا يحبو، فالتفكر بالعجز والفقر رهيب جدًّا. تصور أن أحدهما يرعد المفاصل، فكيف بهما إذا اجتمعا؟ ففي نظري أن الضمان الجماعي هو أقدس عمل تعمله الحكومات، وأحسب أن هذا الركن في محطة الشرق الأدنى هو أحد الأركان الخطيرة، وأجلُّها فائدة لمن نزلت شمسهم عن ميزانها.

وكان الحديث عن الفتوة العربية للأساتذة رامي والغزالي وأباظة، فاستعرضوا في جلستهم الخيل والرماح والسيوف والنبال استعراضًا، فصح فيهم ما قيل: الشعر ديوان العرب، لقد استنطقوا الشعراء منذ أقدم العصور فوجدوهم يعتزون بالفتوة، ويباهون بها، وكلمة فتوة لا تزال على ألسنتنا اليوم نعتز بها، فإذا مدحنا رجلًا جمع الشجاعة والكرم قلنا في العامية: «فلان فتى»، فكأننا جمعنا فيه مكارم الأخلاق كلها، ولعل عوامنا إنما يعنون الكرم قبل كل شيء؛ لأن الكريم لا يكون إلا شجاعًا، قال لي والدي مرة: الشجاع هو الذي لا يكون عنده إلا عشاء ليلة، ويقدمه للآخرين، لا الذي يضرب ويقتل، فليت جميع الطلاب أصغوا إلى هذا المعرض الأدبي ليعرفوا متى عرض عليهم بحث أدبي من هذا النوع كيف يعالجونه، ويلمون بأطرافه من جميع نواحيه.

وفي حديث «الصحافة صانعة الأدب الحديث» قال الدكتور عبد اللطيف حمزة: الصحافة أدب واقعي يعنى فيه الصحافي بغيره لا بنفسه، وأظن أن الشاعر القبلي، وهو صحافي ذلك الزمان، كان يعني بغيره وبذاته معًا. إن الصحافة هي أساس الأدب الحديث، فالأمر كذلك ليس عندنا فقط، بل في كل أُمة من الأمم الحديثة، فهؤلاء مؤرخو الأدب في كل أُمة يرون أن الصحافة أقوى العوامل التي مكنت للأدب في الأذهان، وخلقت فيه فنونًا جديدة كانت لها غذاء ووسيلة للانتشار، فكل كتَّاب العصر الحديث مدينون للصحافة إن لم يكونوا هم صحافيين، وللصحافة المثلى فضل على اللغة عظيم؛ لأنها حضَّرتها وطوَّرتها، وحلت محل المجامع عندنا، فكم من لفظة وضعها الصحافيون القدامى، ولولاهم ولولا صحفهم لم تكن.

ولا ننسى الصحف الهوائية، أعني الإذاعات، فهذه أيضًا — وإن كانت حديثة العهد — قد وجهت الأدباء في سبل جديدة ما كانوا يسيرون فيها لولا الإذاعة. إن أدب المقالة ضعف شأنه في صحف أيامنا، ولكن الإذاعة تعنى به عناية الصحفيين القدماء بمقالتهم الافتتاحية.

والقصة الصغيرة التي وصلت إلى ما وصلت إليه من التقدم قد أبصرت النور في الصحافة، وأفسحت لها الإذاعة في مجال برامجها، فمشت قدمًا. لقد عالج الدكتور عبد اللطيف حمزة موضوعًا يكاد يكون جديدًا، وليته يعيد الكرة فيذكر الجيل الحاضر بمن غبروا، وكان لهم أكبر الفضل؛ لأنهم جاهدوا وتعبوا كثيرًا، ولولاهم لما بلغت صحافتنا هذه المرتبة الخطيرة.

إن ذاك الرعيل المنسي يستحق أن يذكر الناس به، في الصحف وفي الإذاعات والكتب؛ لأنهم بناة أدبنا الحاضر الذي نشأ صحفيًّا كما نشأت كل آداب الأمم الحديثة.

وفي «روضة الشعر» أنشد الأستاذ سليم الزركلي قصيدة عنوانها «حيرة»، فكانت شعرًا شديد الأسر مليئًا بالموسيقى، وكذلك القصيدة الرائية، وهي من بحر الطويل، وهذه الأخيرة غنية ببلاغتها أكثر منها في معانيها وصورها، وكم تمنيت لو سمح لي الجو المشوش أن أسمع قصيدته «الخيال المغامر» لأرى مقدار خياله فيها، ولكني كنت عند سماعها في جهد جهيد، بل قل كنت كمن يصارع الجو.

وفي البريد الأدبي سمعت للأستاذ بشير جحا مقطوعات شتى من الشعر، وقد سمعته يقول عشعش، وهي عشش، وقال في قصيدة: ولكننا رغم ... عشيقين، وهي عشيقان، أما الشعر فليس من الطراز العالي، وهذا نموذج منه قال:

لم يكن حبي له عن غاية	إنه حب شريف بالنظر
هيفاء، إني نظمت الشعر مبتكرا	هل ينظم الشعر إلا فيك مبتكرا

كما قال — أطال الله عمره — في قافية بيت: وأبكي علي المراثيا ...

أما السيد رزوق إبراهيم رزوق، فأذكر أنني سمعت له قديمًا شعرًا أعجبني أكثر مما سمعت، ولعل الأستاذ رزوق أراد أن يبني شرفات وخرجات في عمارته الشعرية، فلم يؤثر كثيرًا في الأذن، وربما كان مثل هذا الشعر يصلح للقراءة أكثر منه للإنشاد الذي يعتمد على الإيقاع. وعلى كلٍّ لم يبرح السيد رزوق جوه الشعري رغم تفكك قوافيه.

وكان للكاتب حديث وصف فيه الأستاذ عيسى ميخائيل سابا ما يعانيه المؤلف ليخرج كتابًا يتمتع به القارئ غير ذاكر ما تقتضيه المؤلَّفات من تعب في سبيل إخراجها. وعتب أخيرًا على أغنيائها الذين يتنافسون في اقتناء السيارات وغيرها، ولا يقتنون كتابًا. إن الأستاذ سابا مؤلف وله كتب، وفيه يصح قول شاعرنا: لا يعرف الوجد إلا من يكابده.

النقد الثامن والثمانون

٩ / ٣ / ١٩٥٥

الأستاذ راجي الراعي كاتب من الطراز الأول، ومثقف واسع الثقافة عميقها، لا ينقطع عن التفكير في المسائل الكبرى مثل: مشكلة الحياة التي حدثنا عنها، أعجبه رأي الدكتور موريس فرنيه في كتاب «مشكلة الحياة»؛ إذ قسم الطاقة الحيوية إلى ثلاث دوائر، الجسد والروح والنفس، فالروح ترى في المرئيات، والنفس ترى في ذاتها، وتتصل بالخالق، فالمنطقة السفلى والوسطى هي الروح، والعليا هي النفس رفيقة الله، تعطي رفيقتيها الحياة، ولا تأخذ منها شيئًا، ثم خلص إلى القول أن معضلة الحياة لا تزال مجهولة، وهي طاقة حيوية تمارس واجباتها في الجسد. والأستاذ مطمئن إلى تفريق فرنيه بين الروح والنفس.

إنها معضلة لا تحل، وستتعب الفكر والمفكرين إلى ما شاء الله، فلا راحة إلا في الإيمان، وهنيئًا لمن له منه مقدار حبة خردل. إن العقل لا يحل هذه المشكلة العظمى، فلنفتش عن غيره؛ فلعلنا نجده، ونجد عنده حل مشكلتنا، فلننتظر أصحاب الصحون الطائرة، والآتي قريب؛ فقد يكونون أوسع مدارك منا كما قيل فيهم.

وتحدث الأستاذ عبد الحميد ياسين عن التربية البناءة، فذكرني بقول أساطينها: إن الفتى تنور يحمى لا وعاء يملأ، وإن التربية صقل لإظهار العرق الأصيل في الشخصية لا طلاء ودهان، فعلينا أن نربي أولادنا تربية مستمدة عناصرها من عرقنا، وإذ ذاك نبلغ الهدف من التعليم. كان حديث الأستاذ ياسين ممتعًا ومفيدًا، وحبذا لو عمل به.

وكنت أتوقع من الدكتورة زاهد حميد باشا أن تتناول في حديث الشهر أشياء من ماجريات الشهر، فإذا بها تتناول ما يقع تحت غير هذا العنوان، ولكنها أجادت فيما بحثت، وليس على الكريم شرط كما يقولون.

أما الدكتور نقولا زيادة فلم يخرج — وتلك عادته دائمًا — من دائرة موضوعه، فحدثنا عن محاضرة الأستاذ فؤاد كنعان في الندوة اللبنانية التي تركت دويًّا في الأوساط الأدبية. إن الدكتور زيادة من أمهر المناقشين عندنا، وقد ناقش الأستاذ كنعان كما ناقش عدة نقاط من محاضرة السيد عنبرة سلام الخالدي، وأجاب عنها جوابًا حكيمًا. أما الطائفية، وهي من النقاط الرئيسية في محاضرة السيدة الكريمة، فلها عندي دواء، وهو ألا نذكرها أبدًا في محاضراتنا وأحاديثنا إذا شئنا أن نقضي عليها.

وفي ركن الكتب الحديثة كان للدكتور صفاء خلوصي نصيب من الكلام، فتحدث عن أقاصيص الأستاذ جعفر الخليلي، وهي مجموعة تتضمن ستًّا وعشرين أقصوصة، فحلل أكثرها، وقرظها تقريظًا جميلًا، الدكتور جميل صفاء قاص، وكنت خشيت أن يقصر حديثه على الثناء، فإذا به لم يحرم المؤلف والمستمع من النقد العادل، وهكذا يكون النظر في الكتب.

وكان حديث الأستاذ سليم الزركلي، وعنوانه: «عقدة نفسية»، مكتوبًا بفصاحة وبلاغة منمق العبارة، مفيدًا لمن يراقب نفسه ويدرسها، وفي بريدنا الأدبي ورد حديث عن القصة، وقد تكرر هذا البحث في هذه الآونة، ومن هذه المحطة. إن بحث هذا الموضوع لا يخلق القصصي المنشود، لا يخلق القصصي إلا التجارب والثبات، فخير للشباب أن يحاولوا كتابة قصة واحدة من أن يتعلموا أصول كتابة القصة، فليطالعوا كبار كتَّاب القصة ويتأملوا؛ فذلك شحذ لأذهانهم، وإظهار لمواهبهم، إن كان ثمة موهبة.

وفي هذا الركن أيضًا تحدث الأستاذ إبراهيم مطر عن القلق، وقال: إن النوم هو الراحة، فذكرني بقول فيكتور هيغو: النوم موت مؤقت. وقال المتحدث: إن عدم الإيمان بالله هو من أسباب القلق، ولا أدري كيف يكون هذا؟! أعرف أناسًا غير مؤمنين وينامون على فرد جنب من المساء إلى الصبح.

وفي روضة الشعر أحيا لنا الأستاذ إبراهيم الوائيلي عهد الإنشاد، ولا بدع؛ فهو عربي أصيل كما تنبئنا نسبته، أنشدنا فأطربنا، وكانت قصيدته السينية من الشعر العريق، ألفاظها منتقاة متقارنة قرانًا مباركًا، تفوح منها رائحة العروبة الذكية، وهو لو لم يطلق سراح القافية في آخرها لقلت إنه لم يفارق عمود الشعر.

وكانت جلسة ندوة الشرق الأدنى في بيروت، وفيها بحث الدكتور علي سعد، والأستاذان أحمد أبو سعد ومحمد عيتاني موضوع اللغة العربية والحياة، وهل تستطيع أن تعبر عن أفكارنا وحاجاتنا؟ الموضوع يشغل بال الأدباء اليوم، وإني لأعجب كيف يكون التراجمة للسريان في العصر العباسي أقدر من مجامعنا العلمية اليوم؟! أيطوع السريان لغتنا ويخضعونها للتأدية عن أفكارهم، ونعجز نحن؟ لقد كانت مهمتهم أشق من مهمتنا، ومع ذلك لم يتراجعوا، ولم يتساءلوا، بل عملوا، فما علينا إلا أن نعمل.

العامية بعجرها وبجرها لا تصلح، كما أن مومياءات الفصحى قد فارقتها الحياة، واللفظة الميتة كالجثة، فكيف نرجو للكلام حياة إذا عبرنا بها عنه، فلنكن حكماء، ففي مكنتنا أن نسلك إلى غايتنا طريقًا وسطًا، أي في استعمال العامي الفصيح الذي انتقاه لنا العوام.

النقد التاسع والثمانون

٢٢ / ٣ / ١٩٥٥

كان القدامى من شعراء ونقاد يقيمون للتعبير أكبر وزن، وكانوا يقولون: هذه لفظة شعرية، وهذه غير شعرية، وكان على من يقول الشعر أن يتحاشى كتابة النثر؛ لئلا يتأثر أسلوبه بتعبيره، ولهذا ذكر ابن خلدون في مقدمته أن أحد الأيمة قال: هذا شعر علماء، حين روي له هذا البيت:

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالي

ولما قيل له: وكيف عرفت؟ قال: من قوله ما الفرق؛ لأن هذا من تعابيرهم.

وكانوا يجلُّون العلماء عن أن يقولوا الشعر، وفي ذلك قال أبو حنيفة:

ولولا الشعر بالعلماء يزري لكنت اليوم أشعر من لبيد

ومع ذلك كان من القضاة شعراء وإن لم يبلغوا القمة، وهذا ما أفاض فيه الأستاذ سليمان محمد أباظة، والأستاذ الغزالي في الجلسة التي كان موضوعها: القضاء والشعر والأدب، رحم الله السلف من باحثين ونقاد، فقد ضيقوا على الشعراء كثيرًا، وحطوا من قدر الشعر، وجنوا على هذا الفن إذ رفعوا للشعر عمودًا، وعلى قياس هذا العمود جعلوا المتنبي والمعري ساقطين عن رتبة الشعراء.

روى الأستاذ أباظة ورفيقاه شعرًا طريفًا لقضاة عديدين، ولولا هذا التزمت القديم لكان لنا شعر كثير ينبع من جميع الطبقات، ولكن الأدب كالأزياء يتغير ويتبدل في كل زمن، ورحم الله من قال: كما كنا تكونونا.

وهذا الأستاذ محمد سعيد العريان يجاري سواه ممن يقولون اليوم بتوجيه الأديب، تحدث عن أدبنا القومي من شعر ومنثور، وبعد أن وضع للأدب عمودًا جديدًا راح يتحدث عن الأبراج العاجية، وعن الفن للفن، ويتساءل: أين الشاعر القومي، والكاتب القومي، والقاص القومي؟ وكان الجواب: لا أرى أحدًا، ثم قال: إنهم آحاد بين آلاف.

أنا لا أعتقد أنه يوجد أدب لا غاية قومية له، فكما أن الأديب لا يخرج من ذاته، كذلك لا يخرج من مجتمعه، فالمجتمع هو الينبوع الذي تستقي منه الأقلام، وكل أدب فيه توجيه وهو لا يبرح دائرة الحياة مهما بدا لنا مبتعدًا عنها، أما إذا كنا نريد الأدب وعظًا سافرًا فهذا لا يكون له حظ كبير من الفن، ويصبح من عمل الصحفي لا الأديب الذي تفتش سفينته دائمًا عن منارة الفن.

وهنالك فرق بين الأدب الموجه، فليوجهنا الأديب مخلصًا شرط ألا يكون هو موجَّهًا، فلا نفصِّل للأديب ثوبًا يلبسه؛ لأنه إذا كان لا يحسن تفصيل ثوبه فهو ليس بأديب.

قال الأستاذ العريان: ليس عندنا أدباء قوميون، بل محليون، وأنا أظن أن معظم أدباء العالم الكبار هم محليون، فهل خرج كرامازوف، وغوغول، وفلوبير من محيطهم في روائعهم الخالدة؟ قد يكون كتَّابنا محليين، ولكن هذه المحلية تتألف منها مجموعة قومية موحدة متى شئنا، إن الذي يبقى من آثار الأدباء هو الذي يلامس الحياة، ولا أخال أن أحدًا من الكتاب والشعراء لا يلامس الحياة ولو بمقدار.

وتحدث الدكتور علي الوردي عن طبيعة العقل البشري، فخلص إلى القول: إن هذا الإنسي وحشي بالطبع، مدني بالتطبع. ليت الدكتور، وهو ابن هذا العصر كان حدثنا عن غير طفل ابن طفيل، وهذا ما ينتظر من عالم يحمل لقب دكتور، لقد تقدم درس طبيعة العقل البشري أشواطًا حتى صارت حكاية ابن طفيل من طفيليات العلم.

وفي روضة الشعر كان شعر الشيخ علي الصغير من الطراز الكلاسيكي معنى ومبنى، شديد الأسر، حسن الرصف، وقد علق بذاكرتي قوله: متى كان بين القلب والبحر مضمار. أجل، إن القلب ضعيف، ولكنه يجاري الدنيا لا البحر وحده، وقد كانت قصيدة الشيخ علي الأخيرة أروع ما قال، وكنت أود أن ألتقط منها شيئًا، ولكن رداءة الجو حالت دون ما تمنيت.

وفي بريدنا الأدبي ازدحم أربعة شعراء في ذلك المضيق، وقد بدا لي أن عنوان قصيدة السيد إلياس عبدو، «الواحة الضائعة» أشعر من شعره انتظرت الكثير من هذا العنوان، ولكن الكتاب لم يعرف من عنوانه هذه المرة، فالخيال ضعيف، والتعبير لا شاعرية فيه.

أما حيرة الشاعر الأستاذ خالد نصرت فأجود من قصيدة «الشاعر» لمصباح العلي، وكذلك قصيدة الأستاذ شاكر محمود العبيدي، فإنها تأتي قبل قصيدة خالد تعبيرًا، ولكن خالد أبعد مدى الخيال، فليت هؤلاء الشعراء يزرعون في أرض بكر، فكل مواضيعهم قد سبق لغيرهم أن تعاوروها، وما تركوا لهم ما يقال فيها، فما أكثر من قال في الشاعر وحيرته، والواحة وما توحي.

ومن الأقاصيص — وقد قلَّت — كان لنا «قصة السقلاوي» للشاعر الأستاذ نقولا بسترس، وهي مكتوبة بأسلوب عودناه الأستاذ بسترس في شعره ونثره، ولا بدع أن أفاض في وصف ذكاء هذا الجواد، فالخيل تستحق هذا التقدير؛ لأنها كما جاء في الأثر: معقود بنواصيها الخير.

النقد التسعون

٦/ ٤/ ١٩٥٥

«المسرة بالعمل» كان عنوان حديث الأستاذ حسني فريز، وكل عمل يقبل عليه صاحبه وهو غير راغب فيه فهيهات أن يؤدي على حقه، وقد نصح أحد علماء أمريكا كل ذي عمل أن يدخل على قلبه السرور قبل أن يقبل على عمله، بل عد ذلك من شروط النجاح والفلاح، وهيهات أن نجد المسرة الكاملة إلا في حبنا لعملنا مهما اختلفت أنواعه. إن حديثًا كحديث الأستاذ فريز مفيد جدًّا لنا، نحن الذين نعد الابتسامة مذهبة للوقار، والضحكة خفة، ودون ابتسام وضحك لا أدري من أي باب يدخل الفرح إلى القلب.

وتحدثت الآنسة جهان عوني عن حقيقة التقمص، فاستغربت العنوان، وهل للماورائيات حقيقة ثابتة؟ أراد الإنسان أن يبقى في هذه الدنيا التي استحلاها، فهام في أودية الخيال، وما زال ينقض اليوم ما كان قرره أمس، وهكذا دواليك.

وفي ركن الكتب الحديثة تحدث الأستاذ عيسى الناعوري عن كتاب صدر حديثًا للأستاذ أنيس الخوري المقدسي عن الاتجاهات الأدبية في العالم العربي، فأحسن الأستاذ الناعوري التلخيص والتقريظ معًا، فأرانا أن هذا الكتاب هو تاريخ لتطورنا السياسي، والأدبي، والاجتماعي والقومي. إن الأستاذ المقدسي قد لاحظ هذا التطور عن كثب، وعالج هذا الموضوع غير مرة فلا بدع أن يوفق.

وكان حديثا الشهر للآنسة سميرة عزام والأستاذ ميشال أسمر، تحدثت الآنسة عزام عن الأميرة دينا ملكة الأردن العتيدة، فألبست حديثها طرازًا موشًّى يليق بالعروس، كان الحديث وجيزًا، فلم يستهلك الدقائق المعدودات، فجاء مطابقًا للقول المأثور: خير الكلام ما قل ودل، ولم يمل.

أما الأستاذ ميشال أسمر، فكان متشائمًا، وما أسمعنا إلا نعيًا: المؤسسات الثقافية عندنا قاصرة، ووحدة الشعور الوطني مفقودة، والثقافة المهنية معدومة، وهكذا خرج مجتمعنا من تحت سن قلمه كصبيرة طمسن التي يضرب فيها المثل.

وتحدث الدكتور عبد الجليل ... عن دور المثقف في المجتمع، وما كان مجتمع ما إلا من عمل المثقف الذي وصفه لنا المشترع كنفوشيوس، فجعله المحور الذي تدور عليه الإنسانية، بل جعله حاملًا مسئولية العالم الكبرى، وإن كل ما فيها من حق وجمال هو من صنع المثقف. أفاض الدكتور عبد الجليل في تقدير هذا الدور الخطير، وما المثقفون إلا كواكب تظهر في كل دور، فيسترشد بها السارون في لياليهم الظلماء.

وفي بريدنا الأدبي كان حديث الأستاذ عيسى طماش عن الحق والقانون، وفي مثل هذه الأيام منذ أجيال دار كلام بين بيلاطس، والسيد المسيح، فقال يسوع: أتيت إلى العالم لأشهد للحق، فكل من كان من الحق يسمع صوتي، فقال له بيلاطس: وما هو الحق؟ وخرج، وظل هذا السؤال بلا جواب. إن فكرة الحق قديمة قدم الإنسان كما قال المتحدث، ولا ندري متى يحق الحق، ويعلو ولا يُعلى عليه.

الحق والخير والجمال ثلاث كلمات يترنم بها اليوم الكتاب والشعراء ضالة الإنسانية التي تنشدها دائمًا، وهيهات أن تجد إلا بعضها.

وكانت جلسة في ندوة الشرق الأدنى دار الحديث فيها حول مشكلة الشباب، ولعلها أم المشاكل في نظري ونظر المتحدثين الأساتذة كامل النحاس، وسليم كامل، وعثمان نويه. الشباب رأس مال الأمة، وكل أُمة لا تُعنى بتنمية رأس مالها خسرت تجارتها، فعلينا وعلى شبابنا أن تتأهب للاضطلاع بالمسئولية الكبرى قبل اتباع الهوى.

وسمعت في ركن المزارعين للأستاذ راشد الزغبي محاورة طريفة مفيدة أجريت بين والد وابنه حول زراعتنا وزراعتهم، أي زراعة الذين استناروا بأضواء العلم الحديث، وسخروا الجماد بدلًا من الحيوان الذي ما زلنا نستعبده، وربوا شجراتهم كما يربون أولادهم طبقًا لقوانين علمية، فبلغوا في الاستثمار أبعد مدى ممكن، بينما نحن نقنع باليسير من محصولات أرضنا الخيرة، إلا أن نور الأمل قد لاح في آفاقنا، فما علينا إلا أن نسير ولا نقف، عملًا بالأنشودة التي يفتتح بها هذا الركن النافع:

لمن بالأرض بتزرع   خيرات بتعطيك

أما قصة الأسبوع وعنوانها: «قارئ الكف» للسيدة ماهرة النقشبندي، فكانت جيدة القص والسيرورة، ولكنها رديئة القراءة، ضعيفة العبارة، فشا اللحن في كلامها كقولها مثلًا: إنك لا تعمري.

إن القصة — كما قلنا — ونقول دائمًا هي قطعة فنية، كالقصيدة، فيجب أن تخلو من كل عيب نحوي ولغوي، فلا يكفي السيدة ماهرة أن تكون ماهرة في القص، بل يجب أن تقرأ وتكتب صحيحًا، وهذا تحديد علم الكتابة عند الغربيين الذين اقتفينا آثارهم في هذا الفن.

وكانت روضة الشعر للشاعر محمود أبو الوفا، فأسمعنا شعرًا توجيهيًّا نستفيد منه شيئًا بعد إقفال المذياع، لقد قل هذا النوع من الشعر فلم نعد نسمع شاعرًا يتحدث عن غير الحب الجسدي، أما الحب الاجتماعي فالذين له صاروا نادرين، ولذلك طربت لشاعر يقول كما قال ابن عربي: الحب ديني وإيماني، كما يقول في قصيدته من الأعماق:

أو ليس آدم واحدًا   أو ليس دين الله واحد؟

وكما يقول في قصيدة أُريد: أريد الحب في الدنيا يسود، وهو لا يعني الحب المعروف؛ لأن هذاك سائد دون إرادة الشاعر وإرادتنا …

فأبو الوفاء شاعر سهل الديباجة، وتعبير القدماء «المعنى الشريف في اللفظ الشريف» يصح فيه، وهو يستحق بكل جدارة لقب شاعر الحب.

النقد الحادي والتسعون

٢٠ / ٤ / ١٩٥٥

أنشد الأستاذ العوضي الوكيل قصيدتين جيدتين؛ الأولى: وعنوانها: «لبنان» قصيدة سارحة كنسيمه في الربيع، ناعمة الجرس تترك في النفس أثرًا بعيد القرار، لا ينقطع رنينها فور الانتهاء من سماعها كأكثر شعر هذه الأيام، ولا عيب في هذه القصيدة إلا ضرورة التجأ إليها الشاعر فقال: طلق أغانيها، فالتأنيث أولى وأجمل وقعًا.

أما الثانية: وهي آخر ما أنشد، فموضوعها: «غزوة بدر»، وقد جاءت فخمة، متينة، متراصة البنيان، جامعة بين الفخر والمجد والأسف على ما فات، والخوف مما هو آت.

وأنشد ما بين هاتين القصيدتين مقاطع، فقال في مقطع «مرحبًا بالربيع»: ونشقت الأعطار، وجمع عطر عطور، كما جمع في مقطع «الهوى» بين غيري وبدوري وعمري في قافية، وهذا من عيوب الشعر.

أما ما أنشده الأستاذ أحمد العبد الله ... في هذا الركن، فمن الشعر الذي كثر قوَّالوه، فكله على وتيرة واحدة كقوله مثلًا:

وشربنا من هوانا خمرة ضل فيها العقل من سكر وتاه

وكقوله: وحوانا النهر في راحته، وهو لو حاول أن يقول بين ذراعيه لجاءت الاستعارة جميلة.

وكانت جلسة ندوة الشرق الأدنى في القاهرة، ترأسها سيادة وزير الأوقاف أحد حسن الباقوري، وساجله فيها الأستاذان عبد الكريم الخطيب، وعبد المجيد الغزالي، وكان موضوعها شعر الشاعر البائس عبد الحميد الديب. إن لون شعر هذا الشاعر المجيد — كما بدا لي مما سمعت له — لون حزين باك شاك، قال الباحثون: إن الشاعر ليس واعظًا ولكنه فنان، وهذه كلمة حق لا غبار عليها، فالمصور — مثلًا — يصور الدعارة كما يرسم الطهارة، ونحن في الحالين لا ننظر إلا إلى فنه. الشعر ليس بموضوعه، بل بما فيه من روعة وحياة نضعها في الصورة، وصور الحياة شتى.

وكم كنت معجبًا بالباقوري حين سمعته يقابل — اللهم فنيًّا — بين ما جاء في القرآن الكريم وبين الشعر، فليت هذا الباب ينفتح على مصراعيه ليرى الناس أن كتاب الله هو دعامة أدب الدنيا كما هو دعامة الدين. وإننا نشكر لسيادة الوزير عنايته بجمع شعر هذا الشاعر المطبوع، ونشره على الملاء في ديوان، ولينعم الديب بالًا، فقد أخلده بؤسه، وذكر الفتى عمره الثاني كما قال أبو الطيب …

أما الأستاذ إبراهيم مطر، فكان عنوانه: «الدماغ البشري العجيب»، ولكنه كان في واد وعنوانه في واد، وفي هذا الركن أيضًا تحدث الأستاذ عارف العزوني عن الأبراج العاجية، ونشأة هذه التسمية التي يسمع الناس بها، ولا يعرفون أصلها.

وأخيرًا إني أبشر الكتَّاب والشعراء بزوال هذا الركن — ركن النقد — من برنامج محطة الشرق الأدنى، وإني أشكر للمحطة ما أغدقته علي من نعمة التعرف بكتَّاب الأقطار العربية وشعرائها، فهذه ثلاث سنوات ونصف نادمتهم وسامرتهم فيها، ولا أعتذر لأحد؛ لأني لم أحاب من أعرفهم، ولم أتحامل على من أجهلهم، كنت أسمع ما يقال، ولا يعنيني من هو القائل.

قال المتنبي: وأجمل وجه في الورى وجه محسن، أما أنا فأتصرف بهذا الشطر لأقول: فأبشع وجه في الورى وجه ناقد، فاحمدوا الله أيها الإخوان على أنكم لم تروا وجهي، ولم تسمعوا صوتي، ففيهما يصح ما قيل في شهاب الدين وأخيه: كلا الأخوين … ولكن ما الحيلة، فلولا حفارو القبور لأنتنت الأرض، وفسد الهواء، وكم من مهنة غير مستحبة، ولكن لا بد لها من محترف، وهكذا أنا، والسلام عليكم ووداعًا.

عاليه ١٥ / ١١ / ١٩٥٧